الخليج الطائفي
والربيع العربي الذي لم يحدث



توبي ماثيسن



الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

الخليج الطائفي

والربيع العربي الذي لم يحدث

الخليج الطائفي

والربيع العربي الذي لم يحدث

توبي ماثيسن

ترجمة

أمين الأيوبي



الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

الفهرسة أثناء النشر - إعداد الشبكة العربية للأبحاث والنشر

ماثيسن، توبي

الخليج الطائفي والربيع العربي الذي لم يحدث/ توبي ماثيسن؛ ترجمة أمين الأيوبي.
٢٠٧ ص.
ببليوغرافية: ص ١٧٩ - ٢٠٧.
ISBN 978-614-431-077-9

١. الخليج العربي - السياسة والحكومة. ٢. حركات المعارضة - الخليج العربي.
٣. الشيعة والسنة - علاقات. أ. الأيوبي، أمين (مترجم). ب. العنوان.

953.6

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر الشبكة العربية للأبحاث والنشر»

Sectatrian Gulf
Bahrain, Saudi Arabia, and the Arab Spring that Wasn't

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٤

الشبكة العربية للأبحاث والنشر

بيروت - المكتب الرئيسي: رأس بيروت - المنارة - شارع نجيب العرداتي
هاتف: ٠٠٩٦١١٧٣٩٨٧٧ **محمول:** ٠٠٩٦١٧١٢٤٧٩٤٧
E-mail: info@arabiyanetwork.com

القاهرة - مكتبة: وسط البلد - ٢٢ شارع عبدالخالق ثروت
هاتف: ٠٠٢٠٢٢٣٩٥٠٨٣٥ **محمول:** ٠٠٢٠١١٥٠٢٩٦٤٩٢
E-mail: info@arab-network.org

الدار البيضاء - مكتبة: ٢٨ زنقة روما، تقاطع شارع مولاي إدريس الأول
هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٨٠٦٨٨٧ **محمول:** ٠٠٢١٢٦٦٤٣٢٣٠٤٠
E-mail: info-ma@arab-network.org

الرياض - مكتبة: حي الفلاح - شارع الأمير سعود بن محمد بن مقرن
جنوب جامعة الإمام، مقابل بوابة رقم ٣
هاتف: ٠٠٩٦٦٥٥٢١٦١١٦٦
E-mail: info-ksa@arabiyanetwork.com

المحتويات

مقدمة الطبعة العربية

أرجّح أنني لم أكن سأصنّف هذا الكتاب لو لم أعايش التجييش الطائفي عياناً، في الخليج وغيره. وقد أمضيت أصلاً خمس سنين أبحث في التاريخ السياسي لشيعة الخليج، ولا سيما القاطنين في المحافظة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، في سياق إعدادي أطروحة الدكتوراه عندما قدمت إلى البحرين في أواسط شباط/ فبراير ٢٠١١ لإجراء مزيد من العمل الميداني وزيارة بعض الأرشيفات. لكنّ خطة العمل الميداني الأولية هذه تداعت سريعاً حين اشتدت حماوة الانتفاضة في البحرين. نزل في البداية عشرات الآلاف من المحتجين، من الشيعة أساساً، إلى الشوارع للمطالبة بإصلاح سياسي. وبعد إطلاق النار على أوائل المحتجين، جنح قسم من الحركة الاحتجاجية إلى التطرّف وبدأ بالدعوة إلى إسقاط الأسرة الحاكمة. وآل بي الأمر إلى إجراء مقابلات مع ناشطين، والتوجه إلى أماكن الاحتجاجات وإلى دوار اللؤلؤة ـ وهو النظير البحريني لميدان التحرير المصري ـ لتدوين الملاحظات. ولم يخطر ببالي وقتذاك أن الأمر سيفضي إلى تصنيف كتاب عن هذه الأحداث.

غادرت البحرين قبل إطلاق حملة القمع في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١ وتدخل القوات السعودية. وتحت وطأة القمع القاسي للانتفاضة ولجوء النظام البحريني إلى الخطاب الطائفي والعنف، سُحقت الانتفاضة. عدت إلى البحرين في أيار/ مايو ٢٠١١ والتقيت بممثلين عن أغلبية الجماعات السياسية، فضلاً عن مسؤولين حكوميين. بقي الوضع في البحرين بائساً، وتبدّدت أوهامي وكذلك أوهام كثيرين غيري. كم كانت

متابعة الأخبار الواردة من البحرين ومن المنطقة ككل مثيرة للأسى. ولم يتبيّن لي وقْع الانتفاضة البحرينية واشتعال الثورة في سوريا، على الدول الخليجية الأخرى إلّا بعد رحلاتي البحثية إلى المملكة العربية السعودية والكويت ولبنان في أواخر سنة ٢٠١١. ما شاهدته كان تفسخاً للعلاقات بين الطوائف، ولا سيما في الكويت والمملكة العربية السعودية، وتراشقاً حقيقياً لخطابات الكراهية بين السُنّة والشيعة. لكنّ حركة احتجاجية عارمة عمّت الكويت في الوقت عينه، وشهدت سائرُ الدول الخليجية الأخرى احتجاجات غير مسبوقة أو رفع مطالبات بإجراء إصلاحات سياسية.

في هذه المرحلة تولّدت لديّ رغبة في تأليف كتاب يحكي عما حصل في الخليج وكيف أثّر في الثورات العربية بوجه عام. وفي أثناء سفري إلى دول الخليج كافة منذ سنة ٢٠١١، أحسست بأن قصة أكبر بكثير لم تُحكَ بعد. فوسائل الإعلام الرئيسة وعدد من الأكاديميين الغربيين غير مستعدين أو غير قادرين عموماً على التحدث عن التطورات الجارية في الخليج، وذلك عائد من بعض النواحي إلى خشيتهم من توقف الخليج عن نشر الإعلانات في وسائل الإعلام الإخبارية أو إمكانية قطع التمويل الخليجي للجامعات.

عندما واجهتْ دولُ الخليج تفاقمَ التحديات السياسية في مطلع سنة ٢٠١١، جُيّشت النزعةَ الطائفية من أجل إسكات الدعوات المحلية المطالِبة بالإصلاح. يوجد في البحرين أكثرية شيعية فيما الأسرة الحاكمة سنّية، ولذلك استخدمت الأسرة الحاكمة وسائل الإعلام الرسمية وشبه الرسمية في محاولة تصوير هذه الانتفاضة بأنها «طائفية»، وحرب تشنّها طائفة على أخرى. وكما يفعل بشار الأسد في سوريا ـ مع التفاوت الكبير في مستوى العنف ـ هدفت استراتيجية الاستقطاب الطائفي هذه إلى نزع شرعية المعارضة، وتخويف الأقلّية السنّية من نشوء نظام سياسي بديل وحملها على تقديم ولائها الكامل للأسرة الحاكمة. وبعد شهر على بدء الاحتجاجات، وتحديداً في ١٤ آذار/ مارس ٢٠١١، عبرت القواتُ السعودية جسر الملك فهد الذي يربط المحافظة الشرقية السعودية بالبحرين. وفرض ملكُ البحرين حالة طوارئ، وانطلقت حملة اعتقالات،

وتعذيب، وعمليات طرد بالجملة، وحوادث قتل من دون محاكمة.

لكنّ الشيعة السعوديين الذين ألهبت الانتفاضة البحرينية حماستهم، يقطنون أساساً المحافظة الشرقية الغنية بالنفط، أطلقوا حركة احتجاجية مستقلة، وكانوا هم السعوديين الوحيدين الذين نزلوا إلى الشوارع عندما دعا البعض في وسائل التواصل الاجتماعي في آذار/ مارس ٢٠١١ إلى بدء الاحتجاجات في السعودية، ثم نزل سعوديون آخرون إلى الشوارع مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين دون محاكمات، لكنّ الحركة الاحتجاجية في المنطقة الشرقية فشلت عموماً في التمدّد إلى باقي أنحاء المملكة.

وعوضاً عن إجراء بعض الإصلاحات السياسية، وهو الأمر الذي كان يطالب به المحتجون البحرينيون، ردّت الدول الخليجية بـ «يد من حديد» على هذه الاحتجاجات. وتصدّرت هذه الدول ثورة مضادّة، فيما منع الشيعة والسنّة في الداخل من الوقوف صفاً واحداً في المطالبة بالإصلاح. كما أن استخدام الدول الخليجية للخطاب المذهبي قاد إلى «خليج طائفي» افتراضي. وكان ذلك حافزاً لعدد من الإسلاميين السنّة في الخليج لتمويل الثوار في سوريا، فيما منح عدد من الشيعة الخليجيين في المقابل ولاءهم لنظام الأسد وحزب الله. وبالتالي أضحت سوريا ساحة صراع آخر بالوكالة، ساحة تُحدث سابقة خطيرة في العلاقات السنّية ـ الشيعية في الخليج وغيره.

إذا كانت بعض الدول الخليجية قلقة فعلاً من ولاء مواطنيها الشيعة، ينبغي لها القبول بهم كمواطنين كاملين ومتساوين. لكنّ السياسة الحالية تدفع جماعات من ناشطي المعارضة للعودة إلى الارتباط بإيران، وهي صلة وُجدت بعد الثورة الإيرانية في سنة ١٩٧٩، لكنها تضاءلت حين عادت أغلبية المعارضة الشيعية الخليجيين من المنافي في تسعينيات القرن الماضي. ومع أنه لم يعد لإيران ذلك التأثير الذي تمتعت به في الحركات السياسية الشيعية في الثمانينيات، هناك أمارات على أن إيران وحزب الله اللبناني يساعدان الناشطين في المعارضة الشيعية البحرينية والسعودية.

وبعيداً عن الشيعة، بدأت بعض الدول الخليجية بالتنديد بكبش محرقة ثانٍ اتهمته بخطف «الربيع العربي»: أعني الإخوان المسلمين. لا ريب في أن بعض الدول الخليجية كانت السند الرئيس للانقلاب العسكري الذي أطاح مؤخراً بالحكومة المصرية التي هيمن عليها الإخوان المسلمون، وهذا يرجع من بعض النواحي إلى الرغبة بتلافي بروز نموذج إسلامي سنّي منافس مهما بلغت التكاليف، وخطاب الكراهية الذي وُجّه إلى مساندي الإخوان المسلمين في مصر وفي الخليج على حدّ سواء، مع التنديد بهم بوصفهم عدو الداخل، شبيه بخطاب الكراهية الموجَّه إلى الشيعة. وجرت الإطاحة بالرئيس المصري محمد مرسي على يد الجيش بعد أن نزلت حركة احتجاجية كبيرة اسمها «تمرّد» إلى الشوارع وأظهرت أن عدداً من المصريين غير راضين عن طريقة الإخوان المسلمين في الحكم.

وعلى ضوء ذلك، رأت قطاعات من المعارضة البحرينية أن تلك فرصة لإنعاش ثورتها مجدداً، فدعت إلى احتجاجات تمرّد في البحرين في ١٤ آب/أغسطس ٢٠١٢. لكنّ تلك الحملة أخفقت لأن انتشار القوى الأمنية على نطاق واسع ضَمِن اقتصار الاحتجاجات على القرى. كان الجيش في مصر مفتاحاً في نجاح حركة تمرّد، بينما الجيش والقوى الأمنية البحرينية موالية للأسرة الحاكمة. ومع أن أخبار الاحتجاجات البحرينية اختفت إلى حدّ بعيد من عدد من المنافذ الإعلامية وباتت محصورة في القرى خارج العاصمة المنامة، تتواصل الاحتجاجات الصغيرة بشكل يومي. وقد تعطّل الحوار السياسي بما أن الأسرة الحاكمة تبدو غير مستعدة لتقديم تنازلات سياسية كبيرة، ولأن المعارضة تواجه قمعاً في الوقت الذي يُطلب منها التفاوض. وهذا ما دفع مئات البحرينيين إلى المنفى حيث يحاولون إنهاض الحركة الاحتجاجية وإبقاء ذكرى الانتفاضة حيّة.

ومن ناحية أخرى، هدأت الاحتجاجات في المحافظة الشرقية. لكنّ المشكلات الأساسية التي قامت الاحتجاجات لأجلها لم تُعالَج، ويجري إسكات الإصلاحيين على اختلاف مشاربهم الطائفية والزجّ بهم في

السجون في مختلف أنحاء الخليج. على أن دول الخليج العربي لم تنجُ من الثورات العربية من دون ندوب، وما من شك في كونها واجهت تحدياً كبيراً وعدداً كبيراً من المجادلات المتمثّلة في المناقشات عبر الإنترنت، والمطالبات، فضلاً عن انتشار المظاهرات في شوارع الدول الخليجية. لكنّ النظم الخليجية تصدّرت في الوقت عينه ثورةً مضادّة إقليمية أريد منها قمع هذه الاحتجاجات مهما كانت التكاليف.

كامبريدج، المملكة المتحدة،
كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣

تمهيـد(*)

إن الاحتجاجات العارمة التي عمّت العالم العربي اعتراضاً على الحكم الاستبدادي في سنة ٢٠١١ غيّرت الشرق الأوسط، وربما العالم، إلى الأبد. لقد ساهمت في أشدّ فوضى عالمية منذ انفراط عقد الاتحاد السوفياتي؛ إذْ أطلقت موجة من المظاهرات، والأزمات الاقتصادية، والإجراءات التقشفية فضلاً عن مضامين واسعة النطاق في المستقبل. كانت سنةُ ٢٠١١ «سنة الأحلام الخطرة»، باختصار كانت سنة تحدّت فيها أيديولوجياتٌ، متنوّعة مناوئة للهيمنة، النظامَ العالمي الرأسمالي[١]. شملت هذه الاحتجاجات حركةَ «احتلّوا وول ستريت» التي كانت الثوراتُ العربية من مصادر إلهامها، فضلاً عن مظاهرات ضخمة وإضرابات عمّت العالم بأسره[٢]. ويبدو كما لو أن العرب، والشباب في مختلف أرجاء المعمورة بالطبع، كانوا ينتظرون حدثاً يمكنه تحريك مظاهرات ليحتشدوا، وقد أعادت الثورات العربية تأكيد أهمية قوّة البشر، والإحساس بأن للنزول إلى الشوارع والمطالبة بالتغيير تأثيراً بالفعل، وأنّ الأقوياء يبقَون أقوياء طالما أن الناس يعتقدون أنّ أحداً لا يمكنه الاقتراب منهم؛ لذلك، بقي الخطاب العام في الشرق الأوسط بعيداً من أي نقاش سياسي حقيقي طوال عقود، وبقيت الصفقات تُبرم في الخفاء، واستحال انتقاد الوزراء المقرّبين أو أبناء الأُسر الحاكمة، وما أكثرهم. لكنّ الثورات العربية غيّرت ذلك كلّه، وتبلورت حياة جديدة أفقدت الطغاةَ العرب الإحساس بالأمان، لكن سرعان ما اجتاحت قوى الثورة المضادّة

(*) **ملاحظة**: آخر تاريخ ولوج جميع المواقع الإلكترونية المذكورة في هذا الكتاب كان ١٤ نيسان/ أبريل ٢٠١٣، كما أُوقفت تحديثات هذا الكتاب في مطلع نيسان/ أبريل ٢٠١٣.

(١) Slavoj Žižek, *The Year of Dreaming Dangerously* (London: Verso, 2012).

(٢) David Graeber, *Inside Occupy* (Frankfurt am Main: Campus Verlag, 2012), pp. 11-15.

الشوارع في شتّى أنحاء الشرق الأوسط، سعياً إلى تقسيم المحتجين تبعاً لمحاور إقليمية أو طائفية أو قبلية أو أيديولوجية.

تطوّرت كبرى الحركات الاحتجاجية في الجمهوريات العربية التونسية والمصرية والليبية واليمنية، حيث خُلع حكامها المستبدّون، فيما اتّخذت الثورة السورية طابع حرب أهلية أكثر فأكثر. وبالمقابل، لم يتنحّ لغاية ٢٠١٣ أي حاكم عربي بفعل ضغوط شعبه في أي إمارة أو مملكة عربية مع أنه برزت حركة شبابية في المملكة المغربية، وتعاظمت المظاهر الاحتجاجية في المملكة الأردنية الهاشمية في سنة ٢٠١٢. وعلى العموم، وُصفت وقتذاك الممالكُ والإمارات التي تشكل مجلس التعاون الخليجي - المملكة العربية السعودية، ومملكة البحرين والكويت وسلطنة عُمان وقطر والإمارات العربية المتحدة - في أغلب الأحيان بأنها دول مستقرّة بمنأى عن احتجاجات الربيع العربي[٣]، لكن الحقيقة هي أن دول مجلس التعاون الخليجي كافّة تأثّرت بالربيع العربي وشهدت بروز حركات احتجاجية - باستثناء قطر والإمارات العربية المتحدة. وربما تكون النظم الحاكمة في تونس ومصر واليمن الدعامات الأساسية للهيمنة الأمريكية على المنطقة، ولـ «حرب على الإرهاب» وضمان أمن إسرائيل. لكنّ الاحتجاجات في الدول الخليجية كانت أشدّ خطراً على الهيمنة الأمريكية من الثورتين التونسية والمصرية؛ كون هذه الدول المطلّة على الخليج[٤] تحتوي على نحو ثلثي الاحتياطيات النفطية وثلث احتياطيات الغاز الطبيعي الثابتة في العالم، كما إنها مقارّ لقواعد عسكرية أمريكية مهمّة، وفيها زبائن رئيسيون للأسلحة الغربية وشركاء تجاريون لديهم استثمارات ضخمة في الاقتصادات الغربية[٥].

(٣) Sean L. Yom and F. Gregory Gause III, «Resilient Royals: How Arab Monarchies Hang On,» *Journal of Democracy*, vol. 23, no. 4 (October 2012), pp. 74-88.

(٤) تُعرف منطقة الخليج عموماً بالخليج الفارسي، لكن في انعكاس للتوترات الجيوسياسية والانقسامات الإثنية بين الدول الخليجية العربية وإيران، يشار في العادة إلى منطقة الخليج في العالم العربي بـ «الخليج العربي»، وقد التزمنا الحياد بتسمية المنطقة بـ «الخليج».

(٥) المملكة العربية السعودية هي أكبر مصدّر للنفط في العالم، وقد بلغت صادراتها النفطية نحو ثمانية ملايين برميل نفط يومياً في سنة ٢٠١٢، ولديها خامس أكبر احتياطي نفطي مثبت في العالم. انظر: U. S. Energy Information Administration [EIA], «Saudi Arabia Country Analysis Brief,» <http://www.eia.gov/countries/country-data.cfm?fips=SA&trk=m>.

كادت البحرين أن تشهد ثورة في مطلع سنة ٢٠١١، وحتى الدول التي لم تبرز فيها حركات احتجاجية شهدت تحوّلات ناجمة عن ردود أمنية استبقت الحركات الاحتجاجية كما في الإمارات العربية المتحدة. لكنّ النخب السياسية الغربية ووسائل الإعلام الغربية والعربية تتردّد غالباً، لبواعث استراتيجية، في مناقشة الاحتجاجات والمطالبات بإصلاحات سياسية في الخليج، وبحسب وصف ديفيد كاميرون النموذجي لموقف صنّاع السياسة الغربيّين في نيسان/أبريل ٢٠١٢: «البحرين ليست سوريا»[٦].

يحكي هذا الكتاب قصة تأثير الربيع العربي في هذه الدول الخليجية، وعلى رأسها مملكة البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت وسلطنة عُمان، وكيف ردّت النظمُ الخليجية على الدعوات المطالبة بتغيير سياسي في الخليج ومجمل الشرق الأوسط. وهو ليس تاريخاً شاملاً للربيع العربي أو لأي أمر حدث في الدول الخليجية منذ بداية الربيع العربي، لكنّه يستخدم بعض الأمثلة على الاحتجاجات الشعبية في الخليج لإظهار أن شرعية الحكام الخليجيّين واجهت تحدّياً كبيراً.

وتفاعلاً مع هذه التحدّيات التاريخية والدعوات المطالِبة بالديمقراطية وبتوزيع أكثر عدلاً للموارد، وبحكم القانون، لجأت الأُسرُ الحاكمة في الخليج والنظم المحيطة بها إلى الأساليب القديمة القائمة على الإنكار والقمع والسخاء الاقتصادي وتشويه السمعة. ولم تشرع الدول الخليجية في إصلاحات سياسية محليّة ذات معنى، ولم تُحاور الحركات الشبابية الناشئة بطريقة تمهّد الطريق أمام مستقبل مستقرّ. وبينما ساندت النظم الخليجية في الأغلب السياسة الجديدة وخطاب الربيع العربي في الخارج، ورفضت الاعتراف بأنه كان لهذه الحقبة الجديدة في التاريخ العربي أثر عميق في بلادها أيضاً.

ورداً على احتجاجات الربيع العربي، لعبت الأُسر الحاكمة في الخليج، وفي مقدّمها الأسرة الحاكمة في كلٍّ من مملكة البحرين والمملكة العربية السعودية، على وتر الانقسامات الطائفية بين السنّة والشيعة وعمّقتها

(٦) «David Cameron on GP: «Bahrain Is Not Syria»,» BBC, 20 April 2012, <http://www.bbc.co.uklnews/uk-17789082>.

لتلافي تشكّل جبهة معارضة متعددة الطوائف، وهو أمر بدا ممكناً في الأيام الأولى للثورة في البحرين، وبالتالي أوجدت **خليجاً طائفياً**، لكن إذا كانت الطائفية في الخليج تُعزى في الأغلب إلى خطاب طائفي رعته النظم أو وافقت عليه، وإلى حملة سياسية تستهدف شيعة الخليج من دون تمييز، توجد عوامل أخرى أدّت دوراً أيضاً.

من العوامل التي شجّعت على بروز الخليج الطائفي المتاجرون بالهُوية الطائفية(٧)، وعلى وجه التحديد الأشخاص الذين استخدموا سياسة الهُوية الطائفية في تعزيز مواقعهم. وبإلقاء نظرة عن قرب على دور هؤلاء يتبيّن أنّ الطائفية لم تكن نتيجة تدخّل حكومي فحسب، بل كانت ثمرة خليط من نخب سياسية ودينية واجتماعية واقتصادية استخدمت جميعُها الطائفية للدفع بأهدافها الشخصية.

وبالنظر إلى السيطرة المفروضة على وسائل الإعلام، يمكن عزْو الطائفية في الإعلام الخليجي منذ سنة ٢٠١١ إلى قرارات النخب السياسية دون غيرها، لكن بعد أن غدت الطائفية طريقة ناجعة لتشويه صورة الخصوم السياسيّين، تسرّبت إلى طبقات المجتمع كافة وأصبحت عملية تبدأ من أسفل الهرم إلى قمّته أكثر منها من قمّة الهرم إلى أسفله.

ينبع اهتمامي بالطائفية الجديدة التي تعمّ الشرق الأوسط من دراساتي ورحلاتي إلى تلك المنطقة؛ ففي أعقاب هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر، ركزت النقاشات الأساسية على «الإسلام» وعلى «التهديد» الذي يمثّله للغرب، وعلى ما يسمّى «صدام الحضارات»، وعلى ما إذا كان الإسلام داحضاً للنظريات العلمانية ولفكرة أن الديمقراطية الليبرالية ذات النمط الغربي والرأسمالية ستسودان من دون نزاع ـ بما يرقى بوجه عام إلى «نهاية

---

(٧) اقتبسنا فكرة المتعهّد الذي يستغلّ الصور المتنوعة لتكوين الهوية من دراسة الإثنية الـ «instrumentalist» التي تجادل بأنه يمكن جماعات المصالح المتنافسة استخدام الهويّات الجمعية كمصدر سياسي. انظر: Paul R. Brass, *Ethnicity and Nationalism: Theory and Comparison* (London: Sage, 1991), p. 8.

وقد أطلقنا تسمية «المتعهدون الإثنيون الشيعة» في حالة الشيعة اللبنانيين. انظر: Roschanack Shaery-Eisenlohr, *Shi'ite Lebanon: Transnational Religion and the Making of National Identities* (New York: Columbia University Press, 2008), p. 6.

التاريخ» الذي عرفناه(٨). لكنّ المناقشات المتصلة بالصراعات السنّية ـ الشيعية بقيت مقتصرة في حالات كثيرة على الوسط الأكاديمي، أو على دول بعينها مثل لبنان أو العراق أو باكستان. لم يتولّد لديّ اهتمام خاص آنذاك بالاختلافات بين السنّة والشيعة، بل انصبّ جلّ اهتمامي على صورة الشرق الأوسط والإسلام المثيرة للإشكاليات في الغرب، وعلى الحربين اللتين نشبتا في العراق وأفغانستان ردّاً على هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر، وفي حين كانت تلك الهجمات من تدبير تنظيم القاعدة الشديد العداء للشيعة، فقد استهدفت الغرب أساساً، لكنّ الحرب الأهلية بين السنّة والشيعة في العراق عقب سقوط صدّام حسين هي التي جعلت الطائفية إحدى السمات الرئيسة لسياسة الشرق الأوسط(٩). كما إنّ ردّ الدول الخليجية على الربيع العربي رسّخ هذا الوضع، إلى حدّ أنه يمكن القول إنه جعل شأن الطائفية في المنطقة أهمّ من أي وقت مضى.

أمضيت بضعة أسابيع في الدراسة في جامعة أصفهان في إيران في شباط/ فبراير ٢٠٠٦ كي أحسّن لغتي الفارسية وأتعرّف إلى ذلك البلد المهم ولكن غالباً ما يساء فهمه. ويرجع جلّ فخامة قصور أصفهان وحدائقها إلى القرن السادس عشر حين أصبحت أصفهان عاصمة الأسرة الصفوية، وكان الشرخ بين السنّة والشيعة قد وقع مبْكراً في عصر الإسلام لاختلاف الناس حول من سيكون خليفة المسلمين بعد وفاة رسول الله؛ فالشيعة لا يعترفون بخلافة الخلفاء الثلاثة الأُول أبي بكر وعمر وعثمان بل يرون أن علياً، الذي يعتبره السنّة الخليفة الرابع، هو الخليفة الشرعي بعد وفاة النبيّ الكريم. وفي خلافة الإمام عليّ، انفصل شيعته عن جمهور المسلمين الذين باتوا يُسمَّوْن سنّةً. وبقي الشيعة على مرّ التاريخ الإسلامي أقلّية وسط المسلمين وعاشوا في الأغلب على أطراف الإمبراطوريات وناصبوا القوى المسيطرة العداء، لكنّهم طوّروا مذهباً فقهياً متمايزاً، وطبقة رجال دين

---

(٨) انظر على سبيل المثال: Francis Fukuyama, *The End of History and the Last Man* (Harmondsworth: Penguin, 1993), and Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: Simon and Schuster, 1997).

(٩) Vali Nasr, *The Shia Revival: How Conicts Within Islam Will Shape the Future* (London: W. W. Norton, 2007).

مهيمنة، وبلوروا شعائر واحتفالات دينية خاصة[١٠]، والصفويون هم الذين حوّلوا عامّة السكان الإيرانيّين إلى المذهب الشيعي، وجعلوه الدِّين الرسمي في إيران، لقد قاموا من بعض النواحي بتوظيف جهاز إداري ديني جديد وذلك باستقدام رجال دين شيعة من المناطق التاريخية للمذهب الشيعي في لبنان والعراق والبحرين؛ حيث حافظ المذهب الشيعي على وجوده على مرّ القرون[١١].

وخلال دراساتي في إيران، أحسست أن فهم طبيعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومشكلاتها السياسية ينبع من عدة عوامل: جدلية بين الدِّين والسياسة، ومقاومة تركة الشاه العلمانية وإبدالها بالتضامن مع دول الجنوب وبوطنية تستلهم من الإسلام، وبازدراء إسرائيل وأمريكا، والتوترات بين الشعب والنظام القمعي. وقُدّر لذلك كلّه أن ينفجر في سنة ٢٠٠٩ على شكل صراع مكشوف حين سعت الحركة الخضراء لتغيير النظام عبر تسيير مظاهرات ضخمة في الشوارع[١٢]، لكن لم يظهر لي أن الدولة أضفت على نفسها الشرعية إزاء السنّة. يوجد في إيران أقلّيات معتبرة من الأكراد، والأذربيجانيّين، والبلوشستانيّين، فضلاً عن عرب سنّة وشيعة بالقرب من ساحل الخليج، تواجه هذه الأقلّيات تمييزاً مقصوداً[١٣]. كما إن العرب في أقليم خوزستان الجنوبي (الأحواز)

---

(١٠) التاريخ الإسلامي أشدّ تعقيداً من ذلك بالطبع، وهناك أسر شيعية عديدة حكمت أجزاء من العالم الإسلامي في مراحل مختلفة. انظر: Ofra Bengio and Meir Litvak, eds., *The Sunna and Shi'a in History: Division and Ecumenism in the Muslim Middle East* (New York: Palgrave Macmillan, 2011), and Fuad L. Khuri, *Imams and Emirs: State, Religion and Sects in Islam* (London: Saqi, 1990).

(١١) انظر من جملة مصادر أخرى: Juan Cole, *Sacred Space and Holy War: The Politics, Culture and History of Shi'ite Islam* (London: I. B. Tauris, 2002), and Rula Jurdi Abisaab, *Converting Persia: Religion and Power in the Safavid Empire* (London: I. B. Tauris, 2004).

(١٢) يرى بعضهم علاقة مباشرة بين الحركة الخضراء والربيع العربي، علماً بأنّ استراتيجياتهما التعبوية متشابهة على نحو مذهل. انظر: Hamid Dabashi, *The Arab Spring: The End of Postcolonialism* (London: Zed Books, 2012).

(١٣) يبلغ مجموع السكان في إيران نحو خمس وسبعين مليون نسمة. وهناك كثير من السنّة مثل الأكراد والبلوشستانيين والتركمان وبعض الأقليات العربية فيها. والنظام الإيراني يحرم السنّة من بعض حرّياتهم الدينية. انظر: Saeed Kamali Dehghan, «Sunni Muslims Banned from Holding Own Eid Prayers in Tehran,» *Guardian*, 31/8/2011, <http://www.guardian.co.uk/world/2011/aug/31/iran-forbids-sunni-eid -prayers>; Central Intelligence Agency, «The World Factbook: =

وعامّتهم من السنّة ألهمهم الربيع العربي وتظاهروا في نيسان/أبريل ٢٠١١ إحياءً لذكرى انتفاضة سابقة اندلعت هناك في سنة ٢٠٠٥، لكنهم قُمعوا بوحشية(١٤). ويتساءل السنّة من أبناء الخليج غالباً عن السبب الذي يدعو دول الخليج إلى معاملة مواطنيها الشيعة معاملة أفضل فيما تقمع إيران مواطنيها السنّة(١٥). المذهب الشيعي هو مفتاح لفهم طريقة عمل الدولة والمجتمع في إيران. لكني أكرّر القول إنني لم ألمس بأن «الآخرين» المستهدفين هم السنّة تحديداً، وبدا أن احتقار أمريكا وإسرائيل ومهاجمتهما الشعائرية أهمّ بكثير.

لكن عقب مغادرتي النُّزُل المخصص للطلاب الأجانب صباحاً في أواخر أيام شباط/فبراير ٢٠٠٦، وتوجّهي إلى مركز اللغات، وجدت الأمور قد تغيّرت على نحو ملحوظ. فقبل يوم من ذلك، اقتحم مسلّحون سنّة منتسبون إلى القاعدة ضريح الإمام العسكري في مدينة سامرّاء العراقية ونسفوه بالمتفجّرات، ما أدى إلى انهيار القبّة الذهبية الضخمة التي تعلو الضريح(١٦). ويعدّ هذا المقام واحداً من أقدس المواقع لدى الشيعة لأنه يضمّ ضريحي الأمامَين العاشر والحادي عشر اللذَين يبجّلانهما الشيعة الاثنا عشرية وهم يشكلون السواد الأعظم من المسلمين الشيعة، وهم يبجّلون اثني عشر إماماً كونهم من أهل بيت رسول الله وأئمّة المسلمين من بعد وفاته.

أطلق الهجوم موجة غضب في شتى ربوع العالم الإسلامي بعامّة،

Iran,» 12 September 2012, <https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/ir.html>, and Rasmus Christian Elling, *Minorities in Iran: Nationalism and Ethnicity after Khomeini* (New York: Palgrave Macmillan, 2013). =

للاطلاع على نشاط السنّة الإيرانيين على الإنترنت، انظر مثلاً: Twitter account @Sunnis_Iran, and <http://en.sunnionline.us>.

(١٤) Human Rights Watch, «Iran: Halt Execution of Arab Activists: Five Men Sentenced to Death Following Closed Trials,» HRW (11 July 2012), <http://www.hrw.org/news/2012/07/11/iran-prevent-execution-arab-activists>.

(١٥) مقابلات أجراها المؤلف مع أكاديميين وسياسيين وناشطين في البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت في سنتي ٢٠١١ و٢٠١٢.

(١٦) «Iraqi Blast Damages Shia Shrine,» BBC, 22 February 2006, <http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4738472.stm>.

ولدى المسلمين الشيعة بخاصّة، وأطلق حملة عنف طائفي متجددة في العراق شنّ فيها الشيعة هجمات انتقامية على السنّة(١٧). شاهدت في اليوم الذي أعقب الهجوم، وأنا في طريقي إلى دروس اللغة الفارسية، صوراً عُلّقت في جميع أروقة جامعة أصفهان تُظهر قبّة الضريح المحطَّمة التي يعرفها كل مسلم شيعي، وفي الحقيقة تعرفها المدينة نفسها. وقد ثارت ثائرة وسائل الإعلام الإيرانية، وصُدم الناس بالهجوم المتعمَّد على موقع مقدَّس. وجرت في الأسابيع التالية مناقشات كثيرة ندّد فيها الإيرانيون بتنظيم القاعدة ومسانديه السنّة المزعومين في الخليج.

سافرت في السنين التالية إلى الجانب الآخر من الخليج، إلى المملكة العربية السعودية والبحرين والكويت؛ حيث اتصفت المجتمعات قروناً عديدة بالتجارة والسفر والهجرة التي كانت متنوعة ويصعب تصنيفها، لكن في خطاب السياسيّين ووسائل الإعلام في تلك البلدان، اختُزلت المملكة العربية السعودية وإيران إلى دولتين، **الأولى** «سنّية» **والثانية** «شيعية»، تتنافسان على النفوذ في أوساط هاتين الطائفتين في المنطقة كلها. وعلى الرغم من أن المملكة العربية السعودية وإيران تستخدمان الدِّين للدفع بأهدافهما الخاصة، إلا أن الواقع أكثر غموضاً.

الشيء الذي يميّز الطائفية الجديدة عن التوترات الطائفية في الحقب السابقة هو أن الحكام يتخذون قرارات الآن بناء على تقييم طائفي للواقع السياسي. إنهم يفكرون على المستوى الاستراتيجي وبناءً على منطلقات طائفية، ويصوغون سياساتهم الخارجية استناداً إلى تلك المنطلقات. لذلك، يُنظر إلى إيران ذات الأغلبية الشيعية على أنها عدوّ لدود كافر، تليها مباشرة وعلى نحو يوحي بالتناقض حركة الإخوان المسلمين الإسلامية السنّية التي أضحت منذ فوزها في الانتخابات في مصر وتونس العدوَّ المفضّل الآخر للنخب الخليجية التي تعزو إلى الحركة التدخلَ الماكر العابر للحدود نفسه الذي تعزوه إلى إيران. وهذا الخطاب الذي يتحدث

(١٧) «The Bomb That Changed Iraq Forever,» *New York Times*, 31/7/2008, <http://atwar.blogs.nytimes.com/2008/07/31/the-bomb-that-changed-iraq-forever>, and Fanar Haddad, *Sectarianism in Iraq: Antagonistic Visions of Unity* (London: Hurst and Company, 2011), p. 180ff.

عن تدخّل مزعوم من جانب إيران والإخوان المسلمين مألوف للغاية مع أن مصالح هاتين الجهتين وحلفاءهما متباينة بشكل جذري ما يقوّي الشك في أن الغاية من هذه المزاعم إيجاد كبش محرقة لصرف الانتباه الشعبي إلى عدوّ خارجي(١٨).

نتيجة للطائفية الجديدة، ازداد العنف المذهبي انتشاراً في المنطقة، وتفسّخ البناء الاجتماعي الذي كان يجمع بين السنّة والشيعة في عدد من الدول الشرق أوسطية. ومع أن الغرب لم يعتمد الخطاب الطائفي بشكل مباشر، فقد قبل بالمنطق الطائفي لتهميش الشيعة وتلقائياً إيران. وهذا جزء من مخطط أوسع لعزل إيران، يشمل خوض صراع بالوكالة في سوريا، ولذلك لا تضغط الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بقوة على حلفائهم في الخليج لخفض حدّة الطائفية.

لا ريب أن الطائفية بقيت عدة قرون قوة دافعة للحروب الأهلية والعنف في أوروبا، والشرق الأوسط، وشبه القارّة الهندية. والإشارة إلى الطائفية تعني ضمناً من وجوه عديدة أن الصراعات بين الأديان وداخل الأديان نفسها قائمة على كراهية قديمة، وعلى انعدام عقلانية يجافي التحليل، وأن دراسة الصراعات الطائفية لا طائل منها كون هذه الصراعات معتمِدة على أسس ثقافية.

لكنّ نوع الطائفية السياسية الذي يتحدث عنه هذا الكتاب لا يبرز إلّا في ظروف معيّنة، ولا سيما حين يقترن باقتصاد سياسي، وبمفهوم يقوم على تحديد من يحصل على الشيء وماهيّة هذا الشيء ومتى يحصل عليه وأين وممّن. وعلى سبيل المثال، ترسّخت الطائفية السياسية في بلاد المشرق في العهد العثماني وإبّان الحكم الاستعماري الفرنسي بسبب تقنين وضعية الطوائف في النظامين السياسي والقضائي ومن خلال إقصاء بعض الطوائف وخضوعها لهيمنة طوائف أخرى(١٩). وقد استخدم لبنان طوال عقود

---

(١٨) قطر هي الدولة الوحيدة العضو في مجلس التعاون الخليجي في مساندتها لفروع الإخوان المسلمين في المنطقة. وسنناقش هذه المسألة لاحقاً في هذا الكتاب.

(١٩) انظر على سبيل المثال: Ussama Samir Makdisi, *The Culture of Sectarianism: Community, History, and Violence in Nineteenth-Century Ottoman Lebanon* (Berkeley, CA: =

كمضرب مثل بأن نار الطائفية السياسية والحرب الأهلية يُذكيها تدخّلُ جهات خارجية، منها القوى الاستعمارية السابقة، والولايات المتحدة، وإسرائيل، وإيران، وسوريا، والمملكة العربية السعودية[٢٠].

كما رسّخ البريطانيون نظماً ملكية في الخليج موالية لهم وضمنوا بقاءها، وقد غدت محميّات تابعة للإمبراطورية البريطانية في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر. واعتمدت هذه الإمارات الخليجية على الدعم الخارجي دائماً لتدفع عن نفسها شرور جيرانها الأكبر منها والثورات المحلّية. وحين سحبت بريطانيا قواتها المسلّحة من الخليج في سنة ١٩٧١، أصبحت البحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان دولاً مستقلّة عن بريطانيا، وتولّى الأمريكيون تأدية دور الضامن الأمني للخليج. وتنافست على النفوذ منذ ذلك الحين، وعلى نحو سافر، القوى الإقليمية الثلاث وهي إيران والعراق والمملكة العربية السعودية[٢١].

إن تاريخ الصراعات بالوكالة مع إيران بعد العام ١٩٧٩، والخوف الشديد من الطموحات التسلّطية الإيرانية في الخليج ولّدت ارتياباً مرضياً في عقليات حكام الخليج حين يتعلق الأمر بإيران[٢٢]؛ إذ شعروا في الوقت

= University of California Press, 2000); Max Weiss, *In the Shadow of Sectarianism: Law, Shi'ism, and the Making of Modern Lebanon* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010), and Benjamin Thomas White, *The Emergence of Minorities in the Middle East: The Politics of Community in French Mandate Syria* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2011).

(٢٠) Samir Khalaf, *Civil and Uncivil Violence in Lebanon: A History of the Internationalization of Communal Conict* (New York: Columbia University Press, 2002).

(٢١) نالت الكويت استقلالها في سنة ١٩٦١. انظر: F. Gregory Gause III, *The International Relations of the Persian* Gulf (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2010).

(٢٢) هذا الإحساس قوي بخاصة لدى الأسرة الحاكمة في البحرين، وهو نابع جزئياً من حقيقة أن وسائل الإعلام الإيرانية مثل صحيفة **كيهان** اليمينية تشير إلى البحرين من حين إلى آخر بالإقليم الرابع عشر في إيران. ومرّت البحرين بمراحل مختلفة في التاريخ خضعت فيها لحكم إيران آخرها في عهد الإمبراطورية الصفوية إلى القرن الثامن عشر، لكنّ إيران تخلّت عن مطالبتها التاريخية بالبحرين في عهد الشاه محمد رضا بهلوي في سنة ١٩٧٠، وأفضى استفتاء أشرفت عليه الأمم المتحدة في السنة ذاتها إلى أن أغلبية البحرينيين، سنّة وشيعة، أرادوا أن تكون البحرين دولة عربية مستقلة عوضاً عن أن تكون إقليماً إيرانياً. انظر: International Crisis Group [ICG], «Popular Protests in North Africa and the Middle East (III): The Bahrain Revolt,» *Middle East/North Africa Report*, no. 105 (6 April 2011), p. 11, <http://www.crisisgroup.org/en/publication-type/media-releases/2011/mena/the-bahrain-revolt.aspx>.

عينه بارتياب، لا يقلّ حدّة، من سياسة الشارع التي تمنح الشعوبَ منبراً وصوتاً على شاكلة ميدان التحرير، الأمر الذي يتناقض تماماً مع النظم الملكية المطلقة التي يشكّلون جزءاً منها. وهذا يفسر سبب خوف حكام الخليج الشديد حين اقترنت حركةٌ احتجاجية ضخمة شهدت مشاركة قوية من شيعة الخليج بمخاوفهم من الشيعة وإيران وصوحب باحتقار لسياسة الشارع، ويفسّر طريقة ردّهم على الربيع العربي بالقمع وإشاعة النعرة الطائفية التي قسّمت مجتمعاتهم إلى معسكرين **الأول** «سنّي» **والثاني** «شيعي»، وهو ما أوجد خليجاً طائفياً بالمعنى الحرفي للكلمة.

الفصل الأول

النفط والإله واللؤلؤ

«الشعب يريد إصلاح النظام»

«إخوان سنّة وشيعة، وهذا الوطن ما نبيعه»

«لا سنّية لا شيعيّة وحدة وحدة وطنية»

شعارات رُفعت في دوار اللؤلؤة،

١٦ شباط/ فبراير ٢٠١١

كانت أول مرة سافرت فيها بالطائرة إلى المنامة، عاصمة مملكة البحرين، في سنة ٢٠٠٨ في أثناء طريقي لإجراء عمل ميداني موضوعه الشيعة في الخليج، ولا سيما الذين يقطنون في المحافظة الشرقية في المملكة العربية السعودية التي تتصل بمملكة البحرين عبر جسر الملك فهد، جلست بجانب أمريكي ستينيّ من الغرب الأوسط وكان في طريقه إلى حقول النفط في الظهران في المحافظة الشرقية. لم أرَ من قبل شخصاً يحتسي المسكرات بهذه الكمية في طائرة ـ ترك لديّ انطباعاً بأن هذا هو البار الأخير قبل دخول جهنم وأنه حريّ بنا أن نشرب منه بقدر ما نستطيع، وكان سيستقلّ سيارة أجرة تنقله من مطار المنامة وتعبر به الجسر نحو المملكة العربية السعودية حيث يُحظر شرب المسكرات. وبما أنني كنت سأتوجّه بالطائرة من البحرين إلى الرياض بعد ثلاثة أيام، بالتمام؛ حيث سأبقى هناك عدة شهور، حسبتُ أنه سيكون من الحكمة أن أنضمّ إليه، وإلى وافدين آخرين وعدد قليل من المهنيّين العرب في المقاعد القريبة،

في شرب أكواب الويسكي والجين المجّانية فيما كانت أضواء مصافي النفط المحاذية للخليج تتلألأ أسفل منّا. قام بهذه الرحلة عشرات المرّات وكان يعرف جميع حقول النفط والمصافي النفطية بدءاً بجنوب العراق ومدينة عبادان الإيرانية المطلّة على الخليج ومروراً بالكويت وانتهاءً بساحل المحافظة الشرقية في المملكة العربية السعودية والبحرين. وربما ليس هناك طريقة أفضل لفهم كثافة الحقول النفطية وأهمية المنطقة لصناعة النفط العالمية من ركوب الطائرة ليلاً حين تضيء ألسنةُ النيران الصاعدة في السماء من مصافي التكرير.

يتمتع المسلمون الشيعة بحضور قويّ في المنطقة التي حلّقنا فوقها، مع أنهم لا يشكلون سوى أقلّية إسلامية في العالم ـ يشكلون تقريباً بين ١٠ و١٣ في المئة من مجموع المسلمين البالغ نحو ١,٦ مليار مسلم[١]. يشكّل الشيعة أغلبية في جنوب العراق، حيث يوجد قسم كبير من النفط العراقي، وحيث قمع صدام حسين بوحشية انتفاضة غلب عليها الطابع الشيعي في سنة ١٩٩١ عقب حرب الخليج الأولى. راقب الأمريكيون ذلك القمع من بعيد، لكن حين غزوا العراق في سنة ٢٠٠٣، سُلّمت السلطة لشيعة العراق، واستطاع شيعة الخليج إحياء الروابط القديمة بأشقائهم العراقيّين، من خلال زيارة العتبات، والدراسات الدينية، والتجارة، والزيجات المختلطة، واستلهموا من التمكين السياسي للشيعة العراقيّين. وإذْ رأت الأسرة السعودية الحاكمة في خلع صدام غلطة تاريخية وهجوماً على سيادة السنّة في الشرق الأوسط، رحبّت الأقلّية الشيعية السعودية في المنطقة الشرقية بالغزو آنذاك، مُخبرين الدبلوماسيّين الأمريكيّين في البلاد عن مدى ارتياحهم لرؤية الشيعة العراقيّين قادرين على ممارسة شعائر مذهبهم بحرّية وتقرير مصيرهم السياسي، وعن أملهم بتحقيق الأمر ذاته في المملكة العربية السعودية أيضاً[٢].

(١) أعداد السكان عائدة إلى سنة ٢٠١٠. انظر: Pew Research Center, «The Future of the Global Muslim Population: Projections for 2010-2030,» Pew Forum (14 January 2011), p. 153 ff, <http://www.pewforum.org/The-Future-of -the-Global-Muslim-Population.aspx>.

(٢) انظر برقية دبلوماسية أمريكية سرّبها موقع ويكيليكس: From Embassy Riyadh to Secretary of State, «Al-Hasa Shi'a Welcome U.S. Intervention in Iraq, Seek Improvements at Home,» 3 January 2006, (06RIYADH42), <http://wikileaks.org/cable/2006/01/06RIYADH42.html>.

للشيعة حضور واسع في المناطق الساحلية المطلّة على الخليج في. المملكة العربية السعودية التي تمتدّ من الكويت وتقابل البحرين وتنتهي بالإمارات العربية المتحدة، ففي الكويت، يشكّل الشيعة من ٢٠ إلى ٣٠ في المئة من السكان. وهم متحالفون مع الأسرة الحاكمة منذ مدة طويلة وذلك سبب ثراء كثيرين منهم. وفي مملكة البحرين، يشكّل الشيعة من ٦٠ إلى ٧٠ في المئة من السكان، ويتّسم وضعهم بحساسية أشدّ بكثير على الصعيد السياسي. وسيكون في استطاعتهم إسقاط النظام السياسي بتسيير مظاهرات في الشوارع وكذلك بالوسائل الديمقراطية إن هم عملوا كمجموعة متماسكة وأُتيح لهم التمتّع بتمثيل مناسب في نظام ديمقراطي(٣)، ويوجد في المملكة العربية السعودية ما يقارب المليونين شيعي تعيش أغلبيتهم في المحافظة الشرقية وهم منتشرون في محيط واحتي الأحساء والقَطيف(٤).

في جوار هذه المناطق العمرانية الشيعية في المحافظة الشرقية أقام الأمريكيون وشركاؤهم من أبناء الأسرة السعودية الحاكمة بلدات نفطية جديدة في خمسينيات القرن الماضي ـ الظهران، والخبر، والدمّام ـ فضلاً عن مجمّع ضخم لشركة الزيت العربية السعودية (أرامكو)، وهي الشركة النفطية الأمريكية سابقاً والسعودية حالياً، وهذا المجمّع كان مقصد رفيقي في السفر في أثناء رحلتي إلى المنامة. بيّن لي أن القوانين كانت مختلفة في الأيام الغابرة حين كان في مقدور الغربيّين فعل ما يشاؤون. كانت تلك، في نظره، الطريقة الوحيدة التي تمكّن المرء من العيش في المملكة، في

(٣) للاطلاع على معلومات أساسية عن الواقع الديمغرافي والتاريخ السياسي لشيعة الخليج، انظر: Graham E. Fuller and Rend Rahim Francke, *The Arab Shi'a: The Forgotten Muslims* (New York: St. Martin's Press, 1999); Laurence Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf* (New York: Columbia University Press, 2008); Yitzhak Nakash, *Reaching for Power: The Shi'a in the Modern Arab World* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006), and Michael Stephens, «Ashura in Qatar,» Open Democracy (26 November 2012), <http://www.opendemocracy.net/michael-stephens/ashura-in-qatar>.

(٤) المملكة العربية السعودية المعاصرة موطن ما يقارب ثلاثمئة ألف إسماعيلي أيضاً في محافظة نجران المحاذية لليمن، فضلاً عن طائفة اثني عشرية يبلغ تعدادها عشرات الآلاف في المدينة المنورة، إضافة إلى عشرات الآلاف من الشيعة الذين يقيمون في المركزين الحضريَّين الرئيسَين في الرياض وجدّة بسبب النزوح الداخلي.

مجمّع معزول ومحميّ من العرب ومن الصحراء المحيطة به، أنشأت أرامكو في ثلاثينيات القرن الماضي مجمّعات وتجمّعات سكنية لها أبواب للوافدين الأمريكيّين في المملكة[٥]. ولا تزال أغلبية الغربيّين في الخليج تعيش في مثل هذه المجمّعات ذات الأبواب والأسوار العالية التي يحرسها رجال مسلّحون، ويجهلون إلى حدّ بعيد ويرتابون في كل من هو خارج هذه الأسوار وخارج منافذ منازلهم ومكاتبهم.

لكنّ رفيقي في السفر أوصاني أولاً بأحد فنادق البحرين ذكر أنه كان ينزل فيه في السنين القليلة الماضية، فندق تكلفته معقولة وطعامه جيّد وموظّفوه ودودون. افترقنا في قاعة الوصول في المنامة حيث يُفصَل المسافرون إلى ثلاث مجموعات: مجموعة الخليجيّين، نسبة إلى الخليج، ويحمل أفرادها جوازات سفر صادرة عن دول مجلس التعاون الخليجي؛ ومجموعة الأجانب، وتشمل الوافدين الغربيّين والزوّار؛ ومجموعة تضمّ في الأساس العمال القادمين من الهند وجنوب آسيا الذين يصلون ومعهم أمتعة قليلة للعمل لقاء بضع مئات من الدولارات في الشهر في حرّ شبه الجزيرة العربية اللاهب كعمّال بناء في تشييد القصور وناطحات السحاب وشقّ الطرق السريعة أو كعمّال تنظيف أو نُدُل أو خدم منزليّين أو حتى جنود اعتُمد عليهم في سحق الثورة العرَضية[٦]. كان شعار مملكة البحرين في سنة ٢٠٠٨ لا يزال «البحرين الصديقة للأعمال»، ومواطنو الدول الغربية يُمنحون تأشيرات حال وصولهم، وهو إجراء تعسّر كثيراً عقب وصول عدد كبير جداً من الصحافيّين والمنظمات غير الحكومية والباحثين عقب انتفاضة سنة ٢٠١١ للتحقيق في القمع الوحشي للمتظاهرين. وربما لا داعي إلى القول إنه استُعين بالشعار مرّة أخرى بعد انتفاضة سنة ٢٠١١ لأنه ليس أكثر بُعداً عن الحقيقة من شعار آخر استُخدم للترويج لسباق الفورمولا ١ في سنة ٢٠١٢: «دولة واحدة تحتفل».

---

(٥) Robert Vitalis, *America's Kingdom: Myth Making on the Saudi Oil Frontier*, 2nd ed. (London: Verso, 2009).

(٦) للاطلاع على وصف لحقائق التمييز التي يعانيها العمال الوافدون الهنود في البحرين، انظر: Andrew M. Gardner, *City of Strangers: Gulf Migration and the Indian Community in Bahrain* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010).

استقلّيت سيارة أجرة نقلتني إلى الفندق المقترَح، وتساءلت وأنا أركب السيارة عما سيكشفه حديثي مع سائقها، وما إذا كنت سأعتبر، مثل عدد من المسافرين المعاصرين، آراءه انعكاساً للوضع السائد في البلاد حالياً، وما إذا كان سيؤكد ما قرأته عن المنطقة سابقاً. عرفت أن سائق سيارة الأجرة شيعي من الخاتم الذي وضعه في يده اليمنى. إن لبس الخاتم، الذي يمكن أن يُصنع من أحجار كريمة متنوّعة تُنقَش عليها كلمة «لا إله إلّا الله»، تقليد كان أئمّة الشيعة أوّل من استحدثه، فبدا عليه الارتباك عندما سألته عنه؛ إذ إن زبائنه الأجانب ـ رجال أعمال غربيون، وعمّال في قطاع النفط، وجنود ـ لا يهتمّون عموماً بالقضايا الدِّينية والسياسية المحلّية، فأجابني بصوت منخفض: «أجل أنا شيعي ونحن نشكّل الأغلبية في هذا البلد لكنّ الأسرة الحاكمة سنّية؛ لذلك لدينا مشكلات كثيرة معهم». قُدّر لي أن أتعلّم كثيراً عن تاريخ شيعة الخليج وسياستهم في السنين اللاحقة، لكن حتى هذه المحادثة الأولى جعلتني أتساءل إن كان التهميش السياسي لشيعة الخليج قنبلة موقوتة.

اتضح أنّ الفندق برج شاهق يتقاضى رسوماً مرتفعة في منطقة الجُفَير، فاستأجرت غرفة ونزلت إلى أحد البارات الذي تميّز بمستوى ضجيج منخفض. جلس بقربي زوجان ألمانيان، كان الرجل يعمل في حلبة سباق الفورمولا ١ والمرأة تعمل في شركة إعلانات محلّية. وسبق أن عمل الرجل في حلبة هوكنهايم لسباق السيارات في ألمانيا، لكن بعد أن أصبحت سباقات الفورمولا ١ بإدارة بيرني إكليستون اسماً عالمياً، أوجدت لها مكاناً في مناطق غنية بالمال، مثل: البحرين وأبو ظبي وسنغافورة وشنغهاي، وهي أماكن لديها موازنات غير محدودة تقريباً لتطلب استضافة سباقات الفورمولا ١، وقد قدِم هذا الرجل ليبحث عن فرصة في الخليج. كانت البحرين توّاقة إلى الترويج لصورتها كمركز للأعمال الحرّة من خلال الفورمولا ١، وهي خطّة حقّقت قدراً من النجاح حتى سنة ٢٠١١ حين أُلغي السباق في غمرة الاحتجاجات الضخمة والقمع العنيف الذي أعقبها في تلك السنة، ثم قرّرت الأسرة الحاكمة تنظيم السباق مجدّداً في سنتي ٢٠١٢ و٢٠١٣، لكنّ الحدث أفقد الدولة صدقيتها في سنة ٢٠١٢ عندما سلّطت وسائلُ الإعلام الأجنبية

الضوء على وحشية الشرطة وغياب الإصلاح في الجزيرة الصحراوية(٧).

وفي الفندق كان هناك نحو مئتي جندي أمريكي من الأسطول الأمريكي الخامس، وسرعان ما وجدت نفسي أتحدث إلى بعض الجنود الذين قصّوا عليّ قصصاً عن المعارك في العراق وفي أفغانستان وعن رتابة الحياة في القاعدة البحرية الأمريكية في البحرين التي تضمّ مقرّ الأسطول البحري الأمريكي الخامس. يعدّ هذا الأسطول ركيزة أساسية للجيش الأمريكي، وهو الذي يتولّى الإشراف على القوات البحرية المنتشرة في الخليج والبحر الأحمر وبحر العرب وسواحل شرق أفريقيا، مع إنه لم تنقضِ سوى ساعات قليلة على قدومي إلى مملكة البحرين، وسرعان ما وجدت نفسي وسط مجموعة مُربَكة من المصالح الاستراتيجية، والموارد، والحروب، والهُويات التي تشكّل الشرق الأوسط المعاصر. كانت البحرين والمحافظة الشرقية في المملكة العربية السعودية في قلب ذلك كلّه.

لكنّ العالم بدا مختلفاً تماماً بعد ثلاث سنوات، وتحديداً في ١٥ شباط/ فبراير ٢٠١١ حين سافرت إلى المنامة مرّة أخرى، وبدأت الشعوب العربية بإسقاط حكامها المستبدّين في مختلف أنحاء المنطقة. وقبل أيام معدودة فحسب، فرّ الرئيس التونسي زين العابدين بن علي إلى المملكة العربية السعودية لتصبح منفاه الذي يقيم فيه ورمزاً حيّاً على مدى تناقض مقاربة المملكة في تعاطيها مع الربيع العربي. ومع أنّ سنة ٢٠١١ شهدت حركات احتجاجية امتدّت من تشيلي إلى الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا، كان العرب يُظهرون للعالم بحقّ كيفية تعبئة الناس وكيفية إسقاط الطغاة، فيما أزاح المصريون حسني مبارك عن السلطة للتوّ. ومع ذلك، انشغل السياسيون والمحللون في تسلية أنفسهم بقول إن هذه الدولة لا تشبه

---

(٧) وصفت صحيفة ذي إنديبندنت السباق بأنه «أحد أكثر السباقات إثارة للجدل في تاريخ الرياضة». انظر: Jerome Taylor and David Tremayne, «Rage against the Formula One Machine,» *Independent*, 22/4/2012, <http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/rage-against-the-formula-machine-7665991.html>.

للاطلاع على تفاصيل متعلقة بمشاركة أمراء الخليج والمستثمرين الخليجيين في حلبة الفورمولا ١، انظر: Christopher Davidson, *After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies* (London: Hurst and Company, 2012), pp. 92-93, 122, 206 and 209.

تلك، وإن تونس ومصر استثناءان في بحر الدول الدكتاتورية، وإنه يستحيل أن تشهد سوريا ودول الخليج خصوصاً، مثل: مملكة البحرين والمملكة العربية السعودية حركات احتجاجية[٨].

قُتل أحد المتظاهرين، قبل يوم من سفري بالطائرة إلى البحرين في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١١، فيما كان يحاول الوصول إلى دوار اللؤلؤة، وهي مفترق طرق مركزي في المنامة. أحسست بشيء من الخوف، فسألت المرأتين البحرينيتين اللتين كانتا جالستين بقربي في الطائرة عن رأيهما في ما حدث، لكنهما أجابتا بأنه ينبغي ألا أقلق؛ لأن هناك احتجاجات طوال الوقت وأنها قائمة في البحرين منذ عقود، كانتا تشيران إلى فترة تعبئة شعبية متواصلة بدأت في سنة ١٩٩٤ ولم تتوقّف إلّا في سنة ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١ حين مدّ الملك حمد عاهل البحرين الجديد يده إلى جماعات المعارضة، وأعادها من المنفى، ووعد بإصلاحات سياسية جذرية تقرّر الشروع فيها عقب التصويت على ميثاق عمل وطني. وأشير في هذا الصدد إلى أنّ هذا الميثاق نال موافقة بما يشبه الإجماع في استفتاء أجري في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠٠١، لكنّ الوعود بإصلاح سياسي جوهري لم تتحقّق لأنّ الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أصدر دستوراً جديداً اختلف اختلافاً كبيراً عن الميثاق الذي وافق عليه البحرينيون، ضامناً إحكام الأسرة الحاكمة قبضتها على السلطة وعدم امتلاك النصف المنتخب من أعضاء البرلمان غير سلطات محدودة. كما إن الأمير حمد غيّر في سنة ٢٠٠٢ اسم البلاد التي يحكمها فأصبح «مملكة البحرين» بعد أن كان «دولة البحرين» وسمّى نفسه ملكاً بعد أن كان أميراً[٩]. وأراد النظام البحريني استخدام الذكرى السنوية العاشرة لهذا الاستفتاء كأداة دعائية بالتخطيط لإقامة مهرجانات ونشر

---

(٨) انظر على سبيل المثال: Stephen M. Walt, «Why the Tunisian Revolution Won't Spread,» *Foreign Policy* (16 January 2011), <http://walt.foreignpolicy.com/posts/2011/01/15/why_the_tunisian_revolution_ wont_spread>.

(٩) International Crisis Group [ICG], «Popular Protests in North Africa and the Middle East (III): The Bahrain Revolt,» *Middle East/North Africa Report*, no. 105 (6 April 2011), p. 11, <http://www.crisisgroup.org/en/publication-type/media-releases/2011/mena/the-bahrain-revolt.aspx>, and J. E. Peterson, «Bahrain: Reform, Promise and Reality,» in: Joshua Teitelbaum, ed., *Political Liberalization in the Persian Gulf* (New York: Columbia University Press, 2009), pp. 157-185.

إعلانات تُثني على مسيرة الإصلاح ذات الأعوام العشرة في أنحاء البلاد كافة، لكنّ فكرته أخفقت.

بدا كل شيء طبيعياً في مطار المنامة، ولم أصادف مشكلة في أثناء توجّهي بالسيارة إلى الفندق، لكن عندما توجّهت إلى المطعم العربي في الطابق الأخير في فندقي في تلك الأمسية لآكل ما يسدّ رمقي، سمعت صفّارات الإنذار وهدير المروحيات وهي تحوم فوق المدينة وبخاصة فوق دوار اللؤلؤة.

كنت قد رتّبت أمر رحلة البحث قبل عدة أسابيع من غير أن أتفطّن إلى صفحة على الفايسبوك دعت إلى تنظيم «يوم غضب» في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١١، وأردت إجراء مقابلات مع قدامى اليساريين والقوميّين العرب والحركات الشيوعية في الخليج، لكن عندما التقيت بأحد أصدقائي على مأدبة غذاء متأخرة في ١٦ شباط/ فبراير، لم يشأ التحدث عن تاريخ الاحتجاجات الشعبية والتعبئة السياسية اليسارية في البحرين لأسباب أتفهّمها وأراد مناقشة الحوادث الجارية عوضاً عن ذلك. كما أراد الذهاب إلى دوار اللؤلؤة الذي اتضح بحلول ذلك الوقت أنه تحت سيطرة المحتجين وبات يشار إليه بميدان التحرير على نحو متزايد، تقديراً لمركز الاحتجاجات بالقاهرة. وكان المحتجّون قد تجمّعوا في دوار اللؤلؤة عصر يوم ١٥ شباط/ فبراير عقب مقتل متظاهر ثانٍ؛ حيث شارك في تشييع جنازته أكثر من ألف شخص مشوا صباح يوم ١٦ شباط/ فبراير من المستشفى والمشرحة الرئيسة، في مجمّع السلمانية الطبّي، إلى المقبرة[١٠].

---

(١٠) بما أن مجمّع السليمانية الطبّي يضمّ المشرحة الرئيسة في البحرين وأن عشرات الأشخاص لقوا حتفهم أو أصيبوا بجروح بالغة بنيران القوى الأمنية في شباط/ فبراير وآذار/ مارس ٢٠١١، كانت الاحتجاجات ومواكب الجنائز تبدأ بالسليمانية بانتظام وكانت الاحتجاجات تنظَّم خارج المستشفى. وزعم النظام لاحقاً أن المحتجين استولوا على المستشفى وجعلوا منه قاعدة اتصالات «لانقلابهم» الذين خططوا له. وأطلق النظام حملة إعلامية قوية لتشويه سمعة الفريق الطبّي الذي قدّم العلاج للمحتجين المصابين في السليمانية، وقدّم عدداً من أفراده للمحاكمة. للاطلاع على مناقشة للحوادث التي وقعت في السليمانية، انظر: Bahrain Independent Commission of Inquiry, «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» 23 November 2011, pp. 171-217, <http://www.bici.org.bh>.

انظر أيضاً: Doctors Without Borders, «Health Services Paralyzed: Bahrain's Military Crackdown on Patients,» (April 2011), <http://www.doctorswithoutborders.org/publications/article.cfm?id=5171>.

اصطحبني صديقي وزوجته بسيارتهما في تلك الأمسية وتوجّهنا نحو الدوار مغادرين مدينة المنامة القديمة منعطفين إلى اليسار ومتجاوزين ناطحات السحاب؛ حيث المجمّعات التجارية، لكنّنا اضطررنا إلى التوقّف على بُعد بضع مئات من الأمتار من الدوار في المركز المالي للمدينة؛ إذْ كانت الطرق مقطوعة ليس فقط بسبب شرطة مكافحة الشغب بل بعدد لا يُحصى من السيارات الفارغة، قدم الآلاف لمشاهدة ما كان يجري. وعلى العكس من الحال في القاهرة؛ حيث يأتي أغلب المحتجين مستقلّين وسائل النقل العام، أتى معظم المحتجين بسياراتهم، ما أعطى الاحتجاجات هنا بُعداً معرقلاً جديداً. وعندما ذكرت لصديقي أن العدد الهائل من السيارات الصامتة بدا أشبه ببداية «ثورة سيارات»، أجابني مع ابتسامة «في المحصلة، هذا هو الخليج»، خرجنا من السيارة ومشينا نحو التمثال المتوهّج الأبيض في وسط الدوار وبفضل الإضاءة في المساء، بدا أن لنصب اللؤلؤة جاذبية تشبه السحر. انتصب في وسط الدوار نصب لمركب دهو الشراعي ـ وهو مركب إبحار محلي تقليدي ـ مع ستة أقواس للشراع تمثّل الدول الست الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي، وعلا النصبَ مجسّم للؤلؤة؛ إذْ إن الغوص لاصطياد اللؤلؤ كان أحد أركان اقتصاد البحرين قبل اكتشاف النفط. ومع دُنوّنا من النصب أمكننا سماع أصوات الآلاف، وصيحات المايكروفونات الضخمة، والنفخ بالأبواق، والموسيقى، والمحرّكات. لكنّ أكثر ما أذهلني حين وقفنا أخيراً في دوار اللؤلؤة مدى الارتياح الذي بدا على الجميع هناك؛ إذ تجمّع الآلاف في الدوار، وقُتل اثنان كانا يحاولان الوصول إليه، لكنني أحسست مساء ١٦ شباط/ فبراير أن اصطحابك أسرتك للمشاركة في مظاهرة في قلب العاصمة أمر بدهي، وفي غضون سويعات، نصب المعتصمون خياماً وشاشات ومطابخ مؤقتة ومراكز طبّية ومحطّات لشحن الهواتف الجوالة ومنصة للخطباء.

مضينا أولاً لرؤية زملاء صديقي، وكانوا مجموعة من الرجال المسنّين في خيمة كبيرة تجمّعت فيها المجموعات اليسارية المعارضة على اختلاف مشاربها، سعت طوال عقود لـ «تحرير» البحرين. كانت بريطانيا القوة الاستعمارية في الخليج منذ أواخر القرن الثامن عشر، وأقامت علاقة مع آل خليفة بموجب معاهدة في سنة ١٨٢٠ اعترفت فيها بآل خليفة حكاماً على

البحرين، كما أقامت بريطانيا قاعدة للبحرية الملكية في البلاد، وعلى أرضها أقيمت قاعدة للأسطول الخامس الأمريكي عقب استقلال البلاد بشكل رسمي في سنة ١٩٧١؛ لذلك، فيما خاض اليساريون نضالاً طويلاً ضدّ الاستعمار، تُركوا في قبضة أسرة آل خليفة الحاكمة التي كانت كغيرها من الأسر الخليجية الحاكمة أشبه بنتاج حماية بريطانية[١١]. كان الخليج حلبة أساسية في الحرب الباردة لأن كلاً من الكتلة السوفياتية و«الغرب» أراد ضمان السيطرة على الموارد النفطية الضخمة في المنطقة. تمتّعت الجماعات اليسارية، بدءاً بالقوميّين العرب والناصريّين والبعثيّين وانتهاءً بالشيوعيّين، بشعبية كبيرة جداً في الخليج بين خمسينيات وسبعينيات القرن الماضي وشكّلوا تهديداً حقيقياً لبقاء الأسر الملكية الموالية للغرب، وتمتّعوا بالقوة على الخصوص في البحرين والكويت والمحافظة الشرقية في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان، وجُنّد كثير من الشيعة في هذه الحركات التي وعدت بمساواتهم برفاقهم السنّة. كما شارك عدد من البحرينيّين في ثورة ظفار في سلطنة عُمان بين عامي ١٩٦٥ و١٩٧٦. وانطلاقاً من هناك أرادوا تحرير شبه الجزيرة العربية والدول الخليجية، ثم باقي أرجاء الوطن العربي وفلسطين في نهاية المطاف، لكنّ ضبّاط الاستعمار البريطاني وحلفاءهم في الأسر الخليجية الحاكمة قمعوا اليساريّين بقسوة وخسر اليساريون شعبيتهم في الخليج آخر الأمر[١٢].

كان هذا الاعتصام في دوار اللؤلؤة أقرب ما يكون إلى ثورة شعبية تمكّن المعتصمون من تجييشها بعد عقود من السياسة المعارِضة، وكانوا ذوي حنكة سياسية إلى حدّ عدم السماح بإضاعة هذه الفرصة. كانت جمعية العمل الوطني الديمقراطي ـ وعد[١٣]، وهو حزب يساري قومي

---

(١١) Nelida Fuccaro, *Histories of City and State in the Persian Gulf: Manama Since 1800* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2009); Fuad I. Khuri, *Tribe and State in Bahrain: The Transformation of Social and Political Authority in an Arab State* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 1980), and Emile A. Nakhleh, *Bahrain: Political Development in a Modernizing Society* (Lexington, MA: Lexington Books, 1976).

(١٢) عبد النبي العكري، **التنظيمات اليسارية في الجزيرة والخليج العربي** (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٣).

(١٣) حزب «العمل الوطني الديمقراطي» واختصاراً «وعد».

عربي، إلى جانب جمعية الوفاق الوطني الإسلامية (الشيعية)[١٤]، الفصيلَين السياسييْن الوحيدَين اللذَين أيدا صراحة احتجاجات ١٤ شباط/فبراير، وقُدّر لهما أن يدفعا ثمناً غالياً لقاء ذلك في الشهور التالية، لكنّ المعنويات في تلك الأمسية كانت مرتفعة. تواجد في تلك الخيمة بعض الناشطين السياسيّين المخضرمين مثل الأمين العام لحزب وعد إبراهيم شريف، وهو شخصية سنّية من أسرة جاءت أصلاً من إيران. تجمّع عدد من الشباب اليساريّين أمام الخيمة وثبّتوا مكبّرات صوت أذاعوا من خلالها ترنيمات الحركات اليسارية العربية الثورية: تحرّر وطني، عدالة، حرّية، اشتراكية. قالوا إنهم من بين أوائل الواصلين إلى الدوار لكنهم أقرّوا بأنهم مجرّد مجموعة صغيرة وأن أغلبية المعتصمين هنا تعبّئهم الجماعات الإسلامية بوتيرة بطيئة. ومع أن عدداً منهم كان من الشيعة، تحدّثت إلى عدد من السنّة، شيباً وشباباً، ممن اعتصموا في الدوار وساندوا المطالب الأساسية للمعتصمين، مثل: منح الجمعية المنتخبة مزيداً من السلطات وصياغة دستور جديد.

كان في عداد هذه المجموعة الصغيرة جداً امرأة سنّية كرّرت الدعوات المطالِبة بالديمقراطية، وحقوق الإنسان، والكرامة. وقد شكّل ظهورها تبايناً صارخاً مع وصف الإعلام الرسمي للمعتصمين بأنّهم عصابات إسلامية مسلحة وشيعية محضة تسيطر عليها إيران، وقُدّر لي أن ألتقي بها مرّة أخرى بعد ثلاثة شهور لتحدثني عن أسباب خلافها مع الأشخاص الذين اعتصموا في الدوار وانضمامها إلى المظاهرات الموالية للنظام.

ابتعدتُ عن اليساريّين وتجوّلت في المكان، نُصبت مئات الخيام ومُدت الفُرُش في اليومين الأوّلَين، وكان المعتصمون عازمين على نصب المزيد. وفي غضون يوم، أقيمت مطابخ مؤقتة زُوّدت بقدور ضخمة لتوزيع الكعكات الصغيرة، وأطباق الأرز مع القريدس (الربيان) الذي يتمّ اصطياده من المياه المحيطة بالبحرين، والفاكهة، والشاي، والعصير، والماء. دفعني

---

(١٤) أُسست «جمعية الوفاق الوطني الإسلامية»، واختصاراً «الوفاق» في سنة ٢٠١١ لتكون جماعة جامعة تضم التيارات السياسية والدينية الشيعية الرئيسة (حزب الدعوة، وحزب الله، ومجموعات من الشيرازيين). وسنتطرّق إلى هذه الجماعات الشيعية بالتفصيل لاحقاً.

فضولي إلى الاستفسار عن كيفية إقامة هذه البنية التحتية في هذا الوقت الوجيز، فقال لي أحد المتطوعين إنها مقدّمة في معظمها من المآتم أو الحسينيات في مدينة المنامة القديمة. هناك في الأزقّة القديمة في العاصمة، يحيي الشيعة ذكرى استشهاد الإمام الحسين في الأيام الأولى من شهر محرّم وفي يوم عاشوراء؛ إذ تشكل المآتم مكوّناً أساسياً في تلك المواكب، ولذلك فإن الموظفين والمتطوعين فيها معتادون تدبّر أمر إطعام أعداد غفيرة من الناس. وقد نقلوا الآن معداتهم إلى الدوار، ومن خلال هذه البنية التحتية أمكن إقامة هذا المعسكر الاحتجاجي.

أثار ذلك كله السؤال المهم الآتي: هل كان ذلك اعتصاماً «شيعياً» من البداية، أم أنّ الدولة أضفت عليه صبغة طائفية كوسيلة لقمعه؟ أغلبية المعتصمين كانت من الشيعة ـ لكنّ أغلبية المواطنين في البحرين شيعة كذلك، وبالتالي، ينبغي ألا يشكّل الخليط الديمغرافي مفاجأة. والأهم من ذلك أنّ مطالب المعتصمين لم تكن طائفية، في الأيام الأولى على الأقل. ففي ذلك اليوم الأول، أكثر المطالب التي سمعتها كان متواضعاً، «الشعب يريد إصلاح النظام»، مقتبسين شعار المحتجّين في القاهرة وتونس («الشعب يريد إسقاط النظام») لكن مع الاستعاضة بكلمة «إصلاح» عن كلمة «إسقاط». طالب المعتصمون بإخلاء سبيل السجناء السياسيّين، ورفع الحظر عن السفر، وصياغة دستور جديد، واحترام حقوق الإنسان. وعلت صيحات كثيرة أصلاً طالبت باستقالة رئيس الوزراء الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة الذي مضى على وجوده في السلطة أربعة عقود، منذ أن نالت البحرين استقلالها، وهو بذلك أطول رئيس وزراء غير منتخب مدّةً في العالم. لا ريب أن استقالته غدت صيحة التعبئة الأساسية في الأيام التالية، وكانت الصور والشعارات المندّدة به منتشرة في الدوار.

كان في إمكان السنّة ذوي التوجّه الإصلاحي القبول في البداية بأغلبية مطالب المعتصمين في دوار اللؤلؤة. وهذه الإمكانية المبكرة لتعبئة متنوّعة طائفياً حول قيم ومطالب أساسية هي التي بدت الأشدّ خطراً على الأسرة الحاكمة وعلى الأسر الملكية الخليجية بالتأكيد. إن للتعاون السنّي الشيعي في المعارضة تاريخاً في البحرين، ولا سيما في حقبة الحركات اليسارية بين خمسينيات وسبعينيات القرن الماضي، وفي العقد الأول من القرن

الحالي وإن على نطاق محدود[١٥]. كما شهدت الانتفاضة في تسعينيات القرن الماضي قدراً من التعاون بين اليساريّين والإسلاميّين الشيعة. رفعت تلك الانتفاضة كثيراً من المطالب التي تُرفع في احتجاجات اليوم، كانت حرباً خاضتها الأغلبية الشيعية على الخصوص لتحصيل مزيد من الحقوق السياسية ومواجهة القمع الذي انتهجه النظام[١٦]. ومع تواصل الاعتصام في سنة ٢٠١١، غدا بعض الرموز أكثر ارتباطاً بتاريخ التعبئة السياسية الشيعية في البحرين: عُلّقت ملصقات لمن سقط من الشهداء حتى ذلك الحين ولعدد من السجناء السياسيّين وأظهرت ملصقات أخرى صور شهداء انتفاضة تسعينيات القرن الماضي. ورفعت النسوة اللاتي افترشن العشب المحيط بالدوار صور سجناء اعتُقلوا في الشهور والسنين الماضية، علماً بأن عدداً من السجناء الذين أُفرج عنهم في غضون أيام قلائل أعيد اعتقالهم مجدداً في حملة القمع التالية في أواسط آذار/ مارس.

ظهر منذ البداية أن نسبة كبيرة من المحتجين أتت من خلفيات إسلامية، فعدد من المحتجّين ساندوا جمعية الوفاق، وهي تكتل إسلامي شيعي سعى إلى العمل من خلال النظام السياسي الحالي. صحيح أنّ جمعية الوفاق نالت ثمانية عشر مقعداً من أصل المقاعد الأربعين المنتخَبة في البرلمان البحريني، لكنّ جميع أعضاء البرلمان المنتمين إلى الجمعية قدّموا استقالاتهم في ١٥ شباط/ فبراير عقب مقتل أول متظاهر رمياً بالرصاص.

ظهر الشيخ علي سلمان، الأمين العالم لجمعية الوفاق الوطني، أول مرة في ليلتي الأولى التي قضيتها في الدوار، في ١٦ شباط/ فبراير، وخطب في المعتصمين. وكان قد خرج للتوّ من اجتماع مع وليّ العهد

(١٥) Marc Valeri, «Contentious Politics in Bahrain: Opposition Cooperation between Regime Manipulation and Youth Radicalisation,» in: Hendrik Kraetzschmar, ed., *The Dynamics of Opposition Cooperation in the Arab World: Contentious Politics in Times of Change* (New York: Routledge, 2012), pp. 129-149.

(١٦) Munira Fakhro, «The Uprising in Bahrain: An Assessment,» in: Gary Sick and Lawrence Potter, eds., *The Persian Gulf at the Millennium: Essays in Politics, Economy, Security, and Religion* (New York: St. Martin's Press, 1997), pp. 167-188, and Ute Meinel, *Die Intifada im ölscheichtum Bahrain: Hintergründe des Aufbegehrens von 1994-1998* (Münster: Lit-Verlag, 2003).

الأمير سلمان بن حمد آل خليفة؛ حيث أمل الطرفان في التوصل إلى حلّ سياسي، وبُذلت جهود مشتركة بشكل متقطّع في غضون الشهر التالي(١٧). لكنّ الحضور لم يقتصر على أعضاء الوفاق؛ إذ وُجد آخرون غايتهم إسقاط الحكم الملكي جملة واحدة. أضف إلى ذلك أن عدداً من الأشخاص الذين اعتصموا في الدوار هم مساندون لحزبين إسلاميَّين محظورَين ورافضَين الانخراط في الدولة والمشاركة في الانتخابات: حركة حقّ وتيار الوفاء(١٨). كان حسن مشيمع، الأمين العام لحركة حقّ لا يزال يتلقّى العلاج الطبي في لندن عند بدء الاعتصام، وتواجد في الدوار أشخاص ينتظرون عودته، وهو عاد إلى البحرين بعد مرور بضعة أسابيع على الانتفاضة.

أشارت الشعاراتُ التي كُتبت على بعض الخيام والملصقاتُ التي تدلّت من أشجار النخيل المحيطة بدوار اللؤلؤة إلى وجود جماعة شيعية أخرى ناشطة في المكان تدعى الشيرازيون، وهي حركة شيعية عابرة للحدود أُسست في سبعينيات القرن الماضي وتستمدّ اسمها من اسم المرجع الدِّيني محمد مهدي الشيرازي(١٩). كان الشيرازيون قد خططوا لانقلاب للاستيلاء على السلطة في البحرين في سنة ١٩٨١، لكنّ المكيدة أُحبطت وأُلقي القبض على عدد من منفّذيها. ومع أن الشيرازيّين مثّلوا دائماً أقلية في المشهد السياسي الشيعي في البحرين(٢٠)، لكنهم يشكلون أقوى فريق

(١٧) Bahrain Independent Commission of Inquiry, «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» p. 72 f.

(١٨) حركة حق: حركة الحرّيات والديمقراطية وتيار الوفاء الإسلامي. لا يوجد أحزاب سياسية رسمية بموجب القانون البحريني، وإنما جمعيات سياسية تعمل كأحزاب من الناحية الفعلية، ويتعين تسجيل هذه الجمعيات لدى الحكومة ويمكن حلّها، لكنّ الحق والوفاء رفضتا تسجيل نفسيهما.

(١٩) تلك كانت شعاراتٍ استُخدمت فيها عبارة الطليعة (شباب الطليعة) على اسم حركة شيرازية سياسية قديمة كانت تُدعى «حركة الرساليين الطلائع». للاطلاع على معلومات أساسية عن الشيرازيين، ولا سيما في المملكة العربية السعودية. انظر: Fouad Ibrahim, *The Shi'is of Saudi Arabia* (London: Saqi Books, 2006); Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf*, and Toby Matthiesen, «The Shia of Saudi Arabia: Identity Politics, Sectarianism and the Saudi State,» (PhD Dissertation, School of Oriental and African Studies, University of London, 2011).

(٢٠) الشيرازيون في البحرين منتظمون رسمياً في «جمعية العمل الإسلامي» التي حُظرت في حزيران/ يونيو ٢٠١٢. للاطلاع على معلومات أساسية عن الجماعات السياسية الشيعية المتنوعة =

سياسي في الوسط الشيعي في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية. وعندما ترى شعارات الشيرازيّين في دوار اللؤلؤة، لن تكون في حاجة إلى قفزة فكرية لتتساءل إن كان بعض فصائل الحركة الشيرازية سينظّم احتجاجات عما قريب في المحافظة الشرقية. وبالفعل، نظّم بضع عشرات من الشباب مظاهرة صامتة بعد يوم واحد في ١٧ شباط/ فبراير في العوّامية، وهي قرية تعدّ مرتعاً لخطّ أكثر ميلاً إلى الصدام في أوساط الشيرازيّين السعوديّين.

إلى جانب بروز الإسلاميّين الشيعة، أذكر كما لو أن المنظر ماثل أمامي، عشرات الشباب في دوار اللؤلؤة جالسين قبالة شاشة عرض وكان هناك بضعة أجهزة تلفزيونية وآلات عرض في محيط الدوار، والناس يشاهدون في الأغلب تقريراً إخبارياً دولياً عن الحوادث الجارية في البحرين عبر محطات تلفزيونية ترعاها إيران، مثل: قناة العالم التي تبثّ باللغة العربية، لأنها كانت الوحيدة تقريباً التي تغطي الحوادث في تلك المرحلة، لكنّ هذه المجموعة من الشباب جلست تشاهد مباراة في كرة قدم بين فريقي الأرسنال وبرشلونة. وكوني أقمت في شمال شرق لندن في السنين القليلة الماضية، أصبحتُ أحد مشجّعي فريق الأرسنال، ومع أنّني لست مشجعاً متحمّساً، أثار اهتمامي رؤيةُ شغف شباب بحرينيّين بهذه المباراة حتى في غمرة هذا الصراع السياسي. بدت لعبة كرة القدم استراحة محبَّذة للابتعاد عن السياسة، وكان الحشد مشجعاً متحمّساً لفريق برشلونة الذي بدا متفوّقاً في المناورة على فريق الأرسنال.

غادرتُ دوار اللؤلؤة في وقت متأخر في ذلك المساء، وتوجّهت إلى بار في فندق برفقة عدد قليل من الأصدقاء. وبعد أن أبهجني الجوّ الممتع في

= النشطة في البحرين وفي أثناء الانتفاضة، انظر: ICG, «Popular Protests in North Africa and the Middle East (III): The Bahrain Revolt».

انظر أيضاً: عباس ميرزا المرشد وعبد الهادي خواجة، **التنظيمات والجمعيات السياسية في البحرين: دراسة وصفية وحقوقية** (المنامة: فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)؛ فلاح عبد الله المدَيرس، **الحركات والجماعات السياسية في البحرين، ١٩٣٧ ـ ٢٠٠٢** (بيروت: دار الكنوز الأدبيـــــة، ٢٠٠٤)، و Sajjad Rizvi, «Shi'ism in Bahrain: Marja'iyya and Politics,» *Orient*, no. 4 (2009), pp. 16-24.

الدوار، امتلأت حيوية وأملاً بما ستحفل به الأيام القادمة، بدا وقتذاك أنّ القمع مستحيل ـ لا ريب أنّ أحداً لن يرتكب مجزرة تحصد نساء مسنّات وأطفالاً صغاراً وهم نيام في الدوار. كانت وقائع تلك المباراة تُبَثّ في الباحة الخلفية لبار الفندق ولم يبق على انتهائها غير ثلاثين دقيقة وكان الأرسنال لا يزال خاسراً. واصلت الحديث في السياسة مع البحرينيّين لقد بدَوا متفائلين، لكنهم قالوا إن الأسرة الحاكمة قوية وينبغي عدم الاستهانة بها؛ وإنها لن تسقط في غضون أسابيع كما سقط مبارك. والمفاجئ أنّني سمعت صياح حفنة من الوافدين البريطانيّين في زاوية الحانة بعد أن سجّل الأرسنال هدفين وفاز في المباراة. زاد الفوز فرحتي، مع أنّ البحرينيّين المسنّين كانوا أكثر انشغالاً بكيفية التغيير في بلادهم أخيراً منهم بكرة القدم.

عدت إلى الفندق في وقت قريب من الساعة الثانية صباحاً من يوم ١٧ شباط/ فبراير لأدوّن ملاحظات سريعة عما شاهدته، وعن حجم الاحتجاجات غير المتوقَّع. وفيما هممتُ بالذهاب إلى الفراش عند الساعة الثالثة صباحاً تقريباً، اتصل بي صديق ليقول «يجري ارتكاب مجزرة! إنهم يهاجمون الدوار». أدرت التلفاز وحاسوبي المحمول لكنّي لم أجد مصدراً ذكر الخبر، ومن ثَمّ ظهرت التقارير الأولى شيئاً فشيئاً على مواقع التواصل الاجتماعي. بقيت مسمَّراً أمام الإنترنت في الساعات القليلة التالية، وبعد مدة بدأ بعض المحطات التي تبثّ باللغة الإنكليزية بإذاعة تقارير عن المداهمة، لكنّ محطة الجزيرة التي كانت تنقل الحوادث من ميدان التحرير في القاهرة على مدار الساعة لم تتطرّق إلى هذه القصة؛ لأن القطريّين أبدوا قلقاً من تفشّي الاحتجاجات في الدول الخليجية(٢١).

---

(٢١) كانت تغطية الجزيرة الناطقة بالإنكليزية أفضل. أذاعت في ٤ آب/ أغسطس ٢٠١١ برنامج «الصراخ في الظلام» (Shouting in the Dark)، وهو برنامج وثائقي مدته خمسون دقيقة يحكي عن الانتفاضة في البحرين من الأيام الأولى في الدوار. يصور البرنامج الروح السائدة في الدوار، بطريقة متقنة على نحو استثنائي، ويُظهر أيضاً الوجه الوحشي لحملة القمع ويشرح الحوادث التي وقعت في مجمّع السليمانية. ومع أنه تسبب في أزمة دبلوماسية شديدة بين البحرين وقطر، فقد استدلّ به مدراء قناة الجزيرة في زعم أن شبكتهم غطّت الاحتجاجات البحرينية بطريقة موضوعية نسبياً، لكنّ الجزيرة التي تبثّ بالإنكليزية أقل تأثيراً بكثير، بعكس الجزيرة العربية، وهي ليست موجّهة إلى العرب، ولذلك لم تشكّل إذاعة تقارير عن البحرين على القناة الإنكليزية تهديداً مماثلاً. مقابلة مع مدير رفيع في مكتب الجزيرة بالمملكة المتحدة، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢. البرنامج متاح على الموقع: <http://www. aljazeera.com/programmes/2011/08/201184144547798162.html>.

طوّقت أربع كتائب ـ الشرطة، وجهاز الأمن الوطني، ودائرة التحقيقات الجنائية التابعة لوزارة الداخلية، واستخبارات قوة دفاع البحرين ـ منطقة دوار اللؤلؤة بأسرها، فيما رابطت وحدات أخرى تابعة لقوات الدفاع البحرينية في الجوار. وبعد مرور بضع دقائق على حثّ الناس على مغادرة الدوار، دخلوا المكان من جميع جوانبه وهاجموا المعتصمين بالغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي، ما تسبب في مقتل ثلاثة أشخاص وجرح العشرات، سوّوا الخيام بالأرض وأحرقوا ما خلّفوه وراءهم[٢٢]. انتهى الربيع الخليجي قبل أن يبدأ، وأثبتت الأسر الخليجية الحاكمة أنها لن تتورّع عن إطلاق النار على مواطنيها إن هم بالغوا في المجاهرة بالمطالبة بالإصلاح، لكنّ الأسوأ لم يكن قد وقع بعد.

في غضون يوم، وصلتُ إلى البحرين لمعايشة بدايات ثورة، ومناقشات سياسية حول مستقبل هذا البلد، واحتجاجات في دوار اللؤلؤة، ثم شاهدت بداية الثورة المضادّة التي سرعان ما شملت دولاً أخرى في المنطقة. وجدت صعوبة في النوم في تلك الأمسية في وسط مدينة المنامة، بسبب هدير المروحيات الغربية الصنع فوق فندقي والتعليقات الملآى بالأخبار المرعبة والصور المروّعة المنشورة على موقع تويتر. لكنّ الصورة التي باتت ترمز إلى حوادث تلك الأمسية كانت صورة فوتوغرافية لجمجمة شخص هشّمتها رصاصة أُطلقت من مسافة قريبة سال منها دماغه.

الثورة المضادّة أشدّ هولاً من الثورة، وبخاصة عندما تكون الثورة مخملية كتلك التي في الدوار، ولذلك أحكمتُ إغلاق باب غرفتي في الفندق بقدر ما أستطيع.

---

(٢٢) للاطلاع على تسلسل زمني للحوادث التي وقعت في احتجاجات في شباط/ فبراير-آذار/ مارس ٢٠١١، انظر: Bahrain Independent Commission of Inquiry, «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» pp. 165-169; Cortni Kerr and Toby C. Jones, «Revolution Paused in Bahrain,» *Middle East Report Online* (23 February 2011), <http://www.merip.org/mero/mero022311>, and Lin Noueihed and Alex Warren, *The Battle for the Arab Spring: Revolution, Counter-Revolution and the Making of a New Era* (New Haven, CT: Yale University Press, 2012), pp. 135-163.

الفصل الثاني

اللعبة الطائفية الكبيرة

البحرين «أفضل حليف للولايات المتحدة من بين كل حلفائها حول العالم».

وليام كروي

القائد السابق لقوة الشرق الأوسط ورئيس هيئة الأركان المشتركة(*)

إن المظاهرات الضخمة التي نُظّمت في تونس ومصر واليمن والبحرين، والخوف من إمكانية تنظيم مظاهرات في الدول الخليجية الأخرى جعل الأُسر الحاكمة في الخليج في حالة تأهّب قصوى. وكان قد بُدئ بتسيير مظاهرات صغيرة في سلطنة عُمان في كانون الثاني/ يناير ٢٠١١، وشهدت المملكة العربية السعودية والكويت احتجاجات محدودة في الأسابيع التالية. وقد تفاوتت ردّات فعل النظم بين دولة وأخرى، ففي المملكة العربية السعودية، تمثّل الردّ باستمالة المعارضين، وقمعهم، وبالخطاب الطائفي. ومزجت سلطنة عُمان القمع مع الإصلاح مستهلّة بعض التغييرات في الحال. واختلّ النظام في الكويت بسبب حركة احتجاجية داخلية قادها أساساً السنّة والبدون، وهم أشخاص غير محددي الجنسية، فيما احتشد الشيعة الكويتيون دعماً للاحتجاجات التي شهدتها مملكة

(*) نقلاً عن: Charles W. Moore, «MOORE: Bahrain, a Vital U.S. Ally: Backing Protesters Would Betray a Friend and Harm American Security,» *Washington Post*, 30/11/2011, <http://www.washingtontimes.com/news/2011/nov/30/bahrain-a-vital-us-ally>.

البحرين والمملكة العربية السعودية، ولم يسلم من الحركات الاحتجاجية غير قطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وإن تعالت أصوات مطالبة بالتغيير. وفي الإمارات العربية المتحدة، بدا ردّ النظام قمعياً، ولا سيما الموجَّه ضدّ الناشطين في مجال حقوق الإنسان والفرع المحلّي للإخوان المسلمين، وأبعدت قطر شبح المطالب السياسية في الداخل باضطلاعها بدور أساس في الربيع العربي من خلال مشاركتها العسكرية في ليبيا، ومساندتها الثوار السياسيّين ولا سيما عبر قناة الجزيرة التي تموّلها قطر والتي أثبتت أن تغطيتها أدت دوراً حاسماً في إسقاط الرئيس المصري حسني مبارك.

وفي البحرين، ردّت أسرة آل خليفة الحاكمة بحملة قمعية وأجرت اتصالات بحلفائها في العواصم الخليجية الأخرى، فتلقّت دعماً من دولة الإمارات العربية المتحدة وكذلك من قطر وسلطنة عُمان والكويت، لكنّ العاصمة السعودية الرياض التي تبعد مسافة بضع مئات من الأميال في عمق الصحراء العربية، هي التي كانت الأكثر استماعاً وتفهّماً لدعوات آل خليفة؛ إذ لطالما كانت البحرين في نظر أسرة آل سعود الحاكمة أشبه بجزء من المملكة العربية السعودية باعتمادها، على نحو متزايد، على السعوديّين في دعم اقتصادها، بل أمنها. إنها تشاطر آل خليفة الاعتقاد بأن التهديد الشيعي يستلهم من إيران أو يتلقّى دعماً منها لتكسب موطئ قدم لها في مجلس التعاون الخليجي - وهو أمر لا يمكنها التسامح معه، لكنّ الأمر الذي كان مصدر قلق خاص للسعوديّين لم يكن مجرّد إمكانية إقامة ملكية دستورية أو ديمقراطية حقيقية في مملكة البحرين فحسب، بل الخوف من أن تُجرِّئ الاحتجاجاتُ - التي تشهدها البحرين - الشيعةَ الذين في المحافظة الشرقية على العصيان والمطالبة بمزيد من الحقوق، وهي خطوة يمكن أن تُغري في النهاية مواطنين سعوديّين آخرين أيضاً بالمجاهرة بمطالبهم. وفي الواقع، جاء الردّ السعودي على الربيع العربي بأكمله، سواء في الداخل أم في الخارج، مدفوعاً بخوف من إمكانية بروز معارضة للأسرة الحاكمة توحّد السنّة والشيعة. ولإضعاف مثل هذه الحركة المتنوعة طائفياً، لعبت الأسرة الحاكمة على وتر المخاوف الطائفية بشكل متزايد لإعادة توجيه دفة

انتقاد السياسة المحلية باتجاه خطاب وطني مناوئ لإيران ولنظام بشار الأسد في سوريا[١].

عندما صرف كلٌّ من الدول الخليجية وإيران أنظاره إلى سوريا، أضفى على الثورة هناك صبغة طائفية، رابطاً هذه الصراعات المختلفة في عيون كثيرين بصراع طائفي أكبر[٢] وكي نفهم شدّة ارتياب حكام الخليج من التدخّل الإيراني «في الشؤون الداخلية» بحسب وصف سياسيّي دول مجلس التعاون الخليجي[٣]، يتعيّن على المرء أن يعاود النظر إلى التوترات التي أعقبت الثورة الإيرانية وأنشبت في النهاية الحربَ الباردة السعودية ـ الإيرانية في الشرق الأوسط. المملكة العربية السعودية وإيران متنافستان بديهيتان على الصعيد الجيوسياسي في منطقة الخليج بسبب مساحتيهما وثروتيهما النفطيتين، والمنافسة التي بينهما سبقت الثورة الإيرانية في سنة ١٩٧٩، علماً بأن الدولتين كانتا قبلها حليفتين للولايات المتحدة. وتُعزى أغلبية وجوه العداوة بينهما إلى الواقع الجيوسياسي لا إلى الدِّين، واختزالُها بصراع سنّي شيعي تبسيط مفرط. ومع ذلك، يستخدم الطرفان الدِّين في صراع القوى هذا كأداة خطابية وأداة سياسية خارجية.

بعد الثورة الإيرانية، سعت إيران إلى منافسة المملكة على زعامة الأمّة الإسلامية، لكنّ جهودها أخفقت إلى حدّ بعيد في النهاية، ونموذجُها الثوري استهوى الشيعة في الأساس. وبلغ الاحتقان في علاقاتهما الثنائية ذروته في ثمانينيات القرن الماضي لأسباب ليس أقلّها إعانة المملكة ودول خليجية أخرى العراقَ بالمال في حربه مع إيران، لكنّ العلاقات تحسّنت عقب وفاة آية الله الخميني في سنة ١٩٨٩. وفي تسعينيات القرن الماضي،

---

(١) Madawi al-Rasheed, «Sectarianism as Counter-Revolution: Saudi Responses to the Arab Spring,» *Studies in Ethnicity and Nationalism*, vol. 2, no. 3 (December 2011), pp. 513-526.

(٢) حسام عيتاني، «شيعة ـ فوبيا،» **الحياة**، ٣١/ ٨/ ٢٠١٢، <http://alhayat.com/Opinions Details/430593>.

(٣) انظر مثلاً البيان الصادر عن وزارة الخارجية البحرينية في أيار/ مايو ٢٠١٢: «Bahrain Warns Iran Against Meddling in Its Affairs,» Agence France-Presse, 17 May 2012, <http://en-maktoob.news.yahoo.com/bahrain-warns-iran-against-meddling-affairs-141816264.html>.

سعت دول خليجية عديدة، منها المملكة العربية السعودية، إلى تنفيس الاحتقان مع إيران ولو جزئياً[٤]، لكن مع بداية الربيع العربي وخطر وصول الاحتجاجات إلى الديار، عادت المملكة العربية السعودية والبحرين، ومعظم الدول الخليجية، إلى اعتماد حكاية الخطر الطائفي كخطاب رئيس لنزع الشرعية عن الاحتجاجات الشعبية، وذلك زاد العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإيران سوءاً من جديد. بعبارة أخرى، إنه من الأفضل النظر إلى كيفية استخدام النخبِ الدِّينَ وتلاعبهم به لغايات سياسية بدلاً من تفسير الصراعات التي اكتسحت المنطقة بمجرد الإشارة إلى الشقاق القديم في قلب الإسلام.

علا شأن الطائفة في العقود الماضية كمعلم هُوية في المجتمعات الشرق أوسطية المختلَطة، فانتصار الثورة الإيرانية في سنة ١٩٧٩ أحيا في الحركات الإسلامية الشيعية العربية الأمل، ولا سيما في الخليج والعراق ولبنان[٥]. وحولّ كذلك إيران من حليف للغرب إلى عدوّ له وللأسر الخليجية العربية الحاكمة، وحمل بعضها على مناصرة النزعة الإسلامية السنّية رداً على مزاعم الإيرانيّين قيادة الأمّة، أعني جماعة المؤمنين المسلمين.

إن وصول الحركات الإسلامية الشيعية إلى السلطة في لبنان وتمكين الشيعة العراقيّين بعد سنة ٢٠٠٣ أبطل افتراضاً قديماً مفاده أن الشيعة العرب لن يضطلعوا بدور سياسي ذي شأن، وشجعت تطلّعات شيعة الخليج، لكنّ العنف الطائفي الذي شهده العراق عقب غزو أراضيه بقيادة

---

(٤) انظر: Saeed M. Badeeb, *Saudi-Iranian Relations, 1932-1982* (London: Saqi Books, 1993); Henner Fürtig, *Iran's Rivalry with Saudi Arabia between the Gulf Wars* (Reading, UK: Ithaca Press, 2002); Christin Marschall, *Iran's Persian Gulf Policy: From Khomeini to Khatami* (London: Routledge, 2003), and Frederic Wehrey [et al.], *Saudi-Iranian Relations Since the Fall of Saddam: Rivalry, Cooperation, and Implications for U.S. Policy* (Santa Monica, CA: RAND National Security Research Division, 2009), <http://www.rand.org/pubs/monographs/MG840.html>.

(٥) للاطلاع على معلومات أساسية عن هذا الموضوع، انظر: Graham E. Fuller and Rend Rahim Francke, *The Arab Shi'a: The Forgotten Muslims* (New York: St. Martin's Press, 1999); Laurence Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf* (New York: Columbia University Press, 2008), and Yitzhak Nakash, *Reaching for Power: The Shi'a in the Modern Arab World* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006).

الولايات المتحدة في سنة ٢٠٠٣ أضرّ بالعلاقات بين الطوائف في المنطقة. إن الخليج الطائفي عائد جزئياً إلى تداعيات محلية متصلة بهذه الحوادث الإقليمية الكبيرة، أعني الثورة الإيرانية والحرب الأهلية في العراق فضلاً عن المنافسة السعودية ـ الإيرانية، لكنه رد فعل مختلف على الربيع العربي يأخذ شكل تلاعب مقصود وخطِر بالهُويات الطائفية من جانب الأسر والنظم الحاكمة ضماناً لبقائها السياسي.

بالنظر إلى تفسير الإسلام الذي يهيمن على الخطاب العلني السعودي، وأعني الوهّابية، تمثّل المملكة العربية السعودية المركز العقائدي المناهض للمذهب الشيعي. ومن المعلوم أنّ الشيخ محمد بن عبد الوهّاب، وهو فقيه من منطقة نجد الواقعة في وسط الجزيرة العربية ومؤسس الوهّابية، أقام حلفاً مع أسرة آل سعود في أواسط القرن الثامن عشر، وسعت الأيديولوجيا الوهّابية إلى العودة إلى النبع الصافي للإسلام وإلى استئصال ما تعتبره انحرافات عن الإسلام الصحيح[٦]، كان المسلمون الشيعة هدفاً مفضَّلاً لتعصبها الديني، وبخاصة الشيعة المقيمون في شرق شبه الجزيرة العربية. وقد ضمت القوى السعودية الوهّابية مراراً هذه المنطقة الخصبة وهي ضمن حدود الدولة السعودية[٧]. ولا تزال معاداة التشيّع إلى يومنا هذا إحدى ركائز التفسير الوهّابي للإسلام. واستمرّ الشيوخ السعوديون البارزون في إصدار الفتاوى والكتيّبات المناهضة للشيعة والطوائف الأخرى التي يُزعم أنها مرتدَّة طوال القرن العشرين؛ حيث وُزّعت في المملكة على نطاق واسع لتوعية الرأي العام هناك. وبالنظر إلى المكانة المحورية للمملكة في العالم الإسلامي كونها حامية لمكانين مقدّسَين في الإسلام، مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وبالنظر إلى قوة الإمبراطورية الإعلامية السعودية، حازت هذه الأحكام أهمية تخطت أراضي المملكة، وأثّرت في الجماعات الجهادية السلفية

---

(٦) David Commins, *The Wahhabi Mission and Saudi Arabia* (London: I. B. Tauris, 2006); Natana J. Delong-Bas, *Wahhabi Islam: From Revival and Reform to Global Jihad* (London: I. B. Tauris, 2007), and Nabil Mouline, *Les Clercs de l'Islam: Autorité religieuse et pouvoir politique en Arabie Saoudite, XVIIIème-XXIème siècle* (Paris: Presses Universitaires de France, 2011).

(٧) Guido Steinberg, *Religion und Staat in Saudi-Arabien: Die wahhabitischen Gelehrten, 1902-1953* (Würzburg: Ergon Verlag, 2002), pp. 484-505.

وأذكت نار الصراع الطائفي في شتى ربوع العالم[٨]. وفيما يركّز كثير من هذه الأحكام على قضايا عقائدية، استهدف بعضها المجتمعات الشيعية المحلية مباشرة[٩].

يتركز الشيعة الاثنا عشرية في منطقتي القطيف والأحساء أساساً، وتشكّل المدينتان الساحليتان صفوى في الشمال وسيهات في الجنوب، وجزيرة تاروت الموصولة بالقطيف بواسطة جسر، تجمعاً عمرانياً الآن يضمّ ما يصل إلى مليون نسمة. وفي واحة الأحساء الداخلية التي تبعد نحو ١٤٠كلم عن القطيف، يوجد نحو ١٨٠كلم٢ من الحدائق وبساتين النخيل والقرى المحيطة بمدينتي الهفوف والمبرّز اللتين تشكلان الآن منطقة عمرانية واحدة. يبلغ عدد القاطنين هناك نحو مليون وهم منقسمون مناصفة إلى سنّة وشيعة. وبقيت الهفوف عاصمة المنطقة الشرقية إلى سنة ١٩٥٣ حين نُقلت العاصمة إلى مدينة الدمام التي شُيّدت لاستضافة صناعة النفط الناشئة آنذاك، ولم يكن فصل العاملين الأمريكيّين في قطاع النفط والوافدين الآخرين عن التجمّعات السكنية القديمة التي تسكنها أغلبية شيعية من قبيل الصدفة، وقد أدّى هذا الفصل بين القديم والجديد إلى تخلّف في المناطق الشيعية. وعندما تنقّلت بالسيارة في محيط القطيف والقرى المحيطة في أثناء إجرائي بحثاً ميدانياً هناك في سنة ٢٠٠٨، وجدت بعض المناطق أشبه بأحياء فقيرة طرقها ترابية ومراكزها المدينية متآكلة.

---

(٨) انظر على سبيل المثال: Guido Steinberg, «The Wahhabiyya and Shi'ism, from 1744/1745 to 2008,» in: Ofra Bengio and Meir Litvak, eds., *The Sunna and Shi'a in History: Division and Ecumenism in the Muslim Middle East* (New York: Palgrave Macmillan, 2011), pp. 163-182; Guido Steinberg, «Jihadi-Salafism and the Shi'is: Remarks about the Intellectual Roots of Anti-Shi'ism,» in: Roel Meijer, ed., *Global Salasm: Islam's New Religious Movement* (London: Hurst; New York: Columbia University Press, 2009), pp. 107-125.

(٩) إحدى أشهر الأطروحات المناوئة للشيعة من المملكة العربية السعودية أطروحة ناصر بن سليمان العمر وهي بعنوان: «واقع الرافضة في بلاد التوحيد،» [د. ن.: د. ت.]، <http://ar.islamway.net/book/3165>.

أُعدت الأطروحة في سنة ١٩٩٣، وهي تحليل سطحي لسياسة الشيعة وشعائرهم الدينية في المملكة العربية السعودية، وهي تصفهم بأنهم كفرة وخطر على أمّة المسلمين وجماعتهم. انظر أيضاً: Raihan Ismail, «The Saudi Ulema and the Shi'a of Saudi Arabia,» *Journal of Shi'a Islamic Studies*, vol. 5, no. 4 (Fall 2012), pp. 403-422.

كان لأهمية الزراعة وملكية الأراضي في القطيف على مرّ تاريخها، ولطبيعة مصدر الثروة الرئيس الثاني في المنطقة، تجارة اللؤلؤ، دور في نشوء طبقة أعيان شيعية ثرية أقامت في بلدة القطيف القديمة. ومع هذه الأُسر المرموقة أبرم عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، اتفاقاً حين فتح المنطقة في سنة ١٩١٣ فحواه: «حافظوا على هدوئكم، واملِكوا زمام مواطنيكم، وفي مقابل ذلك، مارسوا في السرّ شعائركم»(١٠). ومع نشوء الدولة السعودية التي فتحت مدينتي مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة المشرّفتين في سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥، أشرف العلماء الوهّابيون على الشؤون الدِّينية والتعليم، وسعوا إلى فرض نظام أخلاق عامّة من خلال شرطة دينية. وفيما كانت المنطقة الشرقية بواحاتها وموانئها مكوّناً محورياً في الحسابات السياسية والاقتصادية السعودية، فقد زادها اكتشاف النفط أهمية في ثلاثينيات القرن الماضي. اكتُشفت أعظم الاحتياطيات النفطية في العالم في المنطقة الشرقية التي يتواجد فيها الشيعة بشكل كبير التي اشتبهت السلطة في كونهم متعاطفين مع جهات أجنبية، في إشارة إلى إيران(١١).

وعلى مرّ السنين في حقول النفط القريبة لدى شركة أرامكو النفطية، وُجد حاجز خفي اعترض ترقية الشيعة. وبدأ الشيعة باعتناق أيديولوجيات ثورية تراوحت بين القومية العربية بنماذجها المتنوّعة بين أربعينيات وستينيات القرن الماضي والإسلام الحركي الشيعي منذ سبعينيات القرن الماضي وأخيراً النشاط الشبابي في سنة ٢٠١١. وانتشرت الأيديولوجيات

---

(١٠) استمرّ العمل بهذه الصفقة بشكل عام إلى سنة ١٩٧٩ حين ثار محتجون ينتظمون في الجماعة الإسلامية الشيعية الرئيسة في المنطقة ـ جماعة الشيرازيين ـ على تمييز الدولة ضدّ الشيعة وعلى تواطؤ نخبتهم مع سياسات الدولة. للاطلاع على تفاصيل عن اتفاقية سنة ١٩١٣، انظر حمزة الحسن، **الشيعة في المملكة العربية السعودية**، ٢ ج (بيروت: مؤسسة البقيع لإحياء التراث، ١٩٩٣)، ج ٢: **العهد السعودي، ١٩١٣ ـ ١٩٩٠**، ص ١٢؛ و Fouad Ibrahim, *The Shi'is of Saudi Arabia* (London: Saqi Books, 2006), p. 25, and Toby Matthiesen, «The Shia of Saudi Arabia: Identity Politics, Sectarianism and the Saudi State,» (PhD Dissertation, School of Oriental and African Studies, University of London, 2011), p. 127ff.

(١١) تضاءلت نسبة الشيعة في المنطقة الشرقية بسبب هجرة العمالة والموظفين إلى المنطقة، لكن لا يزال لهم حضور كبير فيها.

الإسلامية الحركية الشيعية في المنطقة الشرقية في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي بعد أن نقلها طلاب المعاهد الشرعية الشيعة السعوديّون الذين تلقّوا علومهم في مدينة النجف في العراق ومدينة قم في إيران، وشكّلوا خلايا سرّية بمساعدة شيوخ عراقيّين وإيرانيّين مقيمين في الكويت.

كانت هذه الخلايا مسؤولة عن انتفاضة الشيعة السعوديّين في القطيف والقرى المحيطة في أواخر سنة ١٩٧٩ ـ وهي سنة الثورة الإيرانية ـ وفي مطلع ثمانينيات القرن الماضي. تزامنت هذه الانتفاضة مع احتلال الحرم المكّي من جماعة من المتمرّدين السنّة في ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩. شكّل احتلال هذه البقعة الواقعة في قلب العالم الإسلامي صدمة للسلطات السعودية، ولا بدّ من أن أولى المظاهرات التي سارت في القطيف، بعد خمسة أيام فحسب، قد أنذرتها باحتمال اندلاع ثورة تتجاوز الخطوط الطائفية(١٢). اشتُهرت الجماعة المسؤولة عن انتفاضة المنطقة الشرقية بالشيرازيين، ولاقت انتفاضتهم الدعم الأكبر في القرى؛ حيث الفقر منتشر والخدمات ضعيفة، وحيث يمكن تلمّس الآثار السلبية لصناعة النفط في البيئة بوضوح شديد في انخفاض مستويات المياه الجوفية وتسمّم التربة، ما ألحق أضراراً بالإنتاج الزراعي. لكنّ الحرس الوطني السعودي سحق الانتفاضة، الأمر الذي أدّى إلى وقوع عشرات الإصابات(١٣).

وفي السنين التالية، غادر مئات الشباب السعوديّين الشيعة المحافظة الشرقية للالتحاق بالحركة الشيرازية في إيران. وبعد أن هزّت الكويتَ حملةُ تفجيرات دبّرها مسلحون إسلاميون شيعة، وعقب المحاولة الانقلابية التي قام بها الجناح الشيرازي في البحرين في سنة ١٩٨١، غدا اعتبار الشيعة

---

(١٢) احتلّ المهاجمون بقيادة جُهيمان العُتيبي المسجد الحرام في مكّة المكرّمة طوال ثلاثة أسابيع. ليس لجماعة العتيبي صلة بالانتفاضة الشيعية، مع أن بعض المراقبين رأوا العكس وقتذاك، وكان قوامها عناصر قبلية ساخطة ومسؤولين سابقين في الحرس الوطني. انظر: Thomas Hegghammer and Stéphane Lacroix, «Rejectionist Islamism in Saudi Arabia: The Story of Juhayman al-'Utaybi Revisited,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 39, no. 1 (2007), pp. 103-122, and Yaroslav Trofimov, *The Siege of Mecca: The Forgotten Uprising* (London: Allen Lane, 2007).

(١٣) Toby Craig Jones, *Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010), pp. 179-216.

طابوراً خامساً تابعاً لإيران وعدواً من الداخل يعمل سراً لتخريب البلاد، هو الأساس في التفكير الاستراتيجي لحكام الخليج(١٤).

لكنّ الحركات السياسية الشيعية الخليجية تخاصمت بمرور الوقت مع الإيرانيّين. وفي سنة ١٩٩٣، أبرم الشيرازيون السعوديون اتفاقاً مع الملك فهد منحهم عفواً عاماً وزرع في نفوسهم الأمل بتحسّن أوضاعهم السياسية والدِّينية والاجتماعية ـ الاقتصادية. ومع أنه بات يُسمح لهم الآن بتسيير مواكب علنية في مناطق ذات أغلبية شيعية مثل القطيف، استمرّ التحريض والتمييز المناوئ للشيعة، وعلى الرغم من ذلك تم تجاوز الشيعة، بوصفهم المعارضة الرئيسة للأسرة الحاكمة، تدريجياً، من الإسلاميين السُنّة. وعقب حرب الخليج الأولى، جاهر الإسلاميون السنّة، الذين عُرفوا بالصحوة، بانتقادهم الأسرة الحاكمة، لكنّ النظام استمالهم في آخر الأمر(١٥). وفي النهاية، لم تتغيّر هذه الحال إلّا بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر، مع إطلاق تنظيم القاعدة في جزيرة العرب حملة تفجيرات خطِرة في سنة ٢٠٠٣. مع تحول الحلفاء السابقين للأسرة السعودية هل اعتبر آل سعود تنظيمَ القاعدة عدوّهم الرئيس؟(١٦) لكن الجمع بين هذين التهديدين ـ السكان الشيعة والإسلاميّين السنّة ـ استمرّ بين الحين والآخر، وبقيت التهديدات الإيرانية للمملكة العربية السعودية مصدرَ قلق رئيساً للأسرة السعودية الحاكمة(١٧).

---

(١٤) Joseph Kostiner, «Shi'i Unrest in the Gulf,» in: Kramer, ed., *Shi'ism, Resistance, and Revolution*, pp. 173-186.

(١٥) Mamoun Fandy, *Saudi Arabia and the Politics of Dissent* (Basingstoke: Palgrave, 1999); Stéphane Lacroix, *Awakening Islam: The Politics of Religious Dissent in Contemporary Saudi Arabia* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2011), and Madawi al-Rasheed, *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2007).

(١٦) Thomas Hegghammer, *Jihad in Saudi Arabia: Violence and Pan-Islamism Since 1979* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2010).

(١٧) ذُكر في برقية دبلوماسية في سنة ٢٠٠٦ أن أميراً سعودياً زعم أنه يتحدث نيابة عن الملك عبد الله قال لمساعد الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن الداخلي ومكافحة الإرهاب فرانسيس تاونْسِند إنه في حال نشوب حرب مع إيران، ربما تُطلق صواريخها على المنشآت النفطية، فضلاً عن وقوع هجمات يشنّها كل من تنظيم القاعدة و«حزب الله المصغّر» (Mini- Hizbollah) في المحافظة الشرقية». انظر: From Embassy Riyadh to Secretary of State, 14 May 2008, 08RIYADH768

بعد انطلاق الاحتجاجات في البحرين في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١١، ثمّ امتدادها إلى المحافظة الشرقية في أيام قلائل، أصبح الشيعة التهديد الأمني الرئيس من جديد وبدأت الاحتجاجات في المنطقة الشرقية في ١٧ شباط/ فبراير واستمرت عدة أسابيع. وربما أقلقت هذه الاحتجاجاتُ المبكرة التي قام بها شيعة المنطقة الشرقية الأسرةَ الحاكمة على أمنها في المملكة وربما لا، لكنها جعلت النظام أكثر عزماً بلا ريب على وقف الاحتجاجات في مملكة البحرين تلافياً لتصاعد الاحتجاجات في المملكة. ومع أن شيعة السعودية التمسوا المساعدة من المحتجين في البحرين، ربما عاد ذلك على قضيتهم بنتائج عكسية. وفي هذا الصدد، قال لي الشيخ علي سلمان، الأمين العالم لجمعية الوفاق الوطني الإسلامية كُبرى الجماعات البحرينية المعارِضة، الذي سعى للتوصل إلى اتفاق مع وليّ العهد البحريني في آذار/ مارس ٢٠١١، «لم يكن توقيت الاحتجاجات السعودية مجدياً جداً»(١٨).

إن الخوف من إمكانية تنظيم احتجاجات تالية في المحافظة الشرقية دفع المملكة العربية السعودية إلى إرسال وحدة عسكرية إلى البحرين لتكون رسالة موجَّهة إلى شيعة السعودية وإلى المواطنين السعوديّين الآخرين الذين يؤمنون بأفكار ديمقراطية «بدعية». كان العاهل السعودي الملك عبد الله الذي يناهز التسعين عاماً والمتوعّك صحّياً، يتلقّى العلاج في الخارج حين برز خطر امتداد الربيع العربي إلى المملكة العربية السعودية في مطلع سنة ٢٠١١. وعقب عودة الملك من الخارج في أواسط شباط/ فبراير ٢٠١١، أعلن برامج إنفاق سخية على التأمينات الاجتماعية، والقروض السكنية، والرعاية الصحّية، والمعاهد الدِّينية، والمجنَّدين الجدد لدى وزارة الداخلية. تراوحت القيمة الإجمالية لبرامج الإنفاق الإضافية التي أُعلن عنها في سنة ٢٠١١ بين ١٢٠ و١٣٠ مليار دولار(١٩)، وهذه المصاريف الإضافية زادت الإنفاق الحكومي بنسبة ٢٨

---

(١٨) مقابلة أجراها المؤلف مع علي سليمان في أيار/ مايو ٢٠١١، البحرين.

(١٩) يدعم برنامج العاطلين عن العمل «حافز» الذي أعلنه أيضاً الملك عبد الله في ربيع عام ٢٠١١ وبدأ بالعمل في الجزء الأخير من العام نفسه السعوديون العاطلون عن العمل بمبلغ ألفي ريال =

في المئة في سنة ٢٠١١ ليصل إلى ٨٠٤ مليار ريال (٢١٤ مليار دولار)، لكنّ أسعار النفط المرتفعة زادت العائدات الحكومية بنسبة ٥١ في المئة لتصل إلى ١,١ ترليون ريال (٢٧٠ مليار دولار) خلال المدة ذاتها[٢٠].

يرى كثيرون أن وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز أدار دفّة الدولة في أثناء غياب الملك، وبخاصة القضايا الأمنية، وليس من قبيل الصدفة أن كثيراً من الأموال التي أعلنها الملك مرّت عبر وزارة الداخلية[٢١]. وعظم نفوذ الأمير نايف بن عبد العزيز، وهو الذي لا يُعرف عنه التساهل حيال الإصلاح السياسي والاحتجاجات الشعبية، حين تُوفّي وليّ العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١، ليُعيَّن الأمير نايف بعدها وليّاً للعهد، لكنه تُوفّي هو الآخر في حزيران/ يونيو ٢٠١٢.

اعتمدت الأسرة الحاكمة أساساً على جهاز أمني واسع الانتشار وعلى العطاءات الحكومية السخية التي أتاحتها أسعار النفط المرتفعة، لاجتياز العاصفة. وإضافة إلى ذلك، وقفت الولايات المتحدة بحزم إلى جانب الأسرة الحاكمة، وهو ما تجلّى في توقيع صفقة أسلحة عشية عيد الميلاد في سنة ٢٠١١ بقيمة ٢٩,٤ مليار دولار باعت بموجبها طائرات مقاتلة من

= (٥٣٣ دولاراً) في الشهر لمدة أقصاها سنة، وذُكر أن المبالغ وُزّعت على مليون سعودي بعد أن تقدم مليونان بطلبات للبرنامج. انظر: «Hafiz: Inspiration for Job Seekers,» *Arab News*, 15/5/2012, <http://www.arabnews.com/saudi-arabia/hafiz-inspiration-job-seekers>; David Ottaway, «Saudi Arabia's Race Against Time,» *Occasional Paper Series* (Wilson Center Middle East Program) (Summer 2012), p. 5ff, <http://www.wilsoncenter.org/publication/saudi-arabias-race-against-time-summer-2012>.

(٢٠) Glen Carey «The Saudis Need Those High Oil Prices,» *Bloomberg Businessweek* (23 February 2012), <http://www.businessweek.com/articles/2012-02-23/the-saudis-need-those-high- oil-prices>.

للاطلاع على المراسيم الملكية وتفاصيل برامج الإنفاق، انظر: <http://www.spa.gov.sa/english/awamer.php>.

(٢١) مع أن نفع هذه المنح المعلَن عنها سيعمّ جميع السعوديين، فقد خُصصت مبالغ ضخمة للمؤسسات الحكومية التي يُحظر على الشيعة إلى حدّ بعيد الانتساب إليها مثل المؤسسات الدينية والفروع الأمنية التابعة لوزارة الداخلية.

نوع أف ـ ١٥ للمملكة العربية السعودية[٢٢]. جاءت هذه الاتفاقية بعد أسابيع من نزول مظاهرة حاشدة إلى شوارع المنطقة الشرقية للاحتجاج على الحكومة وتشييع بعض المحتجين الذين سقطوا هناك، وكانت تلك علامة أخرى على أن الولايات المتحدة ترى في الأسرة السعودية الحاكمة الضامن للمصلحتين الأمريكيتين الرئيستين في الخليج: أمن النفط واحتواء إيران.

لكنّ البلاد والأسرة التي تحكمها ليستا كيانين منسجمَين، إنها ملَكية مطلقة تحكم من خلال قاعدة سلطة ضيّقة مؤلّفة من كيانات مترابطة بإحكام، قوامها قرابات وتحالفات مع نخب محلّية ومع المؤسسة الدِّينية الوهّابية. تُركت الشؤون السياسية في أغلبيتها لأسرة آل سعود الحاكمة التي تضخّم عدد أفرادها ليصل إلى آلاف الأمراء، طالما أنها لا تتعارض بشكل سافر للغاية مع التفسيرات الدِّينية للعلماء الوهّابيّين. ويشكل بعض كبار رجال الأعمال من غير الأسرة الملكية وزعماء القبائل وأعيان المدن جزءاً من حاشية أمير معيّن يساعدها في إبرام صفقات تجارية ويؤمّن لها حماية سياسية[٢٣]، لكن هناك خلافات بين كبار الأمراء حول الطريق التي ينبغي للمملكة العربية السعودية وللمنطقة بالطبع سلوكها.

يمكن ملاحظة الفروع المختلفة للأسرة السعودية الحاكمة بوضوح في الرياض، العاصمة السعودية المنبسطة التي تؤوي أكثر من خمسة ملايين نسمة في وسط الصحراء، والتي تبعد عن جدّة المطلّة على البحر الأحمر مسافة ألف كيلومتر، وعن القطيف والدمّام المطلّتين على الخليج مسافة أربعمئة كيلومتر. ويوجد في وسط مدينة الرياض ثلاثة معالم موزَّعة على طريق الملك فهد، شريان الرياض الرئيس الممتدّ من الشمال إلى الجنوب، وهي تجسّد هذه الفروع المختلفة. المعلم **الأول** هو برج المملكة، وهو

---

(٢٢) Mark Landler and Steven Lee Myers, «With $30 Billion Arms Deal, U.S. Bolsters Saudi Ties,» *New York Times*, 29/12/2011, <http://www.nytimes.com/2011/12/30/world/middleeast/with-30-billion-arms-deal-united-states-bolsters-ties-to-saudi-arabia.html>.

(٢٣) انظر: Steffen Hertog, *Princes, Brokers, and Bureaucrats: Oil and the State in Saudi Arabia* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010), and Madawi al-Rasheed, «Circles of Power: Royals and Saudi Society,» in: Paul Aarts and Gerd Nonneman, eds., *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs* (London: Hurst, 2005), pp. 185-213.

ناطحة سحاب شيّدها رجل الأعمال السعودي الثري الأمير الوليد بن طلال، إنه نجل الأمير طلال بن عبد العزيز، الأمير الكبير الوحيد الذي طالب علناً بإصلاح ديمقراطي وصاحب التاريخ الطويل في المعارضة السياسية ـ رئس في مطلع ستينيات القرن الماضي حركة «الأمراء الأحرار» التي أرادت بناء جمهورية سعودية انطلاقاً من منفاها في مصر. بدا في عهد الملك سعود الذي تولّى العرش بين سنتي ١٩٥٣ و١٩٦٤، كما لو أن المملكة في طريقها إلى مستقبل أقلّ استبداداً، لكنّ ذلك المشروع أُجهض بسرعة مع تنحية الملك سعود عن العرش وخلعه على يد أخيه غير الشقيق الأمير فيصل(٢٤). وعلى مسافة بضعة أميال على طريق الملك فهد ينتصب برج الفيصلية ـ وهو المعلم الثاني ـ على اسم الملك فيصل الذي وُلّي العرش بين سنتي ١٩٦٤ و١٩٧٥. يتولّى نجله الأمير سعود الفيصل وزارة الخارجية، في حين كان الأمير تركي الفيصل رئيس الاستخبارات العامة بين سنتي ١٩٧٧ و٢٠٠١. وآخر هذه المعالم وزارة الداخلية التي يأخذ مبناها شكل صحن فضائي طائر، وكان يوماً مقرّ الأمير نايف الذي تُوفي في حزيران/ يونيو ٢٠١٢، وهو اليوم مقرّ نجله الأمير محمد بن نايف الذي شغل منصب قائد عمليات مكافحة الإرهاب وهو الآن وزير الداخلية الجديد.

واستشعاراً بالخطر الناشئ عن تعهّد أكثر من عشرة آلاف شخص على الفايسبوك بالمشاركة في «يوم غضب» في المملكة العربية السعودية في ١١ آذار/ مارس ٢٠١١، أعادت وزارة الداخلية تأكيد فرض الحظر على التظاهر في ١٠ آذار/ مارس. تلا ذلك إصدار مجلس كبار العلماء الذي يهيمن عليه شيوخ وهّابيون بياناً جاء فيه إن المظاهرات تناقض الشريعة الإسلامية، ولاحقاً انتقد أحدُ شيوخ جامعة الأزهر المرموقة في القاهرة البيانَ على أساس أن التظاهر عمل شرعي إذا كان ضدّ حاكم ظالم، لكن لم يجرؤ كثيرون داخل المملكة العربية السعودية على فعل الشيء مثله(٢٥). ومع

---

(٢٤) Sarah Yizraeli, *The Remaking of Saudi Arabia: The Struggle Between King Saud and Crown Prince Faysal, 1953-1962*, Dayan Center Papers; 121 (Tel Aviv: Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies, Tel Aviv University, 1998).

(٢٥) «Al-Azhar Scholar Criticizes Saudi Edict Banning Protests,» *Egypt Independent*, 30/3/ =

ذلك، صدرت دعوات على نطاق البلاد والتماسات على الإنترنت تدعو إلى إقامة ملكية دستورية ووقّعها إصلاحيون بارزون وعلماء مؤثّرون، مثل: الشيخ سلمان العودة(٢٦)، لكنّ «يوم الغضب» خلا من المظاهرات في أغلبية المناطق في البلاد، ولم يظهر سوى متظاهر واحد يُدعى خالد الجُهَني في الرياض؛ حيث اعتُقل على مرأى من فرقاء عمل وسائل الإعلام العالمية وقُدّم إلى المحاكمة في السنة التالية(٢٧). ولم يتجرأ على تحدّي الحظر سوى محتجّين من الأقلّية الشيعية في المحافظة الشرقية. ومساء يوم الثلاثاء الذي صادف في العاشر من آذار/ مارس، أي قبل يوم من «يوم الغضب»، فتحت القوى الأمنية النار على محتجّين في القطيف(٢٨).

لعب النظام السعودي جميع أوراقه لإبقاء الناس في منازلهم: فتوى تحريم المظاهرات المحلية، وتقديم مساعدات، ومساندة قمع المحتجين في البحرين، وتصوير وسائل الإعلام التي تمتلكها المملكة جميعَ عمليات الاحتجاج في الدول الخليجية بأنها مخطط إيراني يجري تنفيذه بمساعدة

2011, <http://www.egyptindependent.com/news/al-azhar-scholar-criticizes-saudi-edict-banning-protests>. =

(٢٦) انظر: Stéphane Lacroix, «Is Saudi Arabia Immune?,» *Journal of Democracy*, vol. 22, no. 4 (October 2011), pp. 48-59, esp. p. 56.

العريضتان الأساسيتان هما «إعلان وطني للإصلاح،» <http://www.saudireform.com>، و«نحو دولة الحقوق والمؤسسات،» <http://www.dawlaty.com>.

العريضة المذكورة في: www.saudireform.com متاحة أيضاً: <http://www.facebook.com/note.php?note_id=191986637501121>.

وترجمتها الإنكليزية متاحة على: <http://www.jadaliyya.com/pages/index/753/a-call-from-saudi-intellectuals-to-the-political-l>.

والعريضة المذكورة في: www.dawlaty.com متاحة في: <http://wwwfacebook.com/dawlaty>.

(٢٧) Madawi Al-Rasheed, «No Saudi Spring: Anatomy of a Failed Revolution,» *Boston Review* (March-April 2012).

وأحضر الجهيني للمحاكمة في شباط/ فبراير ٢٠١٢. انظر: Amnesty International [AI], «Saudi Arabia: Trial of Riyadh Protester, «Utterly Unwarranted»,» *AI* (22 February 2012), <http://www.amnesty.org/en/news/saudi-arabia-trial-riyadh-protester-utterly-unwarranted-2012-02-22>.

(٢٨) «Schüsse gegen Schiiten in Saudiarabien,» *Neue Zürcher Zeitung*, 12/3/2011, <http://www.nzz.ch/aktuell/startseite/schuesse-gegen-schiiten-in-saudiarabien-1.9860104>, and Nada Bakri, «Saudi Police Open Fire to Break Up a Protest,» *New York Times*, 10/3/2011, <http://www.nytimes.com/2011/03/11/world/middleeast/11saudi.html>.

بعض السكان الشيعة المحليّين. ومن الناحية الفعلية، الردودُ السعودية والبحرينية على الربيع العربي هي التي أوجدت الخليج الطائفي، ما أوجد حاجزاً حجب عن الأسر الحاكمة في الخليج المطالبَ المشروعة للمواطنين الخليجيّين، وجعل هذه الأسر تقف موقفاً حازماً منسجماً مع خطاب الغرب المعادي لإيران.

وفي مظهر دعم آخر للنظام البحريني المستنفر، عُيّن الفريق عبد اللطيف الزياني المتحدّر من أسرة سنّية مرموقة في منصب الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي في ١ نيسان/أبريل ٢٠١١. وعندما حضرتُ مناقشة أُجريت معه في جامعة كامبريدج في تموز/يوليو ٢٠١٢، حاول الزياني الذي وُجّهت إليه أسئلة كثيرة عن البحرين مقارنة الوضع في مملكة البحرين بالوضع في اليمن، وجادل بأنه توسّط شخصياً بين المعارضة ونظام علي عبد الله صالح في ذلك البلد، ما مهّد الطريق في النهاية لخروج الرئيس صالح. شكّلت الثورة في اليمن تحدّياً هائلاً لدول مجلس التعاون الخليجي، وفي مقدّمها المملكة العربية السعودية التي لها حدود طويلة مع اليمن، والتي كانت مسانداً رئيساً للرئيس اليمني المخلوع[٢٩].

بموجب تصوّر السعوديّين للخطر آنذاك، امتدّ الخليج الطائفي إلى اليمن، وساورهم قلق بالغ من الحركة الحوثية هناك، وهي حركة سياسية مسلحة تتبع المذهب الزيدي. تلازمت الحرب القصيرة بين المتمرّدين الحوثيّين والمملكة العربية السعودية في سنتي ٢٠٠٩ و٢٠١٠ مع خطاب مناوئ للشيعة ووُصفت بأنها جهاد الروافض، وهي عبارة ازدرائية شائعة تُستخدم في وصف الشيعة[٣٠]. أوضح الزياني أن مجلس التعاون الخليجي لم يتوسّط في البحرين، بخلاف اليمن، ولكنه أرسل جنوداً إلى

---

(٢٩) للاطلاع على المزيد من المعلومات عن الفترة الانتقالية في اليمن بين سنتي ٢٠١١ و٢٠١٢، انـظـر: International Crisis Group [ICG], «Yemen: Enduring Conflicts, Threatened Transition,» *Middle East Report*, no. 125 (3 July 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/publication-type/media-releases/2012/mena/yemen-enduring-conflicts-threatened-transition.aspx>.

(٣٠) اشتدّت التوترات بين الحوثيين والسلفيين في اليمن مرات كثيرة في السنين الماضية. انـظـر: Khaled Fattah, «Yemens Sectarian Spring,» Carnegie Endowment for International Peace, 11 May 2012, <https://www.carnegieendowment.org/sada/2012/05/11/yemen-s-sectarian-spring/apnv>.

هناك رداً على «تدخّل خارجي» فهم الجميع أنه إشارة إلى إيران[٣١].

إن للنفوذ السياسي السعودي في البحرين أسباباً اقتصادية أيضاً؛ ذلك أن اقتصاد البحرين وموازنتها معتمدتان بشدّة على المملكة العربية السعودية. تستخرج البحرين معظم إنتاجها النفطي من حقل أبو صفا البحري المشترك الذي تمنح الرياضُ المنامةَ ٥٠ في المئة من عائداته. ويتمّ تزويد مصافي التكرير البحرينية بالنفط الخام السعودي بأسعار مخفّضة، وهذا يرقى إلى حدّ دعم سعودي مباشر للموازنة البحرينية[٣٢]. كما إن قطاعي السياحة والصيرفة البحرينيَّين يعتمدان كثيراً على المستثمرين السعوديّين وعلى ودائعهم، بل إن هذا الاعتماد ازداد عقب الانتفاضة في البحرين التي أدّت منذ سنة ٢٠١١ إلى انسحاب عدد من المصارف الأوروبية وإلى تراجع أعداد السائحين، وجسر الملك فهد الذي يبلغ طوله نحو ٢٥كلم ويربط البحرين بالمملكة العربية السعودية يسهّل التبادل التجاري والسفر ويعبره ثمانية عشر مليون شخص كل سنة[٣٣]. بدئ العمل على إنشاء الجسر بتمويل سعودي بعد الثورة الإيرانية حين استبدّ القلق بحكام البحرين من احتمال نجاح ثورة مماثلة في بلادهم، ودُشّن في سنة ١٩٨٦ وأصبح شرياناً حيوياً للدولتين، لكنّ إحدى غاياته كانت دائماً تمكين القوات العسكرية السعودية من الانتقال إلى البحرين عند تصوّر وجود حالة طوارئ[٣٤].

يعبر آلاف السعوديّين الجسر، ولا سيما في عطل نهاية الأسبوع، هرباً من القوانين الأخلاقية الصارمة المطبَّقة في المملكة العربية السعودية،

---

(٣١) كلمة افتتاحية ألقاها عبد اللطيف الزياني، في مركز الخليج للأبحاث، جامعة كامبريدج، ١١ تموز/ يوليو ٢٠١٢.

(٣٢) مقابلة أجراها المؤلف مع خبير اقتصادي بحريني في أيار/ مايو ٢٠١١.

(٣٣) «العُطَيشان: ١٨ مليون مسافر يعبرون جسر الملك فهد سنوياً،» **الحياة**، ٢٠١٢/٦/٢٧، <http://alhayat.com/Details/413932>.

(٣٤) بحسب شهود عيان في البحرين، ذُكر أن القوات السعودية دخلت البحرين في ذروة الاحتجاجات في تسعينيات القرن الماضي وإن لم يصرَّح بذلك. مقابلات أجراها المؤلف في البحرين في أيار/ مايو ٢٠١١، و Kristian Coates Ulrichsen, «Bahrain: Evolution or Revolution?,» Open Democracy (1 March 2011), <http://www.opendemocracy.net/kristian-coates-ulrichsen/bahrain-evolution-or-revolution>.

ويتوقف عدد منهم عند واحد من محلات بيع المسكرات التي تقع قريباً من الحدود لتسهيل عملية الشراء، ومن ثَمّ يتوجهون إلى البارات والنوادي الليلية في فنادق المنامة الفخمة. يملك السعوديون المال اللازم للإنفاق لكنهم لا يستطيعون إنفاقه في بلادهم، وفي ذروة الاحتجاجات التي اندلعت في البحرين، حثّت الحكومةُ السعودية مواطنيها على عدم التوجّه إلى البحرين حرصاً على سلامتهم. وقد منعت في الحال جماعة من السعوديين، كانت الأجهزة الأمنية السعودية والبحرينية قد ارتابت منها ـ الشيعة السعوديون ـ من دخول البحرين وأعادها حرس الحدود حيث كانت عبر الجسر(٣٥).

يرى عدد من الشيعة السعوديّين أنّ البحرين ومناطق القطيف والأحساء في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية تشكّل أرض «البحرين القديمة» الأسطورية، حين كانت المناطق الساحلية المطلّة على الخليج بين مدينة البصرة وشبه جزيرة قطر أرضاً واحدة. وبالتشديد على أهميّة «البحرين القديمة»، سعت حركات المعارضة الشيعية لصياغة حكاية قومية توحّد سكان القطيف والأحساء والبحرين الشيعة أساساً. وأشير إلى أن أحد العوامل الرئيسة التي تعبّئ المحتجين في كل من البحرين والمنطقة الشرقية حسُّ المواطنة البحرينية التي هي بمثابة مفتاح الذاكرة الثقافية للشيعة في الخليج؛ فـ «البحريني» وصف ذاتي للسكان الذين استوطنوا البحرين منذ مدة طويلة، وهي العبارة المستخدمة في سجلات سلطات الاستعمار البريطاني في وصفهم، وهؤلاء «البحارنة» شيعة في معظمهم(٣٦).

---

(٣٥) دقّقت قوات حرس الحدود في الهويات بحثاً عن أسماء شيعية وأسماء قرى وبلدات شيعية لمعرفة إن كان المارّة شيعة. بدأت هذه الممارسة في أواخر شباط/ فبراير قبل حملة القمع. عدة مقابلات أجراها المؤلف مع شيعة من المحافظة الشرقية في سنتي ٢٠١١ و٢٠١٢.

(٣٦) وُجدت الوحدة بين واحتي القطيف والأحساء في البرّ الرئيس وجزر البحرين معظم الوقت بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر في ظل حكام مختلفين مثل القراطمة. القراطمة كانوا طائفة شيعية إسماعيلية سبعية، ويجادل المؤرخون المحليون بأن أغلب السكان تحوّلوا في القرون التالية إلى المعتقدات الرئيسة للشيعة الاثني عشرية. وبدءاً بالقرن السادس عشر فما بعده، خضعت البحرين للحكم الاستعماري البرتغالي ودُمجت الأحساء مع السلطنة العثمانية، ما فكّك أواصر هذه الوحدة السياسية وإن بقيت الروابط الاجتماعية والأسرية والدينية. والمؤلفات التاريخية التي صنّفتها حركات إسلامية شيعية في الخليج صوّرت هذه المرحلة بأنها العصر الذهبي للشيعة في شرق =

يمكن أن يسمع المرء في دوار اللؤلؤة في البحرين كلاماً مثل: «نحن السكان الأصليون في هذه الجزيرة» وأن الجزيرة «واقعة تحت احتلال آل خليفة منذ سنة ١٧٨٣»، وهي السنة التي فتح فيها آلُ خليفة جزر البحرين. وهاتان الحكايتان هما المكوّنان الرئيسان لحجة «الأهلية» (Nativism)، ومع أن المقصود منهما الاعتراض على الأسرة الحاكمة، إلا أنهما تشملان ضمناً عدداً من السنّة الآخرين والمهاجرين حديثاً؛ حيث ـ كما يذكرون ـ وصل عدد من السنّة البحرينيّين مع آل خليفة في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، أو وفدوا لاحقاً من المملكة العربية السعودية أو من الجانب الإيراني لساحل الخليج. ومن الأمور المهمة التي تجدر الإشارة إليها أن الأصول القبلية لآل خليفة وعدد من الأُسر السنّية ترجع إلى نجد، قلب المملكة العربية السعودية ومعقل الوهّابية وأسرة آل سعود الحاكمة(٣٧). أضف إلى ذلك أنه وفدت إلى البحرين في العقود الماضية أعداد غفيرة من السنّة القادمين من دول عربية ومن باكستان للعمل في قطاعات الدولة المختلفة وفي المجالات الاقتصادية، فضلاً عن الأجهزة الأمنية، ومُنح عدد منهم الجنسية البحرينية لزيادة النسبة المئوية للسكان السنّة في الجزيرة، لكنّ مقولة «الأهلية» التي يتحدّث عنها الشيعة تستثني جميع هذه المجموعات، وتركّز في الأساس على النظام خشية أن تتوصل هذه المجموعات، ولا سيما التي وصلت حديثاً، إلى استنتاج منطقي وهو المطالبة بطردها من البلاد. وهذا ما تجلّى مع اشتداد القمع من جانب النظام، وزيادة وتيرة قتل المحتجّين، ولوم المرتزقةَ الأجانب منهم على الممارسات العنيفة. وبالتالي، فإن تعبئة شيعة الخليج من خلال هذه الأسطورة القومية تحدّ من تعبئة السنّة في البحرين. وربما يجوز القول إنّ تفشّي هذا الخطاب في المناقشات، والخطب، والشعارات في دوار اللؤلؤة حمل عدداً من السنّة، حتى المتعاطفين منهم مع الدعوة إلى إدخال إصلاحات سياسية جوهرية، على التشكيك في دوافع المحتجّين.

= الجزيرة العربية وصاغوا بذلك الأسطورة التاريخية الوطنية البحرينية من الناحية الفعلية. انظر: Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf,* p. 23, and Matthiesen, «The Shia of Saudi Arabia: Identity Politics, Sectarianism and the Saudi State,» pp. 64-80.

(٣٧) آل خليفة لا يتبعون المذهب الوهّابي السنّي، وإنما يتبعون المذهب المالكي.

إن المناقشات المتصلة كما أشرنا بالاستيطان السابق، وما إذا كان يقتضي امتلاك حقوق سياسية، فضلاً عن محاولات النظام وصف المنتقدين بـ «العملاء الأجانب»، تثير إشكالات عميقة في منطقة تميّزت بقرون من خوض البحار، والتجارة، والهجرة، والفتوحات القبلية والاستعمارية، والتحالفات السياسية المتقلّبة. إنها ردود، من وجوه عديدة، على محاولات الدول الخليجية بعد الاستقلال صياغة حكايات وطنية منسجمة مبنية على الهوية العربية السنّية.

الفصل الثالث

دوار اللؤلؤة

«الشعب يريد إسقاط النظام»

«يسقط حمد»

شعاران رُفِعا في دوار اللؤلؤة في أواخر شباط/ فبراير ٢٠١١

عندما استيقظت في رابعة النهار في ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١١، ساد إحساس بأنّ البحرين أشبه بمنطقة حربية محاصَرة. أدرت التلفزيون، وكانت البحرين بحلول ذلك الوقت محطّ تركيز جميع القنوات الناطقة باللغة الإنكليزية، لكن لم يكن في البلاد سوى عدد قليل من المراسلين الأجانب، في حال وجودهم أصلاً، لأنه لم يتوقّع غير عدد قليل من الناس حدوث هذا التحوّل في ١٤ شباط/ فبراير. ظهر على شاشة التلفزيون البحريني ـ لسان حال النظام ـ متحدّث باسم وزارة الداخلية وأدلى ببيان مُرعب دافع فيه عن الهجوم على الدوار وعرَض سكاكين وسيوفاً وأسلحة أخرى زُعم العثور عليها هناك، فضلاً عن ضباط شرطة أصيبوا بجروح. بدت القصة مناقضة تماماً لما شاهدتُه في الأمسية السابقة، ولما أمكنني الاطلاع عليه من الأشخاص الذين تحدثتُ إليهم، ولأشرطة الفيديو التي حُمّلت على مواقع التواصل الاجتماعي. تلك كانت بداية حرب إعلامية وحملة تضليل قام بها النظام للترويج لروايته عن الحوادث، وكانت حملة أدّى فيها تلفزيون البحرين ومواقع التواصل الاجتماعي دوراً حيوياً[١]. وكنت في

(١) لاقت الحملة التشويهية هذه إدانة واسعة النطاق. انظر: Bahrain Independent Commission of Inquiry, «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» 23 November 2011, =

الليلة السابقة قد أمضيت عدة ساعات في التجوال في الدوار، وفي دخول الخيام ومغادرتها، ولم أرَ أي سلاح. ربما خُبّئت سيوف وسكاكين بالطبع، لكن من السخف أن يقال إن المحتجين كانوا مسلَّحين أرادوا نشر الفوضى وأنه توجّب فضّ اعتصامهم لاستعادة النظام، وهي مقولة شكّلت الأساسَ المنطقي للقوى الأمنية.

وفي السابع عشر من شباط/ فبراير نفسه، اجتمع وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي في المنامة للتعبير عن مساندتهم لأسرة آل خليفة الحاكمة، وكان اجتماعاً للمتشددين الحريصين على استخدام أي وسيلة لازمة لتلافي انتشار الحماسة الثورية في الخليج، لكنّ المؤتمر الصحافي لم ينفع في إشاعة حسّ بأن الوضع طبيعي بل بدا أشبه بتدفق حلفاء أجانب إلى نظام متحصّن يطلق النار على مواطنيه. ولا شك في أنّ مجلس التعاون الخليجي أُسس في سنة ١٩٨١ لأسباب منها حماية الأسر الملكية الخليجية من تصدير الثورة الإيرانية ومن المظاهرات التي نظّمها شيعة الخليج بعد ذلك. ومن سخرية التاريخ أن «دوار مجلس التعاون الخليجي» هو الاسم الرسمي لما عُرف باللهجة العامية باسم دوار اللؤلؤة. شُيّد الدوار استعداداً للقمة الثالثة للمجلس التي عُقدت في المنامة في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢، وكان المفترض أن تكون احتفالاً بوحدة الخليج. والآن اختار المحتجّون هذا الرمز ذاته الدالّ على الهوية الوطنية والإقليمية وعلى الوحدة الوطنية وحوّلوه إلى رمز للحرّية، لكنّ النار أُطلقت عليهم وكانوا على وشك العودة إلى الدوار مستعدين للموت[٢].

لزمتُ الفندق في ذلك اليوم وقد صُعقت من التحوّل المفاجئ في الحوادث، فيما كان تلفزيون البحرين يحثّ المواطنين على الابتعاد عن

pp. 389-401, <http://www.bici.org.bh>; Hasan Tariq al-Hasan, «On-Air, Online and On the Street: Understanding Bahrain's 2011 Counter-Revolution,» paper presented at: The 3rd Gulf Research Meeting, University of Cambridge, 11-14 July 2012, and Marc Owen Jones, «Social Media, Surveillance and Social Control in the Bahrain Uprising,» *Westminster Papers in Communication and Culture*, vol. 10, no. 2 (April 2013), pp. 71-91. =

(٢) Toby Matthiesen, «Battling Over the Legacy of Bahrain's Pearl Roundabout,» *Foreign Policy* (13 February 2012), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/02/13/battling_over_the_legacy_of_bahrain_s_pearl_roundabout>.

التقاطعات المزدحمة، ولم يردّ رفاقي على مكالماتهم الهاتفية. انتقلت البحرين من جو الابتهاج إلى حالة احتقان، فبدأ النزلاء الآخرون بمغادرة الفندق، وسرعان ما أصبحتُ النزيل الوحيد فيه، وارتعب موظفو الفندق القادمون من جنوب آسيا. وعندما سألت نادلاً من كيرالا عن رأيه أجاب: «إنهم الشيعة، إنهم يفتعلون المشاكل دائماً فهم يكرهون الأسرة الحاكمة ويريدون انتزاع وظائفنا، إنهم يكرهوننا ويريدون ترحيل جميع الأجانب لكنّ البلاد تعمل بسببنا، وإذا لم نكن موجودين، يتوقف كل شيء عن العمل».

وقد أذهلني عدد العمال الآسيويّين الجنوبيّين الذين أضمروا للشيعة الكراهية وجعلوهم رديفاً للخطر، ومدى ثنائهم على الأسرة الحاكمة، في العلن وفي محادثاتهم مع الأجانب على الأقل، كما إنه كان لتفشي النزعة الطائفية والأيديولوجيا الوهّابية أو السلفية في بعض الحالات في أوساط العمال المهاجرين المسلمين انعكاسات على بلدانهم الأمّ. فحين يعودون إلى بلدانهم، يحملون معهم بعض المعتقدات الدِّينية التي تبنّوها في الخارج، وهي مشكلة فاقمت الاحتقاناتِ الطائفية وأجّجت العنف في أفغانستان وباكستان؛ حيث يوجد في كلتا الدولتين أقلّية شيعية لافتة[٣].

عندما بدأت أولى المظاهرات المؤيّدة للحكومة بعد بضعة أيام في الجانب الآخر من دوار اللؤلؤة قبالة مسجد الفاتح وعلى امتداد الطرق السريعة المؤدّية إليه، شارك فيها كثير من الآسيويّين الجنوبيّين، وكان قد أُطلق هذا الاسم على المسجد تكريماً لأحمد الفاتح، الجدّ الأعلى لأسرة آل خليفة الحاكمة، ومن غير المفاجئ أن يعتبر عدد من الشيعة ذلك إهانة ولا سيما أنّهم يعتبرون أنفسهم البحرينيّين الأصليّين، أو البحارنة الذين قهرهم آلُ خليفة[٤]. زعمت المعارضة أن المحتجّين إما أنّهم قطّاع طرق أو هنود أُرغموا على المشاركة. وقد ذهبت لأرى تلك المظاهرات بأمّ عيني، وعلى حين كان هناك كثير من العرب بالفعل، رفع بعضهم الأعلام

(٣) باتت الهجمات الطائفية على الشيعة حوادث شائعة في أفغانستان وباكستان. انظر مثلاً: Declan Walsh, «Pakistan Reels with Violence against Shiites,» *New York Times*, 3/12/2012, <http://www.nytimes.com/2012/12/04/world/asia/pakistans-hazara -shiites-under-siege.html>.

(٤) مركز أحمد الفاتح الإسلامي: <http://www.alfateh.gov.bh/cms.php?task=Ahmed>.

السعودية والبحرينية، رأيت كذلك عدداً من الآسيويّين الجنوبيّين. وأقرّ بعض العاملين في الفندق الذي نزلتُ فيه وفي المطاعم التي تقدّم وجبات الكاري والدوسا حيث كنت أتناول طعامي في المنامة بأنّ مدراءهم حثّوهم على المشاركة في المظاهرات.

لكنّ هذه التعليقات تُلمح إلى قضايا أخرى أيضاً، وعلى وجه التحديد شدّة تباين المجتمع البحريني وهذا إرث الماضي الاستعماري للبحرين والازدهار الاقتصادي منذ سبعينيات القرن الماضي. لقد تكفّلت الأسرة الحاكمة إلى سنة ٢٠١١ بحرّية ممارسة الشعائر الدِّينية على عكس جارتها المملكة العربية السعودية، فهناك معابد هندوسية، وكنائس مسيحية، وكنيس، ومساجد للسنّة ومساجد للشيعة، مع أنّ صورة البحرين كمجتمع متسامح دينياً تلطّخت بشدة بسبب تدمير عددٍ من مساجد الشيعة وحسينياتهم في سياق حملة قمع حكومية استهدفت المعارضين في سنة ٢٠١١[(٥)].

ومع أنّ الهنود يقومون بكثير من الأعمال المتواضعة في البحرين، وأنّ كثيراً من الأعمال المهنية ستتوقّف من دونهم بالتأكيد، فإنّ الحقد على الأجانب الذي ذكره النادل ليس موجَّهاً إلى الهنود أساساً، بل هو موجَّه إلى إرث استعماري بريطاني آخر وهو أنّ الأجهزة الأمنية وقوة الشرطة مؤلفة إلى درجة كبيرة من الأجانب، وأن عدداً منهم يتحدّرون من مستعمرات بريطانية سابقة مثل باكستان.

يوجد اقتناع، على نطاق واسع، لدى الشيعة وكذلك لدى الليبراليّين والمعارضين السنّة بأن النظام البحريني ينتهج استراتيجية لتجنيس مواطنين سنّة من خلفيات متنوعة (ولا سيّما من باكستان، وكذلك من المملكة العربية السعودية وسوريا والأردن وغيرها)؛ لتغيير التركيبة الديمغرافية الطائفية في البلاد وبناء قاعدة مواطنين موالين إذا ما اندلعت احتجاجات واسعة النطاق مناوئة للحكم على شاكلة الاحتجاجات التي شهدتها البلاد

(٥) زرتُ بعض المساجد المهدّمة بنفسي في أيار/ مايو ٢٠١١. انظر: Roy Gutman, «While Bahrain Demolishes Mosques, U.S. Stays Silent,» *McClatchy Newspapers*, 8/5/2011, <http://www.mcclatchydc.com/2011/05/08/113839/while-bahrain-demolishes-mosques.html>.

في سنة ٢٠١١[٦]. فغداة الثورة التي اندلعت في سوريا، ذُكر أنّ البحرين خططت لمنح الجنسية لنحو خمسة آلاف لاجئ سوري سنّي[٧]، لكنّ إرث الاستعمار الآخر هو المستشارون والمسؤولون البريطانيون الذين بقوا مكوّناً أساسياً في القوى الأمنية البحرينية[٨].

عقب الرعب الذي ساد في الساعات الأولى من صباح ١٧ شباط/ فبراير، ظهر وليّ العهد الأمير سلمان بن حمد على شاشة التلفزيون في اليوم التالي ليعرض البدء بحوار مع المعارضة، حاثّاً جميع الأطراف على التزام الهدوء[٩]. وخشية أن تخرج الاحتجاجات عن السيطرة، أعلن الملك حمد أنّ الحكومة ستسمح بتنظيم مظاهرات سلمية ولن تعاقب أحداً على المشاركة فيها، ثم فتح نجله وليّ العهد محادثات سرّية مع جمعية الوفاق الوطني الإسلامية ومع ستّ جماعات معارضة شرعية أخرى حول تنظيم حوار عام حول إصلاح سياسي. إنّ ما بدا أنّه عودة إلى الأوضاع الطبيعية، والإحساس بأنّه لا بأس في التوجّه إلى الدوار، أعطى الناس أملاً بأنّ مطالبهم ستلقى آذاناً صاغية.

---

(٦) نشر «مركز الخليج للتنمية الديمقراطية» في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦ تقريراً للدكتور صلاح البندر، وهو مستشار سابق لدى وزارة الخارجية. زُعم أنّ الحادثة التي سُمّيت «بندرغايت» وفّرت دليلاً موثقاً على خطة أعدّها النظام لتهميش الجهات السياسية الشيعية وتغيير التركيبة الطائفية للبلاد بتجنيس أجانب سنّة. التقرير متاح على: <http://www.bahrainrights.org/node/528>.

انظر أيضاً: Laurence Louër, «The Political Impact of Labor Migration,» *City and Society*, vol. 20, no. 1 (2008), pp. 32-53.

(٧) «Citizenship as a Bahraini Government Tool,» Stratfor, 21 September 2012, <http://www.stratfor.com/sample/analysis/citizenship-bahraini-government-tool>.

(٨) أشهر تجسيد لذلك إيان هندرسون، وهو مسؤول استعماري شارك في قمع ثورة الماوماو في كينيا في خمسينيات القرن الماضي ثم توجّه إلى البحرين في سنة ١٩٦٤. وهناك بقي مكلّفاً برئاسة أجهزة الأمن الداخلية البحرينية مدة طويلة حتى سنة ١٩٩٨ بعد استقلال البلاد رسمياً في سنة ١٩٧١ واشتُهر بسوء سمعته في أوساط المعارضة لأساليبه الوحشية في التحقيق التي ذُكر أنه أجازها. انظر: Staci Strobl, «From Colonial Policing to Community Policing in Bahrain: The Historical Persistence of Sectarianism,» *International Journal of Comparative and Applied Criminal Justice*, vol. 35, no. 1 (February 2011), pp. 19-37, and Kristian Coates Ulrichsen, «The Hollow Shell of Security Reform in Bahrain,» *Foreign Policy* (12 April 2012), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/04/12/the_hollow_shell_of_security_reform_in_bahrain>.

(٩) «Bahrain Crown Prince Calls for Dialogue: TV,» Reuters, 18 February 2011, <http://www.reuters.com/article/2011/02/18/us-bahrain-crownprince-idUSTRE71H4OR20110218>.

انسحبت القوى الأمنية من دوّار اللؤلؤة في ١٩ شباط/ فبراير وسمحت بعودة المعتصمين. كنت في البداية متردداً في العودة؛ إذْ إن الرصاص أُطلق على الناس هناك قبل يومين فحسب، لكن حين توجهتُ إلى الدوار بعد ذلك بيوم في ٢٠ شباط/ فبراير، كانت الأجواء مكللة بالفرح، فيما ارتفع سقف المطالب السياسية. نُصب عدد أكبر من الخيام الآن وأقيمت بنية تحتية مؤقتة أوسع من تلك التي أقيمت في ١٦ شباط/ فبراير، وتهيّأ الناس للإقامة مدة طويلة. وبنوا منصّة ضخمة للخطباء، حيث تكلم سياسيون وناشطون اجتماعيون وحتى أشخاص عاديون، وأصبحت منبراً خطابياً للمجتمع البحريني طوال الشهر التالي، كما ازدادت الشعارات تطرّفاً. فعوضاً عن شعار «الشعب يريد إصلاح النظام»، صاح آلاف الأشخاص «الشعب يريد إسقاط النظام»، وهو الشعار ذاته الذي رُفع في تونس ومصر، وكان في مقدور المرء أن يسمع أو يقرأ بين الحين والآخر تلميحات إلى الأسرة الحاكمة ذاتها، كقول «الموت لآل خليفة».

وبالتدرج، بدأ بعضهم بفرض العادات الإسلامية، فخصّص مساحات منفصلة للنساء أحيطت بأسياج بعد أن تركتها القوى الأمنية عقب حملة القمع التي نفّذتها قبل أيام معدودات. والواضح أن جمعية الوفاق الوطني الإسلامية، كبرى حركات المعارضة الشيعية، قد أمرت بهذا الفصل، وقد مثّل ذلك تناقضاً صارخاً مع الاختلاط بين الجنسين والأعمار ومع الروح العفوية في يومي الاعتصام اللذَين سبقا عملية القمع.

من المطالب الأولى التي رفعها المتظاهرون إطلاقُ سراح السجناء السياسيّين الفوري الذين اعتُقلوا في الشهور التي سبقت الثورة، ولا سيما في أثناء المداهمات التي استهدفت قادة المعارضة، وأصحاب المدوّنات الإلكترونية، والناشطين في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان في سنة ٢٠١٠[١٠]. وقد أُخلي سبيل كثير منهم لينضمّوا إلى الحشود في الدوّار على الفور قبل توجّههم إلى صحيفة **الوسط**، الصحيفة المعارضة الوحيدة في البحرين لتُلتقَط صورُهم الفوتوغرافية ويحكوا قصصهم.

---

(١٠) للاطلاع على تفاصيل عن حملة القمع في سنة ٢٠١٠، انظر: Christopher Davidson, *After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies* (London: Hurst and Company, 2012), p. 141 ff.

انطلقتُ بالسيارة نحو مكاتب صحيفة **الوسط** الكائنة في مبنى ضخم على شكل مصنع على طريق «البديّع» السريع المؤدّي إلى عدد من القرى الشيعيّة، وبدا الجوّ احتفالياً في الداخل وامتلأت صفحات الجريدة كل يوم بقصص عن السجناء الذين أُطلق سراحهم وعن تعرّضهم للضرب والتعذيب، وعن سعادتهم كونهم أحراراً وجزءاً من «الثورة». التقيت في الردهة بعلي عبد الإمام، وهو مدوِّن بارز في مثل سنّي تقريباً اعتُقل في آب/أغسطس ٢٠١٠ بسبب نشاطه على الإنترنت. توجّه بُعَيد إطلاق سراحه إلى حيث الاحتجاجات ليستحوذ على الاهتمام، ثمّ توارى عن الأنظار بعد وقت قصير تفادياً لإعادة اعتقاله، حوكم غيابياً بعد ذلك وحُكم عليه بالسجن ١٥ سنة(١١).

كان منصور الجمري، رئيسُ تحرير جريدة **الوسط** والمفكر الشيعي البحريني البارز ينتمي إلى أسرة متديّنة مرموقة، جالساً في مكتبه الفسيح وقد أنهكه التعب، لكنه بدا متفائلاً حيال مآل الوضع السياسي، وكان والده أحد رجال الدِّين الشيعة المعروفين في البحرين وأحد قادة الانتفاضة في تسعينيّات القرن الماضي، ولذلك يتمتّع منصور بمكانة اجتماعية بارزة. وكحال الجميع، لم تكد تغمض له عين منذ اندلاع الاحتجاجات في ١٤ شباط/ فبراير لشدّة تسارع الأحداث. كان ضالعاً في المفاوضات السرّية بين المعارضة ووليّ العهد البحريني، لكنّه جادل بأنّه يصعب إقناع المعارضة الأشدّ تطرّفاً وجموع الشباب الذين يسعون للإطاحة بالنظام بضرورة التفاوض معه. كما انتقد جماعة من المحتجين بعينها، وهي الجماعة الشيرازية، قال: «الشيرازيون ليسوا مكوّناً أساسياً في الاحتجاجات، وهم يمثّلون أقلّية، لكنّ آراءهم وأنشطتهم السياسية في الدوار تثير الانقسامات ـ إلى جانب خُطَب هادي المدرّسي التي كان يلقيها في الخارج ـ وربما تفضي إلى مواجهة مع الحكومة»(١٢).

---

(١١) أدار منتدى مناقشة الشعبي (bahrainonline.org) الذي كان له دور أساس في تنظيم الاحتجاجات في السنين الأخيرة، وكذلك احتجاجات ١٤ شباط/ فبراير على الخصوص. انظر: <http://freeabdulemam.wordpress.com/2011/07/17/bahrain-leading-blogger-ali-abdulemain-sentenced-to-15-years-in-prison-along-with-other-human-rights-defenders>.

(١٢) مقابلة أجراها المؤلف مع منصور الجمري في البحرين في شباط/ فبراير ٢٠١١.

عندما عدت إلى الدوار، ذُهلت من إقامة الناشطين الشيرازيّين شاشاتهم العملاقة الخاصة التي بلغ عرضها عدة أمتار، ووصلها بمحطات التلفزة الشيرازية التي تبثّ من الكويت والعراق. ومع أنّ الحركة الشيرازية على هامش عالم الحركات السياسيّة الشيعيّة الأرحب، فهي حسنة التنظيم ولها وسائلها الإعلامية الخاصة.

عقب وفاة القائد الروحي للحركة محمد مهدي الشيرازي في سنة ٢٠٠١، انقسمت الحركة الشيرازية إلى قسمين: يتبع القسم **الأول** المرجع الدِّيني صادق الشيرازي، شقيق محمد، فيما يتبع القسم **الآخر** المرجع محمد تقي المدرّسي، ابن شقيقة صادق الشيرازي. مرجع التقليد هو عالم أهّله علمه وتقواه ليكون له مقلّدون من عموم المسلمين الشيعة في جميع أوجه الشعائر الدِّينية والفقه. ومع أنّ صادق الشيرازي تعهّد بمواصلة السير على خطى شقيقه وتبنّى مقاربة غير تصادمية مع الحكومات الخليجية، فقد قرّر هذا السيد ذو التوجّه السياسي اتّباع مرجعية محمد تقي المدرّسي وشقيقه هادي المدرّسي التي صار أتباعه يسمّونها المدرّسية[١٣].

بعض الذين انتقلوا إلى المدرّسية مشاركون في الحزب الشيرازي في البحرين ـ جمعية العمل الإسلامي (أمل) ـ وبعضهم رجال دين في المملكة العربية السعودية، مثل: الشيخ محمد الحبيب والشيخ نمر النمر. وكان الشيخ نمر النمر رجلَ الدِّين الوحيد الذي ساند الاحتجاجات في قريته العوامية من البداية ودعا إلى إسقاط الأسرة السعودية الحاكمة. وسرت تكهّنات حول تحريض المدرّسيين أتباعهم في المملكة العربية السعودية والبحرين على التحرّك ضدّ حكومتي الدولتين أو أنّ القرار كان محلّياً اتخذه الشباب وبعض رجال الدِّين الذين أحسّوا أنّ الوقت مناسب للتغيير.

يوجد عدد من القنوات التلفزيونية الشيرازية والمدرّسية في الكويت وفي العراق، منها قناة أهل البيت، نسبة إلى «آل بيت رسول الله»، أي أحفاد الرسول الكريم أو الأئمة الذين يبجّلهم الشيعة. بدأ الزعيم السابق للحركة الشيرازية في البحرين، الشيخ هادي المدرّسي، بإلقاء سلسلة خطب

---

(١٣) محمد تقي المدرّسي هو قائد الجناح السياسي للحركة الشيرازية في العراق منذ تأسيسها في أواخر ستينيات القرن الماضي.

عن الوضع في البحرين، ويتحدّر المدرّسي من أسرة رجال دين أصولها إيرانية عراقية، قَدِمَ إلى البحرين في مطلع سبعينيات القرن الماضي؛ حيث أسّس الفرع البحريني للحركة الشيرازية الذي أصبح لاحقاً «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين»، بل مُنح الجنسية البحرينية في سنة ١٩٧٤، لكنه طُرد من البلاد عقب احتجاجات سنة ١٩٧٩ وأُعلن شخصاً غير مرغوب فيه. تورّطت الجبهة في محاولة انقلابية في سنة ١٩٨١، وبعد ذلك بات أعضاؤها ينشطون إما سرّاً أو خارج البلاد، لكن سُمح لهم ولجماعات سرّية معارضة أخرى بالعودة كجزء من البرنامج الإصلاحي الذي أعلنه الملك الجديد حمد في سنة ٢٠٠١؛ حيث أسسوا تنظيماً سياسياً اسمه «أمل» ليس له أي ارتباطات رسمية بهادي المدرّسي.

وبالتالي، شكّلت إطلالته على شاشة عملاقة في وسط المنامة مفاجأة كبيرة. ورفضت الجماعات السياسية الأخرى، وفي مقدّمها جمعية الوفاق أكبر جماعة معارضة شيعية، كل الاتهامات بوجود ارتباطات أجنبية وسعت لتلافي استغلال جهات شيعية أجنبية لها، لكنّ الشيرازيّين كانوا قد نصبوا شاشة لقائدهم الأسبق ومن خلالها تهجّم على أسرة آل خليفة الحاكمة بأقسى العبارات الممكنة، وتهجّم بالتدريج كذلك على الأسرة السعودية الحاكمة، وبذلك أعطى المدرّسي وأنصاره البحرينيون العناصرَ المتشدّدة في النظام دليلاً يمكّنهم من تصوير ما يحدث بأنه مؤامرة خارجية. ففي النهاية، كان شيخ إيراني عراقي له تاريخ طويل بالتخريب السياسي في الخليج يحثّ المعتصمين على الثورة عبر محطة تلفزيونية فضائية. ولا ريب أنه عندما استخدمت الحكومة البحرينية ومساندوها الخطابَ الطائفي في ثورتهم المضادّة كانت صورة هادي المدرّسي كبش محرقة غالباً[١٤]. سعى النظام بكل ما لديه إلى ربط احتجاجات سنة ٢٠١١ بمخطط الانقلاب في سنة ١٩٨١، ووصل إلى حدّ تلاوة منشورات سرية تعود إلى حقبة الثمانينيات طوال ساعات على شاشة التلفزيون البحريني لإثبات أنّ

(١٤) عندما حُظرت جمعية العمل الإسلامي (أمل) في حزيران/ يونيو ٢٠١٢، غدا ذلك مبرراً ولو جزئياً باتّباعها شيخاً يقيم في الخارج. انظر: Hadi al-Mudarrisi, «Bahrain: Group Follows Violent Shiite Cleric,» *Gulf News*, 5/6/2012, <http://gulfnews.com/news/gulf/bahrain/bahrain-group-follows-violent-shiite-cleric-1.1032,052>.

إيران ومعها الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين خطّطوا لـ «انقلاب» سنة ٢٠١١ طوال ثلاثة عقود. وقد شاهدتُ وأنا في البحرين في أيار/ مايو ٢٠١١ عدداً من البرامج على قناة البحرين حيث قرأ مقدّم البرنامج منشورات الجبهة وتلا رواية كتبها عضو سابق في الجبهة(١٥) عن المحاولة الانقلابية في سنة ١٩٨١ إثباتاً لذلك الزعم، بل إنّ النظام سحب الجنسية من واحد وثلاثين بحرينياً في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ بحجّة أنهم ما زالوا أعضاء في الجبهة، مع أنه بدا واضحاً أنهم ناشطون منتمون إلى جماعات شيعيّة أخرى وليسوا منتسبين إلى الشيرازيّين(١٦). صحيح أن الناشطين السابقين في الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين لا ينكرون سعيهم إلى تدبير محاولة انقلاب في سنة ١٩٨١، لكنهم يقولون إنهم قاموا بها من دون علم القيادة الإيرانية وأن ذلك أغضب الإيرانيّين المسؤولين عن السياسة الخارجية(١٧).

لكنّ الشيرازيّين الأقل تسيّساً لم يؤيّدوا آراء هادي المدرّسي، وعندما سألتُ أحمد الشيرازي، نجل صادق الشيرازي، عن دور هادي المدرّسي وشقيقه وعن موقفهم المتشدّد من حكام الخليج، شدّد بطريقة دبلوماسية على أنه ووالده ـ الزعيم الفعلي للحركة الشيرازية ـ يعارضان قمع الناس حيثما كانوا، بما في ذلك البحرين، لكن في ما يختص بالمدرّسي أجاب: «إننا نختلف معهم في بعض القضايا»(١٨)، وكان ذلك رداً علنياً ليس فيه مواربة من رجل دين عكس الانقسامات العميقة داخل الحركة إلى حدّ أنه لم يعد مقبولاً نعتهم جميعاً بالشيرازيّين وإن درجت تسميتهم بذلك.

---

(١٥) راشد حمادة، **عاصفة فوق مياه الخليج: قصة أول انقلاب عسكري في البحرين ١٩٨١** (لندن: الصفا للنشر والتوزيع، ١٩٩٠).

(١٦) «Bahrainis Stripped of Citizenship,» *Al-Ahram Weekly* (21 November 2012), <http://weekly.ahram.org.eg/News/306/19/Bahrainis-stripped-of-citizenship.aspx>.

(١٧) مقابلة أجراها المؤلف مع عضو سابق في «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين» في لندن في سنة ٢٠١٠. وسعت مقالة نشرها مؤخراً مفكر بحريني أيضاً، هو نجل رئيس الأمن العام في البحرين، لربط انقلاب سنة ١٩٨١ بإيران لكنه فشل في توفير دليل يساند ذلك الزعم. انظر: Hasan Tariq Al-Hasan, «The Role of Iran in the Failed Coup of 1981: The IFLB in Bahrain,» *Middle East Journal*, vol. 65, no. 4 (Autumn 2011), pp. 603-617.

(١٨) مقابلة أجراها المؤلف مع أحمد الشيرازي في الكويت، في شباط/ فبراير ٢٠١٢.

أضرب مثالاً أخيراً على ذلك، وهو مالك متجر يبيع كتب الشيرازيّين في قلب بلدة المنامة القديمة وسط الأزقّة التي تحتضن بيوت العزاء ومساجد الشيعة القديمة. يعرض بعضُ بيوت العزاء هذه التي يشار إليها محلياً ببيوت العزاء الإيرانية، صوراً لآية الله روح الله الخميني وللمرشد الأعلى للثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي بشكلٍ علني. ولغاية شباط/ فبراير ٢٠١١، كان يوجد محل لبيع التذكارات الدِّينية بالقرب من متجر الكتب الشيرازية وكان لا يزال يبيع أقداحاً عليها صور رجلَي الدِّين الإيرانيّيْن آنفَي الذكر واللذَين يعتبرهما عدد من أفراد الأسرة الحاكمة عدوَّين لدودَين للبحرين. وهناك برقية دبلوماسية أمريكية وصفت مأدبةَ غذاء مع ملك البحرين حمد قال فيها: «طالما أنّ خامنئي يحمل لقب القائد الأعلى للقوات المسلحة، يتعيّن على البحرين أن تقلق من ولاء الشيعة الذين يقيمون روابط وتحالفات مع إيران»، وأنّ هذا هو سبب عدم تمثيل الشيعة في القيادة العسكرية للبحرين(١٩).

اختفت هذه الأقداح في أيار/ مايو ٢٠١١ بعد شهرين من قمع المعتصمين، لكن التباين بين مالك متجر الكتب الدينية غير السياسي ونظرائه الأكثر تسيساً بأقداحهم التي تحمل صور خامنئي لم يكن متصوراً بهذا الوضوح كما في شباط/ فبراير ٢٠١١، فقد انقضت أيام على بدء الاحتجاجات من غير أن يتوجّه صاحب متجر الكتب إلى دوار اللؤلؤة وجادل بأنه ينبغي على الشيعة أن يقنعوا بالحرّية الدِّينية التي يتمتعون بها هنا وأن يعيشوا حياتهم بهدوء من دون الانخراط في السياسة. وبخلاف ذلك، سيكون مآلُ البحرين مآلَ العراق وتلك أسوأ حصيلة ممكنة، وكان قد عاد للتوّ من رحلة إلى كربلاء حيث زار الأضرحة التي يقدّسها الشيعة واشترى بعض الكتب فهاله الفلتان الأمني في العراق، وفضّل البحرين التي تمتع فيها الشيعة إلى سنة ٢٠١١ بحريات دينية أكبر منها في أي مكان آخر كما ظهر في المراسم السنوية بشهر محرّم قبالة متجره. وبالتالي، فيما أحجم الجناح غير السياسي والدِّينيّ التوجّه في الحركة الشيرازية عن

(١٩) برقية دبلوماسية أمريكية نشرها موقع ويكيليكس: From Embassy Manama to Secretary of State, «Luncheon with King Hamad,» (06MANAMA409), 15 March 2006, <http://wikileaks.org/cable/2006/03/06MANAMA409.html>.

الانخراط في السياسة بوجه عام، أراد الجناح الأكثر تسيّساً، وهو الجناح المرتبط بالمدرّسيين الذين اعتراهم الضعف الشديد بعد سقوط صدام، انتهاز هذه الفرصة لتأكيد وجودهم في الخليج.

يعيدنا ذلك إلى مسألة من هو الطرف الذي حرّك الاحتجاجات، وما إذا كانت هذه الاحتجاجات مؤامرة حاكها وأدارها عملاء طائفيون موالون لإيران وحزب الله اللبناني، وهي الفكرة التي سعى النظام لاحقاً ليُقنع بها العالمَ بأسره. كانت الاحتجاجات الأولى والسيطرة على دوار اللؤلؤة صنيع مجموعة من الشباب. ففي الأيام التي سبقت ١٤ شباط/ فبراير، نظّمت المجموعات الشبابية، في القرى المتنوعة وفي الأحياء المحيطة بالمنامة، صفوفها عبر الإنترنت، ولا سيما عبر الفايسبوك، وخططت للتوجّه إلى دوار اللؤلؤة. والإقبال الكبير في ذلك اليوم فاجأهم هم أنفسهم[٢٠]، وبعد أن احتلّوا الدوار، انضمّت الحركات الإسلامية الشيعية إليهم بأنصارها ومساندتها التنظيمية.

عدتُ إلى الدوار مساء ٢٤ شباط/ فبراير، وفيما كنت أتمشى هناك، رأيت مهرجاناً سياسياً قائماً على قدم وساق، سعى الخطباء إلى لفت أنظار الحشود ونُصبت خيام كبيرة في المنطقة المحيطة بالدوار، واحتلّ المعتصمون أرضاً أكبر.

التقيتُ برجل دين تعرّفت إليه سابقاً في متجر لبيع الكتب في إحدى القرى الشيعية خارج المنامة. كان عجمياً، أي كان شيعياً أصله إيراني، وكان يجيب دائماً بكلمة «أجل» على الطريقة الفارسية عوضاً عن الطريقة العربية. كان ناشطاً في مجال النشر وكَتَب عدة كُتُب عن التاريخ المحلي ـ وهي هواية شعبية لدى رجال الدِّين والمفكرين الشيعة ـ لكنّه كان مشاركاً في حركات المعارضة الشيعية أيضاً. وأراد أن يعرّفني بمجموعته وأراد منّي التحدّث إلى حفنة من الشباب لأفهم على نحو أفضل الأمور التي تجري. اصطحبني إلى خيمة كبيرة تبعد بضع مئات من الأمتار عن الدوار، وكان فيها نحو عشرة رجال جالسين ويحتسون الشاي. أعربوا عن آراء شديدة

(٢٠) مقابلة أجراها المؤلف مع ناشط شاب في البحرين في أيار/ مايو ٢٠١١.

الانتقاد للنظام وللأسرة الحاكمة، مثل آراء جميع من في الدوار تقريباً، وعندما سألتهم عن الجماعة التي ينتمون إليها أجابوا: حزب الله.

كان ذلك جواباً معبّراً، إن الاتجاه الذي يعتمده حزب الله الموالي لإيران، والذي يُعرف محلياً بخطّ الإمام في إشارة إلى أتباع خط الإمام الخميني، واحد من الاتجاهات الإسلامية الشيعية السياسية المنتشرة في الخليج منذ عقود. وهناك جدال واسع في البحرين وفي الخليج ككل حيال إمكانية وجود كيان اسمه حزب الله تُلهمه إيران أو ترعاه في البحرين، وما إذا كان ضالعاً في الاحتجاجات. يلوم النظام ووسائل الإعلام لديه في العادة خلايا حزب الله على كل الاحتجاجات، ويُلمح إلى مشاركة حزب الله اللبناني وإيران، لكنّ الأحزاب السياسية الشيعية، ومنها جمعية الوفاق، لا يعترفون بوجود كيان اسمه حزب الله في البحرين ويجادلون بأن الوفاق حزب محلي، لكنّ الحقيقة واقعة بين الرأيين وهو ما أثبته اجتماعي بعدد من عناصر الحزب في دوار اللؤلؤة.

يوجد تيارات رئيسة ثلاثة للإسلام السياسي لدى الشيعة العرب: حزب الدعوة، وحزب الله، والشيرازيون. تأسس حزب الدعوة على يد الشيخ محمد باقر الصدر في العراق، وامتدّ إلى الكويت والبحرين خصوصاً، لكنه لم يتحوّل إلى تيار قوي في أوساط شيعة المملكة العربية السعودية أبداً. وعقب سقوط صدام، بات فرع تابع لحزب الدعوة الحزبَ المهيمن في السياسة العراقية، ورئيسه هو رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي(٢١)، وانبثق تيار حزب الله من حزب الدعوة في بعض دول الخليج، ولا سيما الكويت، وهو يضمّ المسلمين الشيعة الذين يتبعون المرشد الأعلى للثورة الإيرانية كونه موجّههم الروحي، آية الله خامنئي وقبله آية الله الخميني إلى حين وفاته في سنة ١٩٨٩. ونظراً إلى العلاقات المتردّية بين الدول الخليجية وإيران، وخوف حكّام الخليج الذي يكاد يصل إلى حدّ الهلوسة من التخريب الإيراني، فإن تيار حزب الله بالذات هو الذي يؤرق النظم

---

(٢١) Laurence Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf* (New York: Columbia University Press, 2008), pp. 83-88 and 103-120, <http://www.islamicdawaparty.com/?module=home&fname=history.php&active=7>.

وهو الذي يُنظر إليه بعين الريبة[٢٢]. وينتمي ما يصل إلى نصف كوادر جمعية الوفاق ومناصريها إلى هذا التيار، فيما ينتمي النصف الآخر إلى تيار الدعوة، بالإضافة إلى عدد من الأنصار غير المنتمين إلى أي من هذين التيارين، فإذا وجّهتَ سؤالاً مباشراً إلى أحد أعضاء جمعية الوفاق، سيجيب: أجل أنا من حزب الله في الأصل، أو أنا من حزب الدعوة في الأصل. كما إن رجال الدِّين يضطلعون بدور أساس في جمعية الوفاق بلا شك، فأمينها العام الشيخ علي سلمان، ونائب الأمين العام الشيخ حسين الدَّيهي، والمرشد الروحي عيسى قاسم، رجال دين بارزون، لكنّ ذلك لا يعني أنّ أجندة جمعية الوفاق متوافقة تماماً مع الطموحات الإقليمية الإيرانية أو أنّ جميع أعضاء الوفاق عناصر في حزب الله[٢٣].

زعم الشيخ الذي تولّى أغلبية الحديث في الخيمة أنه سُجن في تسعينيات القرن الماضي لأنه عضو في حزب الله. وهو لا يزال يجادل بأنه يدافع عن مُثُل حزب الله وفحواها أنه ينبغي لرجال الدِّين قيادة المجتمع، وأن آية الله خامنئي قائدهم الروحي، وأنّ الجماعة تتبع خطّ آية الله الخميني. وتتميّز مجموعات حزب الله بإيمانها بمبدأ ولاية الفقيه، أي النظام السياسي في إيران.

هذه هي أيديولوجيا حزب الله الكلاسيكية، الأمر الذي يصرّح به حزب الله اللبناني والمنظمات الرديفة له في العراق والخليج، لكنّ الشيخ كان واضحاً بشأن هذه النقطة، فهو لا يريد أن تكون البحرين جزءاً من إيران، أو إقامة نظام على النمط الإيراني فيها، فذلك لن ينجح بحسب قوله كون البحرين ليست بلداً متجانساً، ولأنّ الإيرانيّين لا يعرفون ما هو الأنفع للبحرين، ثمّ عرّفني إلى عدد قليل من الشباب الحاضرين ممن شاركوا في احتلال الدوار وتربطهم بهذه المجموعة روابط ضعيفة، لكنّهم جادلوا بأنّه ليس لأغلبية الشباب انتماء سياسي، وأنهم يسعون إلى تشكيل

---

(٢٢) للاطلاع على تفاصيل عن الفرع السعودي لشبكات حزب الله، انظر: Toby Matthiesen, «Hizbullah Hijaz: A History of the Most Radical Saudi Shi'a Opposition Group,» *Middle East Journal*, vol. 64, no. 2 (Spring 2010), pp. 179-197.

(٢٣) مقابلات أجراها المؤلف مع كوادر في جمعية الوفاق ومع مناصريها، البحرين، شباط/ فبراير وآذار/ مارس ٢٠١١.

مجموعة تمثّل مصالح الشباب من الخلفيات السياسية كافة. الواضح أنها مهمة عسيرة لوجود آراء متنافرة، وبخاصة جمعية الوفاق التي سعت إلى منع التيارات الأكثر تطرّفاً من الانتشار في أوساط الشباب.

تلك كانت إحدى النتائج الرئيسة للربيع العربي بالتأكيد، في مجمل المنطقة وليس في البحرين فقط، وهي تمكين حركات شبابية متراخية التنظيم وليس لها قيادة متماسكة عبر أحزاب أكثر رسوخاً. وذلك كان الانطباع الذي تكوّن لديّ حين تحدثت إلى البحرينيّين الشباب فتياناً وفتيات في دوار اللؤلؤة. أدّى هؤلاء الناشطون الشباب دوراً رئيساً في تنظيم الاحتجاجات ثم نقلِ المعلومات إلى المحتجين وإلى العالم الخارجي، مستخدمين مواقع التواصل الاجتماعي، والمنتديات الإلكترونية، والمواقع الإلكترونية الأخرى، فضلاً عن إجراء الاتصالات مع الصحافيّين الأجانب. وكان الحديث في كل مكان في الدوار عن «شباب ١٤ فبراير»، وعن أسماء كثيرة أخرى مشابهة كُتبت كشعارات على الجدران أو ذُكرت لي في المناقشات.

وفي النهاية، شكّلت هذه المجمّعات الشبابية المتنوعة التي زعمت جميعاً المشاركة في اقتحام دوار اللؤلؤة أوّل مرّة في ١٤ شباط/ فبراير، «ائتلاف شباب ثورة ١٤ فبراير» (سنشير إليه اختصاراً باسم «ائتلاف ١٤ فبراير» من الآن فصاعداً)، وهو منظمة جامعة غير مركزية لمجموعات شبابية متنوعة معارِضة للملكية. تكوّنت نواة هذا الائتلاف في الفترة الممتدة بين حملة القمع في ١٧ شباط/ فبراير والعودة إلى الدوار في ١٩ شباط/ فبراير[٢٤]. يشاطر «ائتلافُ ١٤ فبراير» بعضَ المجموعات الشبابية

---

(٢٤) مراسلات إلكترونية أجراها المؤلف مع ممثل للائتلاف في نيسان/ أبريل ٢٠١٣. صفحته على الفايسبوك هي: <http://www.facebook.com/Coalition14th>

والمعجبون ٦١,٥٠٥، وصفحته على تويتر هي coalition14@ ومتابعوها ٦١,٧٣٨ شخصاً لغاية ٢٧ آذار/ مارس ٢٠١٣. نظمت مجموعة شبابية أولى مظاهرات ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١١ باستدعاء الناس إلى دوار اللؤلؤة في المنامة عن طريق الفايسبوك في ما عرف لاحقاً بائتلاف ١٤ فبراير. دعت إحدى الصفحات إلى «يوم غضب»، ودعت أخرى إلى «ثورة» في ١٤ شباط/ فبراير. انظر: «ثورة ١٤ فبراير: الأحداث اليومية،» ملتقى البحرين، ٢٥/ ٢/ ٢٠١١، <http://bahrainonline. org/showthread.php?t=261420>. =

التي بدأت الثورة في مصر، ولا سيما «حركة شباب ٦ أبريل»، خصائص عديدة وكان الناشطون البحرينيون والخليجيون الآخرون على اتصال بالمصريّين قبل سقوط مبارك وبعده[٢٥].

تميّزت الاحتجاجات الأولى في شباط/ فبراير وآذار/ مارس ٢٠١١ بطابعها السِّلمي إلى حدّ بعيد. وبقي الشباب حتى أيام قليلة سبقت احتجاجات ١٤ شباط/ فبراير يشعلون الإطارات في القرى الشيعية للاحتجاج على الحكومة. لكنهم حين رأوا نجاح الحشود السِّلمية في تونس ومصر، وعندما وصلوا إلى دوار اللؤلؤة، تفطّنوا إلى كون الاحتجاجات الجماعية السِّلمية أكثر فاعلية من العنف المحدود النطاق الذي ميّز الاحتجاجات في العقود السابقة. وبحسب ما قاله لي محمد المسقطي، مؤسس «جمعية شباب البحرين لحقوق الإنسان» على مأدبة غذاء في أيار/ مايو ٢٠١١، حثّ مع أشخاصٍ آخرين الشبابَ طوال سنين على اعتماد المظاهرات السِّلمية[٢٦].

وفي أثناء ذلك، أسس الجناح الأكثر عدوانية للمعارضة السياسية تكتلاً هو «التحالف من أجل الجمهورية» في ٧ آذار/ مارس وسعى إلى الإطاحة بالملَكية. أعلنت ولادةَ هذا التحالف ثلاثُ جمعيات سياسية غير مرخّصة («حركة حق»، و«تيار الوفاء الإسلامي» و«حركة أحرار البحرين

= انظر أيضاً: Toby C. Jones and Ala'a Shehabi, «Bahrain's Revolutionaries,» *Foreign Policy* (2 January 2012), < http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/01/02/bahrains_revolutionaries >.

(٢٥) Jane Kinninmont, «Bahrain: Beyond the Impasse,» (Chatham House Programme Report) (June 2012), p. 23, < http://www.chathamhouse.org/publications/papers/view/183983 >.

مقابلة أجراها المؤلف مع أحد مؤسسي «حركة شباب ٦ أبريل» في القاهرة في أيار/ مايو ٢٠١٣.

(٢٦) استلهمت «جمعية شباب البحرين لحقوق الإنسان» من «أوتْبور» (المقاومة)، وهي حركة شبابية صربية غير حزبية اضطلعت بدور بارز، مع عدم لجوئها إلى العنف، في الإطاحة بالرئيس الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠. وفي سنة ٢٠٠٦، شارك مؤسس الجمعية محمد المسقطي في دورة تدريبية مع أوتبور في الأردن، وفي السنة التالية، بدأت الجمعية بإصدار البيانات والتقارير عن حقوق الإنسان وعن أنشطة المعارضة السياسية في البحرين. مقابلة أجراها المؤلف مع محمد المسقطي في البحرين في أيار/ مايو ٢٠١١. انظر أيضاً: Michael Slackman, «Bullets Stall Youthful Push for Arab Spring,» *New York Times*, 18/3/2011, < http://www.nytimes.com/2011/03/18/world/middleeast-/18youth.html >, and Bahrain Youth Society for Human Rights, < http://byshr.org >.

الإسلامية»[٢٧] وتعهّدت بعمل وثيق الصلة مع ائتلاف ١٤ فبراير[٢٨]. وصرّح حسن مشيمع، الأمين العام لـ «حركة حق»، في الدوّار بأن «هذا التحالف الثلاثي يتبنّى إسقاط النظام القائم في البحرين وإقامة نظام جمهوري ديمقراطي»[٢٩].

أراد «ائتلاف ١٤ فبراير» الإطاحة بالنظام الحالي أيضاً، لكن من دون أن يحدّد نوع الحكم الذي سيعقبه. وذُكر أنّه سيتمّ تحديد ذلك في استفتاء شعبي عقب سقوط النظام الحالي[٣٠]. ولتحقيق هذه الغاية، أراد الائتلاف توسيع رقعة الاحتجاجات خارج الدوّار، فنظّم في ١١ آذار/ مارس ٢٠١١ مسيرة توجّهت نحو حيّ الرفاع الذي تقطنه الطبقة الراقية وأغلبية قاطنيه من السنّة وعدد من الأمراء ويضمّ «الديوان الملكي». رأت الأسرة الحاكمة وعدد من السنّة الآخرين في ذلك إهانة، ثم انتقل المحتجون إلى إغلاق الطرق المحيطة بدوّار اللؤلؤة، ولا سيما قبالة ميناء البحرين المالي، وهو مجمّع ناطحات سحاب ومشروع مهيب يعكس التنمية الاقتصادية في البحرين ويُزعم أن رئيس الوزراء مالكه.

أي إنه فيما كان وليّ العهد البحريني يفاوض في السرّ سبع جمعيات معارضة مرخّصة منها «تكتل الوفاق الشيعي» لجعل البحرين أقرب إلى ملكية دستورية، كان ائتلاف ١٤ فبراير و«التحالف من أجل الجمهورية» يزيدان الأمور سوءاً. سارعت الماكينة الدعائية الموالية للنظام إلى المجادلة بأنّ الائتلاف يدعو إلى «جمهورية إسلامية»، ولا يزال عدد من

---

(٢٧) أسس سعيد الشهابي ومنصور الجمري «حركة أحرار البحرين الإسلامية» في لندن في سنة ١٩٨٢. وفيما عاد الجمري وآخرون إلى البحرين في سنة ٢٠٠١، بقي الشهابي الذي لم يقْنع بدستور سنة ٢٠٠٢ في منفاه بلندن حيث يتحدث باسم المجموعة. انظر: Bahrain Freedom Movement, <http://www.vob.org>; Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf*, pp. 28 and 202, and Sajjad Rizvi, «Shi'ism in Bahrain: Marja'iyya and Politics,» *Orient*, no. 4 (2009), pp. 16-24.

(٢٨) «Bahraini «Coalition for a Republic» Issues First Statement,» Jadaliyya (9 March 2011), <http://www.jadaliyya.com/pages/ index/839/bahraini-coalition-for-a-republic-issues-first-sta>.

(٢٩) «Hardline Shi'ite Groups Demand Republic in Bahrain,» Reuters, 8 March 2011, <http://af.reuters.com/article/worldNews/idAFTRE7272SU20110308>.

(٣٠) مراسلات إلكترونية أجراها المؤلف مع ممثل ائتلاف ١٤ فبراير في نيسان/ أبريل ٢٠١٣.

السنّة في الخليج يصدّقون ذلك، مع أنّ الائتلاف لم يستخدم هذه العبارة أبداً. وبدا أنّ وليّ العهد البحريني عرض إصلاحات ديمقراطية مهمة وإعطاء الشعب نفوذاً أكبر، بما في ذلك الشيعة، في الحكومة[٣١]. لكن مع وصول الشائعات التي تحدثت عن المفاوضات إلى الدوار حيث كان الجوّ يتحوّل بسرعة لمصلحة المناداة بالجمهورية عوضاً عن ملكية دستورية، انتقد بعضُ الثوريّين جمعيةَ الوفاق. وعمل المتشدّدون في الأسرة الحاكمة المحيطون برئيس الوزراء الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة، الذي كان منصبه الشخصي مهدّداً من قِبل المحتجين، على حلّ مختلف لـ «مشكلة» الاحتجاجات الشعبية المطالِبة بتغيير ديمقراطي، وكان حلّهم إثارة الطائفية.

---

(٣١) للاطلاع على وصف مفصّل للحوار، انظر: Joost Hiltermann and Toby Matthiesen, «Bahrain Burning,» *New York Review of Books* (18 August 2011), pp. 49-51, <http://www.nybooks.com/articles/archives/2011/aug/18/bahrain-burning>; International Crisis Group [ICG], «Popular Protest in North Africa and the Middle East (VIII): Bahrain's Rocky Road to Reform,» *Middle East/North Africa Report*, no. 111 (28 July 2011), pp. 9-14, <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/iraq-iran-gulf/bahrain/111-popular-protest-in-north-africa-and-the-middle-east-viii-bahrains-rocky-road-to-reform.aspx>, and Bahrain Independent Commission of Inquiry, «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» p. 168 ff.

الفصل الرابع

الثورة المضادّة

إن «مملكة البحرين أفشلت مخططاً خارجياً عُمل عليه لمدّة لا تقلّ عن عشرين أو ثلاثين عاماً استهدف البحرين حتى تكون الأرضيةُ جاهزةً لذلك... فلتهنأ البحرين بما أنجزته».

مقتطف من حديث جلالة الملك حمد بن خليفة أمام ضباط من قوات درع الجزيرة المشتركة، ٢١ آذار/ مارس ٢٠١١(*).

«زعم حكّام البحرين أن إيران ضالعة في الأحداث التي تجري في البحرين. هذا كذب. كلا، نحن لا نتدخّل... لو أننا تدخّلنا لكانت الأوضاع مختلفة في البحرين».

آية الله علي خامنئي، المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية، خطبة الجمعة في طهران، ٣ شباط/ فبراير ٢٠١٢(**).

عندما زرت البحرين للمرّة الثانية في أيار/ مايو ٢٠١١، وجدت البلاد مكاناً مختلفاً تماماً، كانت القوات السعودية قد عبرت جسر الملك فهد، الممتد بين المنطقة الشرقية والبحرين، في ١٤ آذار/ مارس ٢٠١١، وأُتبِعَت بعدها بمفرزة شرطة من دولة الإمارات العربية المتحدة. كانت هذه القوات

(*) «Bahrain Unrest: King Hamad Says Foreign Plot Foiled,» BBC, 21 March 2011, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-12802945>.

(**) «Supreme Leader: Iran Will Not Back Down, Will Confront Threats at Right Time,» <http://english.khamenei.ir/index.php?option=com_content&task=view&id=1581>.

في الاسم جزءاً من قوة درع الجزيرة، وهي القوة المشتركة لمجلس التعاون الخليجي التي لم توضَع محلّ الاستخدام من قبل إلّا نادراً(١). ومع أنّ النظم الخليجية تزعم أن القوات الأجنبية توجّهت نحو ثكناتها مباشرة ولم تشارك في ضبط الأمن، وُوجهت جماعات كبيرة من المعارضة بنشر قوات أجنبية جميع عناصرها من السنّة لإسكات الاحتجاجات، رأى عدد من البحرينيّين، ولا سيما كثير من الشيعة، أن البحرين واقعة من ذلك اليوم تحت الاحتلال من الناحية الفعلية، لكنّ شريحة من السكان، وكثير منهم من السنّة، رأوا في الجنود الأجانب منقذين، وحرص النظام ألا يكون مبعث الإحساس بأن البلاد أشبه بمحافظة سعودية هو انتشار الدبابات السعودية فقط، ولذلك رُفعت أعلام المملكة العربية السعودية ووُضعت ملصقات للملك عبد الله عاهل المملكة خارج مجلس النواب البحريني، وبيعت فانيلات قصيرة الأكمام وأقلام تصف المملكة العربية السعودية بـ «مملكة الإنسانية» في زوايا الطرقات.

المفترض أن ملك البحرين دعا القوات بموجب اتفاقية دفاع مشترك لمجلس التعاون الخليجي، مع أنه يرجّح أن يكون القرار قد اتُّخذ من قِبل الجناح اليميني في الأسرة الحاكمة إلى حانب الصقور في الأسرة السعودية الحاكمة، مثل: وزير الداخلية الراحل الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود. وأشير إلى أنّ بعض أفراد الأسرة البحرينية الحاكمة عارض إدخال تغييرات سياسية ذات شأن، منهم رئيس الوزراء خليفة بن سلمان آل خليفة الذي تظاهر ضدّه عشرات الآلاف، فضلاً عن فرع من أسرة آل خليفة يُعرف بجناح «الخوالد». يتحدّر الخوالد من أسرة آل خليفة من فرع غير فرع الملك ووليّ العهد ـ أفرد هذا الجناح أحفاد خالد بن علي آل خليفة وهم يشعرون بأنهم حُرموا من اعتلاء العرش. ومع أن البريطانيّين همّشوهم، فقد عظم شأنهم في العقد الماضي وهم يشغلون الآن المناصب الرئيسة، مثل

---

(١) أُسست هذه القوة في سنة ١٩٨٦، لكنها لم تشكّل جيشاً متكاملاً لمجلس التعاون الخليجي، بل كانت تُشكّل وحدات من الجيوش الوطنية بين الحين والآخر وتُلحَق بشكل رسمي في قوات درع الجزيرة. وهذا ما حصل في آذار/ مارس ٢٠١١ حين أرسلت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وحدات تابعة لهما من الحرس الوطني والجيش والشرطة إلى البحرين تحت اسم قوة درع الجزيرة. انظر: Christian Koch, «The GCC as a Regional Security Organization,» *Konrad Adenauer Stiftung International Reports*, vol. 2 (2010), pp. 23-35.

خالد بن أحمد آل خليفة وزير الديوان الملكي، وخليفة بن أحمد آل خليفة قائد قوات دفاع البحرين، وخالد بن علي آل خليفة وزير العدل والشؤون الإسلامية، وجميعهم من الخوالد(٢).

استاء هؤلاء المتشدّدون كثيراً من التنازلات التي بدا أن وليّ العهد البحريني سيقدّمها إلى المعارضة، ولذلك تدخّلت القوات السعودية لوقف العملية، وانتشرت في العالم صور أرتال الدبابات وناقلات الجنود المدرّعة السعودية وهي تتقدم على جسر الملك فهد الذي يربط بين الدولتين، وشكّلت نهايةَ المرحلة الأولى من الربيع العربي والتي كانت مفعمة بالتفاؤل. من الآن فصاعداً، ستبادر قوى الثورة المضادّة إلى الردّ، ولن يسقط دكتاتور أو يتنحّى من دون شهور أو سنين من إراقة الدماء، وحتى خارج الخليج، «برزت المملكة العربية السعودية كمركز للثورة المضادّة، تقدّم الدعم المالي والسياسي للنظم المحافظة في المنطقة»(٣).

تلا ذلك فرض الأحكام العرفية تحت مسمّى «حالة السلامة الوطنية» وترافقت مع حملة اعتقالات واسعة، وفُرض حظر تجوال جزئي، وحظر على التجمّعات، وحملة قمع عامة طالت كل من اعتُبر متعاطفاً مع المحتجّين. إن الأهمية الاستراتيجية التي تتمتّع بها مملكة البحرين بالنسبة إلى مجلس التعاون الخليجي، والمخاوف السعودية من إمكانية امتداد الاحتجاجات إلى المحافظة الشرقية، حمل الأسرة السعودية الحاكمة على

---

(٢) مقابلات أجراها المؤلف في البحرين في شباط/ فبراير وأيار/ مايو ٢٠١١. انظر: Jane Kinninmont, «Bahrain: Beyond the Impasse,» Chatham House Programme Report (June 2012), p. 5 ff, <http://www.chathamhouse.org/publications/papers/view/183983>, and Frederic Wehrey, «The March of Bahrain» Hardliners,» Carnegie Middle East Center (May 2012), <http://carnegie-mec.org/publications/?fa=48299>, and *Bahrain Mirror*, 17/2/2012, <http://bahrainmirror.com/article.php?id=3169&cid=74>.

(٣) Marc Lynch, *The Arab Uprisings The Unnished Revolutions of the New Middle East* (New York: PublicAffairs, 2012), p. 9, and Toby Craig Jones, «Saudi Arabia Versus the Arab Spring,» *Raritan: A Quarterly Review,* vol. 31, no. 2 (2011), pp. 43-59.

ومن ناحية أخرى، يجادل غريغوري غوز ٣ بأن المملكة العربية السعودية عملت كقوة مضادّة للثورة في البحرين فيما ساندت القوى المناهضة للنظام في ليبيا وسوريا وأجرت مفاوضات لنقل السلطة في اليمن. انظر: F. Gregory Gause III, «Saudi Arabia in the New Middle East,» Council on Foreign Relations Special Report (December 2011), <http://www.cfr.org/saudi-arabia/saudi-arabia-new-middle-east/p26663>.

التحرّك. واعتُبرت البحرين الحلقة الأضعف من بين سائر دول الخليج، وأنها معرّضة لضغوط شعبية وتدخلات خارجية، وخشي السعوديون خصوصاً من انتفاع إيران بأي تغيّر يشهده الحكم في البحرين.

قبلتُ بالعمل لدى «مجموعة الأزمات الدولية» لأني أحسست بأن الطائفية المنبعثة من البحرين ربما تُشعل صراعاً في المنطقة، وصُدمت لكون عدد من الأشخاص الذين التقيت بهم في رحلتي السابقة إما غيّبهم الموت، أو أودعوا السجون، أو فرّوا إلى المنفى. وباختصار، كانت البحرين بالنسبة إلي وبالنسبة إلى كثيرين غيري درساً مكثفاً في سياسة السلطة. إنّ مواقع التواصل الاجتماعي طريقة جيدة لتنظيم الثورات أحياناً، لكنّ البنادق والدبابات أدوات فاعلة جداً في سحق الثورات، ولا سيما إذا كان الجنودُ موالين للنظام والضغوط الدولية عليه محدودة، بخلاف الحال في ليبيا ومصر.

بدت البلاد الآن في حالة حرب من الناحية الفعلية؛ رجال متمركزون عند نقاط التفتيش ومزوّدون ببنادق رشاشة، ورجال أخفوا وجوههم، وأيديهم على البنادق الرشاشة المنصوبة على الدبابات، تلك كانت علامة بارزة على ما آلت إليه البحرين ونسيجها الاجتماعي الذي تمزّق. في هذه الدولة الصغيرة التي بالكاد يربو عدد سكانها على ستمئة ألف مواطن، خشي حملة البنادق هؤلاء من أن يحاسَبوا في يوم من الأيام، ولا يبدو أن إقامتهم في قرى ومستوطنات تخضع مداخلها للحراسة وفّرت لهم إحساساً أقوى بالأمن.

ومن خلال تجوالي في أنحاء الجزيرة ودخولي القرى الشيعية والسنّية، تفطّنت إلى مدى تشابك الجغرافيا الحضرية، والاحتجاجات السياسية، والانقسامات الإثنية والطائفية والطبقية، لكنّ التخطيط العمراني مكوّن أساس أيضاً، فالاحتجاجات الضخمة في الشوارع، ولو نُظمت عبر الإنترنت، متصلة بطبيعة الحال بالبنيان الحضري أو القروي الذي يصوغ الحياة اليومية للناس. أحد التحديات الرئيسة التي واجهت جميع ثورات الربيع العربي هو الحاجة إلى تجاوز مساوئ التخطيط العمراني الذي حدّ من الساحات العامة التي تسهّل عمليات الاحتجاج، فأغلبية المساحات

الحضرية تتخلّلها طرقات سريعة وتقطعات مرورية، وعوائق أخرى، لكنّ ذلك لا يمنع من وجود مساحات عامة كبيرة في بعض مدن الشرق الأوسط، وهي تركة الحكم الاستعماري أو الحروب، كما هي الحال في بيروت التي شهدت حركة احتجاجية قادها الشباب في سنة ٢٠٠٦ وليس في سنة ٢٠١١. كما يوجد في وسط القاهرة بعض المنتزهات والشوارع العريضة التي تحفّها الأشجار، لكنّ ميدان التحرير دوار فائق الازدحام، ولو كان ميداناً من الناحية الاسمية. والأمر نفسه يسري على البحرين، فمركز دوار اللؤلؤة ضيّق المساحة في الواقع، والناس يتحاشون الذهاب إليه في العادة لكثرة السيارات التي تدور حوله، أضف إلى ذلك أنّ طريقاً سريعاً يصل المنطقة بالضواحي يمرّ فوق جسر يلي الدوار مباشرة، وهو ما يجعل المكان أقل شبهاً بساحة عامة، بل يجعله معيقاً للتجمعات خصوصاً بأي وجه كانت، فليس هناك ما يشبه ميدان تياناْنمِن [في بكين] أو ميدان البرلمان أو حتى منتزه فسيح في وسط المدينة يمكّن الناس من التجمّع، لكنّ المعتصمين قلبوا عنصر التحكّم هذا رأساً على عقب، ومن اليوم الأول الذي أعقب احتلال الشباب للدوار، أوقفوا السيارات في جواره وهو ما أدّى إلى توسيع منطقة الاعتصام توسعة كبيرة، ويقع دوار اللؤلؤة في وسط المركز المالي وبلدة المنامة القديمة والقرى الشيعية «الديه» و«السنابس» و«البرهامة». يشار إلى هذه القرى بـ «مثلّث الصمود» لدورها المركزي في الاحتجاجات، وقد تحوّلت بمرور السنين إلى تجمّع حضري وشكّلت ضواحي للمنامة من الناحية الفعلية، والشيء الجديد في سنة ٢٠١١ كان قدوم الحركات الاحتجاجية الضخمة تلك إلى المدينة وعدم الاقتصار على القرى بعد ذلك[٤]. وأشير إلى أن القرى الشيعية شهدت احتجاجات متكررة طوال عقود، ولا سيما إشعال إطارات السيارات في الطرقات ليلاً وشهدت أيضاً كثيراً من حوادث العنف في انتفاضة تسعينيات القرن الماضي. وبعد حملة القمع في الدوار وقتذاك، عادت جغرافيا الاحتجاجات إلى القرى، وهي تشهد من ذلك الحين احتجاجات أسبوعية وحتى يومية أحياناً. يوجد في تلك القرى نفحة شيعية مميزة لما فيها من مساجد شيعية وبيوت عزاء

---

(٤) Charles Tripp, *The Power and the People: Paths of Resistance in the Middle East* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2013), p. 110 f.

ورايات سود تذكّر بالإمام الحسين وزخارف مع أضواء إنارة تتدلّى في الشوارع ـ بقايا احتفالات الشيعة في شهر محرّم. الجدران مكسوّة بكتابات معادية للنظام وتتراوح بين «الشعب يريد إسقاط النظام» و«يسقط حمد» و«الموت لآل خليفة». ولكل من هذه القرى شبكتها الخاصة من الناشطين، وجماعاتها الشبابية الآخذة في التزايد، وحضورها على الإنترنت، سواء من خلال منتديات المناقشة أم من خلال مواقع إلكترونية أو مواقع التواصل الاجتماعي. وهذه موصولة بعدد كبير من الهواتف الذكية فضلاً عن كون معدّل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وانتشارها في الخليج من بين أعلى المعدّلات في العالم. وعلى هذه المصادر الإلكترونية تُنشر أخبار الاحتجاجات: تذاع الأخبار المحلية، بما في ذلك حالات اعتقال المحتجّين، ويتقاسم الناس تجاربهم عند نقاط التفتيش مثلاً، والهجمات بقنابل الغاز المسيّل للدموع وما شابه ذلك. وإذا دخلت الشرطة إحدى القرى، يصل الخبر إلى السكان بسرعة عبر النداء من خلال مواقع التواصل الاجتماعي بـ «الشعب الحرّ في القرية كذا أو كذا».

القرى مقسَّمة بشكل واضح، بعضها يغلب عليه السنّة وبعضها يغلب عليه الشيعة، وهذه هي الحال كذلك في المحافظة الشرقية في المملكة العربية السعودية. الانقسامات الطائفية مترسّخة في أنماط حيازة الأرض، والتطور العمراني، وفرض الأمن. وكجزء من التدابير الثورية المضادّة، تقيم القوى الأمنية في البحرين وفي المحافظة الشرقية نقاط تفتش عند مداخل القرى الشيعية، وهي ممارسة مستمرّة منذ ذلك الحين، كما ضربت القوى الأمنية حصاراً دام أسابيع بكل ما في الكلمة من معنى على قرية مهزة في جزيرة سترة البحرينية في أواخر سنة ٢٠١٢[٥]. غدا التنقل في المنطقة عسيراً جداً بسبب نقاط التفتيش هذه، ما كان يتسبّب بتوترات أدّت إلى اشتباكات بين الحين والآخر. وعقب إطلاق النار على عدد من الشبّان الشيعة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١ عند نقاط التفتيش في المحافظة الشرقية، تصاعدت الاحتجاجات.

(٥) Mona Kareem, «Bahrain: Mahazza Village Still Under Siege,» *Global Voices* (10 December 2012), < http://globalvoicesonline.org/2012/12/10/bahrain-mahazza-village-still-under-siege >.

تعمل القوى الأمنية في هذه القرى في بيئة شديدة العداء، وتأتي القوى الأمنية عادة لتفريق مظاهرة فتطلق قنابل الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي وتعتقل عدداً قليلاً من الأشخاص ثم ترحل. وما إن تغادر القرية حتى يعاود الناس النزول إلى الشوارع، ويتم تصوير هذه الاحتجاجات وتحمَّل أشرطة الفيديو على الإنترنت على جناح السرعة فتنتشر الأخبار ويسود حسّ لدى متتبّعي الحوادث في مختلف أنحاء العالم باستمرار الاحتجاجات. وبالتالي، تضمن طبيعة هذه القرى استمرار الانتفاضة إلى أجل غير محدود تقريباً مع استحالة سحقها بالكامل كون الاحتجاجات في القرية تظلّ خياراً متاحاً، لكن في نظر النظام البحريني، الاحتجاجات مقبولة طالما أنّها محصورة بالقرى ولا تمتدّ إلى مركز المدينة؛ لأنها ليست على مرأى البحرينيّين السنّة بشكل سافر ولأن وسائل الإعلام الدولية المعروفة تواجه صعوبات في تغطية الحوادث. وهناك حكايات لا تُحصى عن صحافيّين أجانب أُعيدوا إلى المطار أو مُنعوا من الوصول إلى القرى التي تشهد احتجاجات، بل هُوجموا واعتُقلوا في بعض الحالات عقب تصويرهم الحوادث هناك(٦).

الشيء الذي كان متفشياً على الخصوص في أوساط الشيعة هو إحساس صاعق بالخوف؛ إذ كان الجميع خائفين على حياتهم وعلى حياة أُسرهم، وحتى أعيان المجتمع الشيعي الأغنياء كانوا مستهدفين. وعلى سبيل المثال، استُهدف عبد الكريم فخراوي صاحب دار نشر وسلسلة متاجر لبيع الكتب، وشركة بناء، وكان أحد مؤسسي صحيفة **الوسط**. إنه عجمي، أي شيعي أصله من إيران، ويعتقد عدد من الشيعة أنّ ذلك بسبب أصله وهو من أجل تهديد عموم العجم الذين يشكلون نحو ١٠ في المئة من شيعة البحرين(٧)، اعتُقل في ٣ نيسان/ أبريل ٢٠١١ عندما ذهب ليتقصّى أسباب محاصرة الشرطة منزل أحد أقاربه في الليلة التي قبلها،

---

(٦) للاطلاع على أمثلة، انظر تغطية «مراسلون بلا حدود» للبحرين وقائمة بأسماء الأشخاص الذين مُنعوا من الدخول والتي جمعتها: Bahrain Watch, <http://en.rsf.org/bahrain.htmlandbahrainwatch.org/access>.

(٧) بعض شيعة البحرين والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر وسلطنة عُمان أصولهم إيرانية، فيما ترجع قرابات أغلبية شيعة السعودية إلى قبائل عربية أو إلى سكان محليين مستقرّين في المحافظة الشرقية.

وتُوفي في ١١ نيسان/ أبريل إثر إصابته بفشل كلوي وسكتة قلبية بعد تعرّضه للتعذيب[٨].

توجّهتُ في أيار/ مايو إلى أكبر متجر لبيع الكتب يملكه الفخراوي في قرية جدحفص الشيعية فوجدته فارغاً خلا البائع الهندي. نشر الفخراوي عشرات الكتب التي تناولت تاريخ البحرين، وجمعت منها قدر ما أستطيع. اشتريت كتباً من بائع هندي لا يتقن العربية ولا يُحسن قراءة عناوين الكتب العربية، وربما لا يعرف كثيراً عن الصراع المحتدم في البحرين، لكنّ المنشورات الصحافية الحكومية الصادرة باللغة الإنكليزية حرّضته على كره المسلمين الشيعة وحملتْه على الاعتقاد بأنّهم سيطردون العمال الأجانب من البحرين أو يؤذونهم إن هم وصلوا إلى السلطة، ولم أطلب حسماً على مشترياتي.

شملت حملةُ القمع أيضاً صحيفة **الوسط** التي تقدّمت الإشارة إليها، وكان فخراوي أحد مؤسسيها كما كان منصور الجمري ـ رئيس تحرير الصحيفة ـ أحد الذين خشوا على أنفسهم حين التقيت به مرة أخرى في أيار/ مايو ٢٠١١. أما ذكرياته بصفته محرراً في أكثر الصحف شعبية في البلاد وقدرته على السفر لحضور مؤتمرات في الخارج والاجتماع بكبار أفراد الأسرة الحاكمة فبدت بعيدة، وعقب حملة القمع في آذار/ مارس ٢٠١١، أُرغم على تقديم استقالته من منصب رئيس التحرير في ٣ نيسان/ أبريل[٩]. خشي أن يلتقي بي على الملأ وهو الذي طُلب إليه الابتعاد عن الأجانب، ولذلك التقيت به في السرّ؛ إذ كان عليّ تتبّعه والاجتماع به في

---

(٨) تعزو «اللجنة البحرينية المستقلّة لتقصّي الحقائق» وفاته إلى «التعذيب فيما كان رهن الاعتقال لدى جهاز الأمن الوطني». انظر: Bahrain Independent Commission of Inquiry, «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» 23 November 2011, p. 244 ff, <http://www.bici.org.bh>, and Physicians for Human Rights, «Do No Harm: A Call for Bahrain to End Systematic Attacks on Doctors and Patients,» April 2011, pp. 24-25, <https://s3.amazonaws.com/PHR_Reports/bahrain-22April_4-45pm.pdf>.

ويعزو تقريرُ اللجنة وفاة ١٣ مدنياً إلى العنف الذي لجأت إليه القوى الأمنية، إضافة إلى خمس وفيات عُزيت إلى التعذيب. انظر: «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» p. 429f.

(٩) أعاده مجلس الإدارة إلى منصبه كرئيس تحرير في ٤ آب/ أغسطس ٢٠١١. محادثة إلكترونية أجراها المؤلف مع منصور الجمري في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣.

سيارته في مرآب سيارات تحت الأرض حيث فككنا جهازَينا الخليويّين اللذَين يخضعان، كسائر هواتف المنخرطين في السياسة عن بُعد في البحرين، للمراقبة على مدار الساعة بواسطة برمجيات صنعتها شركات غربية(١٠). وبعد أن وصلنا إلى ضواحي إحدى القرى الشيعية، أخبرني عن أهوال حملة القمع وحالات الاختفاء والضرب والقتل، وكيف إن معارفه في الأسرة الحاكمة والنظام خذلوه.

سدّدت حملةُ القمع ضربات موجعة لسائر جماعات المعارضة، لكنّ استهداف بعضها فاق استهداف بعضها الآخر، احتفظت جمعية الوفاق مثلاً بمنزلة خاصة كونها تمثّل الطرف المعتدل في المعارضة ولأن الأمريكيّين رأوا في الجمعية المفتاح لأي تسوية سياسية. ومع ذلك، نالها العقاب أيضاً مع اشتداد القمع؛ ومن ذلك أن الشيخ علي سلمان، أمينها العام، أصيب في رأسه بقنبلة مسيلة للدموع أُطلقت من مسافة قريبة في إحدى المظاهرات، فيما سُحبت الجنسية من عضويْن سابقَين في البرلمان من جمعية الوفاق(١١).

على أن الحملة استهدفت خصوصاً الجهات التي طالبت بإسقاط النظام، والناشطين من جماعة وعد اليسارية، وهو حزب قومي عربي عناصره من السنّة والشيعة. واعتقال الأمين العام للحزب، إبراهيم شريف السنّي، بواسطة أفراد مقنّعين من مجموعة كوماندوس تابعة للقوات الخاصة في ١٧ آذار/ مارس يوضح ذلك. التقيتُ به في الدوار في شباط/ فبراير، حيث ألقى خطباً حماسية لدعم حركة الاحتجاج والحثّ على الوحدة السنّية الشيعية. وفي أثناء ذلك، غدا مقرُّ حزب وعد نقطة التقاء

---

(١٠) Vernon Silver and Ben Elgin, «Torture in Bahrain Becomes Routine with Help from Nokia Siemens,» *Bloomberg Markets Magazine* (22 August 2011), <http://www.bloomberg.com/news/2011-08-22/torture-in-bahrain-becomes-routine-wirh-help-from-nokia-siemens-networking.html>.

(١١) كان العضوان السابقان في المجلس الوطني عن جمعية الوفاق، جلال وجواد فيروز، في عداد واحد وثلاثين ناشطاً بحرينياً تحدثنا عنهم في الفصل السابق ممن سُحبت منهم جنسيتهم في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ بزعم «انتهاك الأمن الوطني والإضرار بأمن الدولة. انظر: «Bahrainis Stripped of Citizenship,» *Al-Ahram Weekly* (21 November 2012), <http://weeklyahram.org.eg/News/306/19/Bahrainis-stripped-of-citizenship.aspx>.

للمهنيّين والمفكرين المنتمين إلى المعارضة البحرينية الليبرالية والعلمانية. وعندما عدتُ إلى أوروبا، شاهدت على الإنترنت شريطاً مصوّراً لمقرّ حزب وعد عقب نهبه على يد مجموعة من الغوغاء الموالين للنظام. وأُحرقت أجزاء واسعة من المكان الذي التقيت فيه بمسنّين من قوميّين عرب وناصريّين وشيوعيّين وسُوّيت بالأرض، وحكى إبراهيم شريف وقائع تعذيبه بالتفصيل في رسائل هُرّبت من السجن ونُشرت على الإنترنت(١٢).

إذا اعتُبر أمثال هؤلاء الأشخاص تهديداً للنظام البحريني وعُوملوا بتلك الطريقة، من المؤلم أن نتخيّل تصرّفاته مع المحتجّين الشباب حين داهمت القوى الأمنية والغوغاء الموالون للنظام منازلهم في مداهماتهم الليلية.

تلا ذلك إلغاء ترخيص وعد كجمعية سياسية، لكن حين زرتُ فريدة غلام، وهي مسؤولة في حزب وعد وزوجة إبراهيم شريف، في أيار/ مايو ٢٠١١، بدا أنها والقيادة السياسية للجمعية عازمتان على عدم الرضوخ. وبُعَيد ذلك قضت محكمة أمنية خاصة بسجن إبراهيم خمس سنين.

وعلى النقيض من القادة الإسلاميّين المسجونين الذين وجدت السفارات الأجنبية صعوبة في بناء علاقات معهم، كان إبراهيم شريف معروفاً حتى في بعض العواصم الغربية. وباعتقاله خسر النظام البحريني بعضاً من صدقيّته في الخارج، لكنه تمكّن من ترويع الشخصيات السنّية المستعدة للوقوف مع المعارضة، كما استُهدفت شخصيات سنّية معارِضة أخرى؛ فحين ذهبتُ في أيار/ مايو ٢٠١١ لمقابلة منيرة فخرو، وهي مسؤولة سنّية أخرى في حزب وعد وأستاذة في علم الاجتماع في جامعة البحرين، كانت آثار القنابل الحارقة التي ألقتها مجموعة من الغوغاء الموالية للنظام لترويعها لا تزال بادية في بيتها. تتحدّر منيرة من أسرة تجار ثرية، لكنّ علاقاتها ومكانتها العامة لم تمنع من استهدافها ـ وانتماؤها السنّي لم يشفع لها. جدّدتْ بالطبع القول إن النظام يخشى أشخاصاً من أمثالها يناصرون الاحتجاجات أكثر من أي شيء آخر، أشخاصاً مثقفين وأثرياء ونابذين للطائفية. جادلتْ بأن الانقسامات بين الموالين والمعارضين، وبين السنّة

(١٢) <http://freesharif.wordpress.com>.

والشيعة باتت أعمق من أي وقت مضى وأن رأبها سيستغرق عقوداً، حتى لو تمّت مصالحة حقيقية الآن.

أيّدت محكمة مدنية في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢ الحكم الصادر في حقّ إبراهيم عقب إدانته مبدئياً في محكمة عسكرية، وكذلك الأحكام الصادرة في حقّ تسعة عشر آخرين من رموز المعارضة البحرينية منهم قيادة حركة حق وجمعية الوفاء والشيرازيّين. وحُكم على ثمانية من هؤلاء الناشطين بالسجن مدى الحياة، منهم الناشط الحقوقي البارز والسياسي المعارض الشيرازي سابقاً عبد الهادي الخواجة. وفي سنة ٢٠١٢، أضرب عن الطعام مدة ١١٠ أيام واستحوذ على انتباه دولي من غير أن يؤدّي ذلك إلى إطلاق سراحه[١٣]، ثمّ خسر قادةُ المعارضة والناشطون الحقوقيون استئنافهم النهائي في مطلع كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣، وسيمضون سنين طويلة في السجن على الأرجح[١٤].

الناشط الحقوقي الآخر الذي أصبح ناشطاً سياسياً هو نبيل رجب الذي بدا في أيار/ مايو ٢٠١١ «آخر الصامدين». أسّس نبيل «مركز البحرين لحقوق الإنسان» بالاشتراك مع عبد الهادي الخواجة. في ذلك الحين رئس نبيل المركزَ الآن وكان على اتصال بمنظمات دولية وإقليمية مدافعة عن حقوق الإنسان مثل هيومان رايتس ووتش، وبما أنّه يتحدّر من أسرة شيعيّة ثرية، وشخصيّة علمانية، شكّل نشاطه واتصالاته الدولية مشكلة للنظام، فلم يُعتقل في حملة القمع الأولى التي طالت رموز المعارضة والناشطين الحقوقيّين الآخرين عقب تدخل القوات السعودية في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١. وعندما أجريت معه مقابلة في منزله في أيار/ مايو ٢٠١١، بدا متحدّياً وجادل بأنّه يُؤْثر الموت أو الذهاب إلى السجن على التخلّي عن قضيته. وفيما كنا جالسيْن في غرفة الجلوس، شهدتُ حركة متواصلة جيئة وذهاباً لضحايا التعذيب أو انتهاكات الشرطة، أو

(١٣) «Bahrain Court Upholds-Life Sentences for Activists,» Associated Press, 4 September 2012, <http://www.guardian.co.uk/world/feedarticle/10422048>.

(١٤) Kareem Fahim, «Court in Bahrain Confirms Jail Terms for 13 Dissidents,» *New York Times*, 7/1/2013, <http://www.nytimes.com/2013/01/08/world/middleeast/court-in-bahrain-confirms-jail-terms-for-13-dissidents.html>.

أقارب سجناء سياسيّين قدموا ليخبروه عن قصصهم. كما قاد نبيل مظاهرات صغيرة غير مرخَّصة طوال سنتي ٢٠١١ و٢٠١٢ وواصل انتقاد الأسرة الحاكمة على التويتر وفي مقابلاته مع وسائل إعلام أجنبية. وعقب سفره إلى الخارج وظهوره في برنامج «هارد توك» على قناة بي. بي. سي وفي برنامج جوليان أسانج التلفزيوني، اعتُقل في مطار المنامة في ٥ أيار/ مايو ٢٠١٢، وحُكم عليه بالسجن في تموز/ يوليو ٢٠١٢ لتغريدة انتقد فيها رئيس الوزراء البحريني(١٥). عرف نبيل، وناشطون معارضون قوّت المعارك بأسهم، أنّ صراعهم لن يكون سهلاً وكانوا مستعدين للذهاب إلى السجن في سبيل معتقداتهم. جادل نبيل بأنّ اعتقال شخصيّات المعارضة وسّع القاعدة الاجتماعية للحركة وزاد عدد مناصريها، لأنّه في مقابل كل معارض محنَّك يُعتقل، يحلّ محلّه عشرة شبان. وسرعان ما سيملأ الأبناءُ أو البنات أو أبناء الإخوة أو أبناء الأخوات أو الأقارب البعيدون أو مراهقون من سكان الحيّ أماكن المعتقلين ويصبحون مواطنين صحافيّين، ومراقبين حقوقيّين، ومنظّمي احتجاجات. وخير مثال على ذلك ابنتا عبد الهادي الخواجة، مريم وزينب، اللتان أصبحتا ناشطتين بارزتين مستقلتين. وكان لنشاطهما في مجال حقوق الإنسان داخل البحرين وخارجها دور كبير في تأمين تغطية وسائل الإعلام الدولية المعروفة للحوادث في البحرين. أصبحت مريم عقب اعتقال والدها نائب رئيس مركز البحرين لحقوق الإنسان، ثمّ تولّت رئاسة المركز بالوكالة عقب اعتقال رئيسه نبيل رجب في سنة ٢٠١٢(١٦). وقد أدّى منع الصحافيّين والمنظّمات غير الحكومية من دخول البحرين غالباً إلى فتح مجالات أمام

---

(١٥) Human Rights Watch, «Bahrain: Rights Activist Jailed for «Insulting» Tweets,» 11 July 2012, <http://www.hrw.org/news/2012/07/11/bahrain-rights-activist-jailed-insulting-tweets>.

تم خفض عقوبته الأولية من ثلاث سنوات إلى سنتين بعد الاستئناف. انظر: Kareem Fahim, «Activist's Conviction Upheld in Test of Pledges by Bahrain,» *New York Times*, 11/12/2012, www.nytimes.com/2012/12/12/world/middleeast/bahrain-court-upholds-activists-conviction.html>.

(١٦) اعتُقلت زينب الخواجة أكثر من مرّة في البحرين في الأعوام ٢٠١١ و٢٠١٢ و٢٠١٣.

انظر حسابات تويتر: @mary amalkhawaja, and @angryarabiya.

انظر أيضاً الرسالة التي بعثت بها زينب من السجن وأعلنت فيها إضراباً عن الطعام: Zainab al-Khawaja, «Why I Am on Hunger Strike in Bahrain,» *New York Times Blog* (24 March 2013), <http://kristof.blogs.nytimes.com/2013/03/24/a-letter-from-a-political-prisoner-on-hunger-strike-in-bahrain>.

هؤلاء الناشطين الشباب في الواقع وجعلهم الأساس في نقل الأخبار المتصلة بالاحتجاجات إلى العالم الخارجي.

في حين هوجم هؤلاء الناشطون الشباب والجماعات الشبابية التي برزت بعد ١٤ شباط/ فبراير، لم تكن هيكليتهم معروفة تماماً لدى الأجهزة الأمنية ولم يكن لديهم سوى شخصيّات قليلة مرئية تجاهر برأيها علناً. يوجد لدى «ائتلاف ١٤ فبراير»، الجماعة الشبابية الرئيسة التي حرّكت الاحتجاجات في البحرين، لجنة مركزية وفروع في كل قرية شيعية وفي عدد من الأحياء الحضرية، لكنّهم يعملون في الخفاء، وعدد من أنصاره كانوا أنصاراً سابقين لحركة حقّ وتيار الوفاء غير المرخَّصَين، لكنهم مالوا إلى الائتلاف عقب سجن قادة هاتين الجماعتين. واصل «ائتلاف ١٤ فبراير» تنظيم احتجاجات أسبوعية بل يومية أحياناً في القرى الشيعية، وفي المنامة بين الحين والآخر أيضاً، وهي موثَّقة بالتفصيل وفاعلة للغاية في إذاعة الأنباء المتصلة بالاحتجاجات عبر الإنترنت.

زاد ميل «ائتلاف ١٤ فبراير» إلى المواجهة عقب حملة القمع في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١ خصوصاً، وبدأ أعضاؤه باللجوء إلى أعمال عنف في الشوارع، مثل: إشعال إطارات السيارات، وإغلاق الطرقات، وشنّ هجمات على مراكز الشرطة، وخوض اشتباكات مع القوى الأمنية. ومع استمرار حالة المراوحة السياسية وعمليات القمع، ازدادت شعبية الائتلاف وغدا بمثل أهمية جمعية الوفاق على الأقل في المشهد السياسي الشيعي البحريني. وقد شهد بعض معاقل «ائتلاف ١٤ فبراير» أقسى عمليات الدهم الأمنية وأطول عمليات حصار من حين إلى آخر من قِبل القوى الأمنية رداً على أعماله. كما أسس عدد من الفروع، بما في ذلك مجموعات «الدفاع المقدّس» التي تُعتبر الجناح العسكري للائتلاف. وسبب تشكيل هذه المجموعات خطبة ألقاها الشيخ البحريني عيسى قاسم في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢ حين أفتى بجواز استخدام العنف دفاعاً عن المجتمع، خصوصاً الدفاع عن نساء الشيعة، عقب ورود تقارير تحدثت عن مهاجمة بعض النسوة. تقوم أيديولوجيا هذه الجماعة على الدفاع عما تعتبره مقدّساً في نظر المجتمع الشيعي، أي النساء ودور العبادة وأملاك المجتمع، ويلفّ أنصارُها رؤوسهم غالباً بعصائب، ويرتدون فانيلات

قصيرة الأكمام تحمل شعار «ائتلاف ١٤ فبراير»، ويغطّون وجوههم، ويعملون حرّاساً في الاحتجاجات[١٧].

سعى الائتلاف أيضاً إلى ربط صراعه بحركة «احتلّوا» العالمية التي ظهرت في سنة ٢٠١١ ودعا إلى تنظيم احتجاجات «احتلوا البديّع» في شارع البديّع، وهو خط سير رئيس يربط بين قرى شيعية أساساً قريبة من وسط المنامة[١٨].

يوجد في وسط شارع البديّع مركز تسوّق يضمّ مقهى كبيراً يطلّ على الشارع تابعاً لسلسلة مقاهي «كوستا كافيه». أصبح هذا المقهى نقطة التقاء شعبية لناشطي المعارضة، ولا سيّما منذ انطلاق عملية القمع في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١. تمتلك أسرة شيعية لا تتعاطى السياسة امتياز كوستا كافيه في البحرين، على حين تملك أسرة تجار سنّية كويتية رخصة «ستارباكس» في دول الخليج، ولذلك يعتقد الأشخاص المؤيدون لاعتصامات الدوار والشيعة البحرينيون عموماً بأن الأمن الذي يجدونه نوعاً ما في مقهى «كوستا كافيه» أوفر منه في «ستارباكس»[١٩]. وعندما جلست هناك في ذروة حملة القمع في أيار/ مايو ٢٠١١، كان في مقدور المرء رؤية خمس شاحنات أو أكثر تعلوها مدافع رشاشة متوسطة وناقلات جند مدرّعة وهي تتقدم من أحد جانبي الطريق وتقطعه للانتقال إلى الجانب المقابل، لتعود بعد بضع دقائق لتلتف عند المخرج التالي. وبحسب ما قاله

---

(١٧) مقابلة أجراها المؤلف مع نشاط معارِض بحريني في بيروت، في آذار/ مارس ٢٠١٣.
انظر أيضاً: Bahrain Mirror, 2/1/2012, <http://www.bahrainrnirror.com/artide.php?id= 2643& cid=II7>, and @Holydefince on Twitter.

(١٨) سعى بعض المحتجين في القطيف في المملكة العربية السعودية إلى فعل الأمر نفسه كما تجسّد في حساب تويتر: OQatif@، لكنّ الوصف الذاتي لهذا الحساب أكثر علاقة بالمواطنة البحرينية منه بحركة «احتلّوا» العالمية: «#Qatif, #Hasa, and #Awal (#Bahrain) will be united to become the historical Greater Bahrain».

(تم دخول الحساب في ١٥ آب/ أغسطس ٢٠١٢).

(١٩) Aryn Baker, «Disappearing Dissent: How Bahrain Buried Its Revolution,» *Time* (29 November 2011), <http://world.time.com/2011/11/29/disappearing-dissent-how-bahrain-buried-its-revolution>, and Adam B. Ellick, «A Haven for Dissent in Bahrain, Where Lattes and Tear Gas Mix,» *New York Times*, 28/12/2011, <http://www.nytimes.com/2011/12/29/world/middleeast/coffee-shop-clashes-show-how-bahrain-rules-fear-any-dissent.html?pagewanted=all>.

أشخاص محلّيون تحدثت إليهم، تمرّ هذه الأرتال عبر القرى الشيعية المتصلة بهذا الشارع الرئيس - ومدافعها الرشاشة ملقّمة - لمجرّد إثبات حضور الجهاز الأمني وربما اعتقال بعض الشبان.

لكن حتى لو اقتصر المحتجّون على احتلال أماكن مركزية وطرق سريعة، لن يشكّلوا خطراً وجودياً على النظام الملكي إلّا إذا كانوا متنوّعين طائفياً بحقّ وإذا بدأت الجماهير السنّية المتنوعة الموالية للنظام بالانقلاب عليه. لا شيء أسهل بالطبع من القول إن الشيعة ينزلون إلى الشوارع والسنّة يمكثون في المنازل، والحقيقة هي أن السنّة في البحرين بدأوا بتعبئة متظاهريهم بعد انقضاء أسبوع على البدء باعتصام الدوار في شباط/ فبراير ٢٠١١. نسّق النظام أغلبية عملية التعبئة هذه وشجّع عليها - وُزّعت صور الملك ورئيس الوزراء في زوايا الشوارع، واستجاب كثير منهم للدعوات المطالِبة بمساندة الحكم الملكي - لكنّ بعض المحتجّين كان أكثر انتقاداً وجاهر بمطالب لم تختلف في بعض الأحيان عن المطالب التي كانت تُسمع في الدوار. وعلى سبيل المثال، بدأ عبد اللطيف المحمود الذي أصبح لاحقاً رئيس «تجمّع الوحدة الوطنية» وهو أول جماعة سنّية تنبثق عن مظاهرات الفاتح، بمطالبة الحكومة بتقديم تنازلات وإصلاحات سياسية حقيقية، لكنّ القوى السياسية السنّية الجديدة تمتعت باستقلالية محدودة إزاء هياكل سلطة آل خليفة[٢٠].

وفيما كنت أستمع إلى قصص مروّعة في أيار/ مايو ٢٠١١ حكاها حقوقيون شيعة عن حملة القمع، رسم سياسيون سنّة صورة مختلفة تماماً؛ إذ التقيت في فندقي في أحد الأيام شاباً سنّياً اصطحبني بالسيارة إلى جمعية خيرية معروفة يديرها خرّيجو جامعة الأزهر في القاهرة. شارك هذا الشابّ

---

(٢٠) في الواقع، بعد أن استبدّ الإحباط بمحمود وجماعته بسبب الجمود السياسي في البحرين واعترافهم الضمني بأن الحكومة استغلتهم لإضعاف الحركة الاحتجاجية، أعلنوا أنهم سيعملون من الآن فصاعداً بمعزل عن الحكومة. انظر: Hasan Tariq Al-Hasan, «"Too Bigto Succeed": A Case of Sunni Politics in Bahrain,» *Open Democracy* (23 July 2012), <http://www.opendemocracy.net/hasan-tariq-al-hasan/%E2%80%98too-big-to-succeed%E2%80%99-case-of-sunni-politics-in-bahrain>.

لمعرفة المزيد عن التعبئة السياسية السنّية، انظر: Justin Gengler, «Bahrain's Sunni Awakening,» *Middle East Report Online* (17 January 2012), <http://www.merip.org/mero/mero011712>.

السنّي منذ البداية في تنظيم المظاهرات الموالية للحكومة من خلال ما أصبح يعرف لاحقاً بـ «ائتلاف شباب الفاتح». جادل بأنه قام بذلك لأنه لم يجد مكاناً له في الدوار، ولأنه لم يسعد بالشعارات الراديكالية المرفوعة هناك وقد أراد ورفاقه الإصلاح أيضاً، بما في ذلك المزيد من الديمقراطية، لكنهم لا ينشدون إقامة جمهورية من دون الأسرة الحاكمة.

لم يشعر بالخوف ـ فهذا هو بلده ولا شيء يمكن أن يحصل له، وعندما مررنا بنقطة تفتيش اصطفت بجانبها دبابات تحرس الجسر الواصل بين المنامة وجزيرة المحرَّق التي تقطنها أغلبية سنّية، اقترح النزول من السيارة والتحدث إلى الجنود. أراد أن يُظهر لي أننا نقف أمام عناصر من الجيش البحريني لا من الجيش السعودي بعكس رواية المعارضة، لكنّي بعد الإصابات التي رأيتها في الشهور القليلة الماضية والحكايات التي سمعتها عن القوى الأمنية، رفضتُ عرضه التحدث إلى الجنود. بيد أن فكرة إيقاف السيارة أمام نقطة تفتيش عسكرية يتمركز فيها جنود جميعهم من السنّة والتحدث إليهم فيما يجلس أجنبي في السيارة لم تكن لتخطر ببال أي ناشط شيعي يحرّك الاحتجاجات على الأرض، وكانت مؤشراً على شدّة الانقسام الذي آلت إليه البحرين.

التقيتُ في القاعة الفسيحة في «الجمعية الإسلامية» وهي جمعية خيرية، رئيسها المسنّ عبد الرحمن عبد السلام حيث جلسنا عند زاوية على أريكة امتدت بجانب جميع جدران القاعة. كان شخصية واسعة النفوذ على مستوى السياسة البحرينية، فهو رئيس جمعية خيرية وعضو في «مجلس الشورى» الذي يعيّن الملك أعضاءه والذي طالب المعتصمون في الدوار بحلّه[21]. أذهلني الرجل الذي جلست معه في ذلك المساء كونه رجلاً مسنّاً محترماً يزاول العمل الخيري ويرعى مجتمعه بحنان بالغ. لكن ما إن بدأت بالحديث عن الشيعة وعن الحركة الاحتجاجية حتى تعكّر مزاجه وأدلى

(٢١) مجلس الشورى هو مجلس الشيوخ الذي يشكّل مع مجلس نواب منتخَب الجمعيةَ. يمثّل مجلس الشورى مصالح الأسرة المالكة عادة، ويمكنه عرقلة مشاريع القوانين التي ينشد مجلسُ النواب تمريرها. وتريد المعارضة الحدّ من سلطات مجلس الشورى، فيما يرى الأعضاء المعيَّنون في أنفسهم الضامن للاستقرار. مقابلات أجراها المؤلف مع أعضاء في مجلس النواب ومجلس الشورى في أيار/ مايو ٢٠١١ في البحرين.

ببعض أكثر التعليقات التي سمعتها عن مستقبل الشرق الأوسط تشاؤماً. استخدم بعضاً من أكثر العبارات الازدرائية في وصف المسلمين الشيعة. وصف الشيعة بالروافض والمجوس، منددأ بالشيعة كونهم كفاراً وفُرساً. وأثنى عليّ لسعيي إلى معرفة المزيد عن شيعة الخليج لأنه يرى أهمية في معرفة المزيد عن القوى الشرّيرة التي تنشط في المنطقة. نظر إليّ بعينيّ العارف وتحدّث عن أمر ربما لن يراه، لكنه زعم بأنني سأشهد ولا بدّ ذلك اليوم الذي تندلع فيه حرب طائفية شاملة في الخليج يحمل فيها شيعة الخليج سلاحهم بطلب من أسيادهم في إيران.

«سيستغرق حصول ذلك عشر سنين على الأكثر، والبحرين أول أهدافهم. وسينتقلون بعدها إلى الاستيلاء على المحافظة الشرقية. ولهذا السبب يتوجّب علينا فضحهم الآن وإظهار أنهم لن ينجحوا في ذلك أبداً».

لم تكن تلك ذريعة لإضفاء طابع شرعي على مساندة نظام دكتاتوري. إنه يعتقد بأن ذلك سيحصل واعتقاده أفزعني.

توجهتُ بعد ذلك إلى تجمّع لناشطين من الشباب السنّة نظّمه عضو رفيع في الإخوان المسلمين. الأمر اللافت هو أن الإخوان المسلمين في البحرين هم الفرع الوحيد للإخوان الذي يوالي النظام في المنطقة(٢٢). إنه يعمل في وضع دقيق للغاية بما أن عدداً من الأنظمة الخليجية باتت ترى في الإخوان المسلمين تهديداً ليس أقل خطراً من تهديد الشيعة للأمن الداخلي واستقرار النظام، ولا سيما أن دولة الإمارات العربية قد نكّلت بهم. وجد الإخوان المسلمون البحرينيون مشقّة شديدة في تبيان سبب عدم معارضتهم آل خليفة كون النظام الملكي لا ينسجم مع النظرية السياسية

---

(٢٢) يعمل الإخوان المسلمون في البحرين تحت اسم «المنبر الوطني الإسلامي». ولطالما كان للتيارات الإسلامية السياسية السنّية المنتشرة في المنطقة موطئ قدم في البحرين. وهؤلاء يضمّون الإخوان المسلمين والسلفيين وما يمكن وصفه بالتيار الأزهري، ويضمّ مجموعة من المفكرين الذين تلقّوا تعليمهم في جامعة الأزهر في القاهرة لكنهم لم ينخرطوا في الجماعتين السياسيتَين الرئيستين الأخريَين. انظر: عباس ميرزا المرشد وعبد الهادي خواجة، **التنظيمات والجمعيات السياسية في البحرين: دراسة وصفية وحقوقية** (المنامة: فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)؛ فلاح عبد الله المدَيرس، **الحركات والجماعات السياسية في البحرين، ١٩٣٧ ـ ٢٠٠٢** (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٤)، وباقر سلمان النجار، **الحركات الدينية في الخليج العربي** (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٧).

للإخوان المسلمين. واكتفوا بالقول إن النظام السياسي في البحرين مختلف وإن الأسرة الحاكمة ليست بمثل سوء بشار الأسد أو حسني مبارك.

وفي هذا المكان التقيتُ مجدداً بالشابة اليسارية السنّية التي كنت قد تحدثت إليها من قبل، في يومي الأول في دوار اللؤلؤة وقد أعطت وجهات نظرها الصريحة للغاية انطباعاً قوياً. لم أرها منذ ثلاثة شهور وفوجئت لرؤيتها في هذا المكان، وفي تجمّع لناشطين شباب سنّة ورموز من حركة الإخوان المسلمين مؤيدة للحكومة، لكن بدا واضحاً في غضون وقت وجيز أنها تجسّد الطرق التي قسّمت الثورةُ الطائفية المضادّة بواسطتها البلادَ وغيّرت حياة جميع البحرينيّين.

لم ينقضِ وقت طويل على التقائي بها حتى تشاجرت مع زملائها. كانت قد توجّهت إلى الدوار عدّة مرّات، لكنها بدأت بانتقاد الهتافات الشيعية التي كان يصيح بها الإسلاميون هناك. فمع إن مطالب المحتجّين لم تكن شيعية في ذاتها، كان يلي «نحن نريد إسقاط النظام» غالباً صيحات إسلامية تميّز المسلمين الشيعة مثل: «بالروح، بالدم، نفديك يا حسين» التي تتقافى مع كلمة البحرين[٢٣].

عندما أبلغت زملاءها العلمانيّين الشيعة أن صيحات الشيعة «لبيك يا حسين» لا تروق لها وأنها لا تستطيع التجاوب مع هذه الشعارات وأنها تنفّر السنّة، بدأ زملاؤها الشيعة بالنظر إليها على أنها خائنة لا يمكن الوثوق بها، وأحجم بعضهم عن الردّ على مكالماتها الهاتفية. وبالكاد باتت تلتقي بأي من زملائها الشيعة منذ انضمامها إلى شبيبة الفاتح. وكما فعل عدد من السنّة الآخرين الذين وقفوا في البداية بجانب الحركة الاحتجاجية، تحوّلت إلى مؤيد للنظام في آخر الآمر.

لا ترجع أسباب هذا التحوّل على وجه الحصر إلى خطاب طائفي تحرّض عليه الحكومة ولا إلى ميول طائفية لقطاعات من الحركة الاحتجاجية، لكن ترجع إلى تفاعل بين عمليات من قمّة الهرم إلى أسفله

---

(٢٣) الشعار الرئيس الآخر الذي رفعه المحتجون في البحرين وفي المحافظة الشرقية السعودية هو «هيهات منّا الذِّلة»، وهي عبارة تُنسَب إلى الإمام الحسين.

ومن أسفل الهرم إلى قمّته قسّمت الحركة الاحتجاجية البحرينية تبعاً لمحاور طائفية. لكنّ قدوم القوات السعودية، والقمع الذي تلاه، وطائفية وسائل الإعلام التابعة للنظام سدّدت ضربة موجعة على نحو استثنائي للشيعة وجعلت كراهية إحدى الطائفتين للطائفة الأخرى مستساغة اجتماعياً.

قامت الأسرة البحرينية الحاكمة بعدد من الخطوات «التصالحية» عقب حملة القمع في أوساط آذار/ مارس ٢٠١١ استرضاءً لمسانديها في المملكة المتحدة وأوروبا. ذلك أنّ حملة القمع في البحرين أحرجت إدارة أوباما بشكل خاص؛ لأنّها كشفت للعالم بأسره نفاقها في مساندة دعاة الديمقراطية في الدول المعادية وليس في الدول الصديقة. أضف إلى ذلك زيادة استدلال إيران وسوريا وروسيا بالقمع في البحرين لصرف الانتباه عن مشكلاتهم الخاصة وعن الثورة السورية. لذلك، أطلق الحكام البحرينيون «الحوار الوطني» وشكّلوا «اللجنة البحرينية المستقلّة لتقصّي الحقائق» التي تقرّر أن ترفع تقريرها إلى الملك وتتقاضى أجرها منه. انعقد الحوار الوطني في تموز/ يوليو ٢٠١١ بمشاركة بعض جماعات المعارضة الشرعية الرئيسة، مثل: جمعية الوفاق وحزب وعد، لكنها انسحبت منها بعد وقت وجيز بعد أن تفطّنت إلى حقيقة أن اللجنة جزء من حملة علاقات عامة وأن ذلك الحوار لن يُفضي إلى أي نتيجة[٢٤]. كما قاطعت المعارضة البحرينية والشيعة عموماً الانتخابات الفرعية البرلمانية التي أُجريت في أيلول/ سبتمبر ٢٠١١ لانتخاب بدلاء عن أعضاء مجلس النواب الثمانية عشرة عن جمعية الوفاق الذين انسحبوا من المجلس غداة بدء الانتفاضة[٢٥]. وبُذلت محاولات عديدة لإعادة إطلاق حوار كان آخرها في كانون الثاني/ يناير

---

(٢٤) International Crisis Group [ICG], «Popular Protest in North Africa and the Middle East (VIII): Bahrain's Rocky Road to Reform,» *Middle East/North Africa Report*, no. 111 (28 July 2011), pp. 18-20, <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/iraq-iran-gulf/bahrain/111-popular-protest-in-north-africa-and-the-middle-east-viii-bahrains-rocky-road-to-reform.aspx>.

بعد انسحاب الجمعيتين من الحوار، أوضحتا رؤاهما الخاصة بالمستقبل والمطالب السياسية لتشكيل حكومة منتخَبة في «وثيقة المنامة». انظر: «Manama Document,» <http://www.bahrainjdm.org/2011/10/13/manama-document-english>.

(٢٥) «UPDATE 1-Fewer Than 1 in 5 Vote in Bahrain By-Elections,» Reuters, 25 September 2011, <http://www.reuters.com/article/2011/ 09/25/bahrain-vote-results-idUSL5E7KPI3G20110925>.

٢٠١٣ وشارك فيها وعد والوفاق، فيما شجب «ائتلاف ١٤ فبراير» الحوار مع النظام. لكن لم يبرز ما يشير إلى أن هذا الحوار ليس حملة علاقات عامة أخرى «لكسب الوقت»، علماً بأن كلاً من هذه الحوارات لم يحقّق نجاحاً إلى الآن كون كل من الطرفين شديد الارتياب في الآخر وذلك يضعف فرص مفاوضات فاترة الهمّة(٢٦).

تشكّلت «اللجنة البحرينية المستقلّة لتقصّي الحقائق» بموجب أمر ملكي صادر في ٧ تموز/ يوليو وباشرت تحقيقاتها في وقت لاحق من ذلك الشهر. نظرت أساساً في انتهاكات أجهزة الدولة لحقوق الإنسان وكذلك انتهاكات المحتجّين بناء على طلب تقدّمت به الحكومة. وباشرت اللجنة شديدة التسيّس أعمالها برئاسة محام مصري أمريكي يعمل في مجال حقوق الإنسان اسمه شريف بسيوني مستعينة بواحد وخمسين موظفاً وتلقّت أكثر من ثمانية آلاف شكوى.

عندما قدّمت تقريرها للملك حمد أخيراً في قصر ملكي في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١، فوجئ الجميع بالصراحة المسرفة في توجيه الاتهامات إلى القوى الأمنية البحرينية(٢٧). جاء التقرير الذي تضمن خمسمئة صفحة ثمرة بحث مستقل فعلاً وبيّن بشكل قاطع وقوع انتهاكات لحقوق الإنسان، منها التعذيب الممنهج من قِبل القوى الأمنية في شباط/ فبراير وفي آذار/ مارس ٢٠١١. لكنّه تحاشى التطرّق إلى المواضيع الحسّاسة. فهو لم يجرّم الأشخاص الذين كانوا على رأس عملية صنع القرار، وهم كبار أفراد الأسرة الحاكمة والملك ورئيس الوزراء. وامتنع بالمثل عن اتخاذ موقف من دعوى تحريك إيران الاحتجاجات في البحرين أو ما إذا كانت قوات مجلس التعاون الخليجي المتمركزة في البحرين ضالعة في انتهاكات حقوق الإنسان(٢٨).

---

(٢٦) Geneive Abdo, «Talking about Reform in Bahrain,» *Foreign Policy* (10 April 2013), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2013/04/10/talkin_about_reform_in_bahrain>.

(٢٧) Joost Hiltermann and Kelly McEvers, «Barricaded in Bahrain,» *New York Review of Books Blog* (27 December 2011), <http://www.nybooks.com/blogs/nyrblog/2011/dec/27/barricaded-bahrain>.

(٢٨) انظر: Bahrain Independent Commission of Inquiry, «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry,» p. 421.

صار في مقدور الملك ومسانديه الغربيّين الإشارة بعد ذلك إلى حقيقة أنّ التحقيقات لا تزال جارية وإلى أن التوصيات التي أشار إليها تقرير اللجنة تنفَّذ ببطء، ثمّ خرج النظام بتقرير بعد سنة جادل بأنّ البحرين تسير على درب إصلاحي وأن التعذيب قد استُؤصل وأن التوصيات قد نُفّذت(٢٩). بيد أنها لم تكن كذلك، وعلى الخصوص التوصيات ذات الصبغة السياسية مثل إعادة محاكمة كل من أدينوا في محاكم عسكرية أو شبه عسكرية وبموجب قانون الطوارئ(٣٠). فعلى عكس اللجان الدولية الأخرى التي ترئسها الأمم المتحدة في العادة، كان أمر تحديد التوصيات التي ينبغي تنفيذها أو عدمه عائداً إلى الملك وإلى لجنة تنفيذ اختير أعضاؤها بالتعيّين. حتى إن بسيوني اضطرّ إلى انتقاد عدم التنفيذ وقال: «لا يمكنك القول بتحقق العدالة حين تكون عقوبة المطالبة بتحويل البحرين إلى جمهورية هي السجن المؤبد، بينما يعاقب الضابط الذي أطلق النار مراراً على رجل أعزل من مسافة قريبة بالسجن لمدة ٧ أعوام فقط»(٣١). وبالتالي، عوضاً عن أن تُطلق «اللجنة البحرينية المستقلة لتقصّي الحقائق» عملية عدالة انتقالية، أضحت رمزاً للجمود السياسي في البحرين.

عقب صدور تقرير «اللجنة البحرينية المستقلة لتقصّي الحقائق»، عُيّن مسؤولان أمنيان غربيان تحوم حول سجلّيهما تساؤلات لـ «إصلاح» القوى الأمنية البحرينية. كان أحدهما ويدعى جون ياتس قد اضطّر من قبل إلى الاستقالة من منصب مساعد مدير شرطة لندن في إثر فضيحة التنصّت على المكالمات الهاتفية من قِبل صحيفة **نيوز أوف ذا ورلد** (*News of the World*) التي يملكها موردوخ(٣٢). وفيما أريد من هذه المناورات استرضاء حلفاء

---

(٢٩) Bahraini Information Affairs Authority, *BICI Follow-Up Report* (November 2012).

(٣٠) Bahrain Center for Human Rights, «The BICI Reforms: Promises of Progress, a Worsening Reality,» (20 November 2012), <http://www.bahrainrights.org/en/node/5520>.

(٣١) Human Rights Watch, «Bahrain Promises Unkept, Rights Still Violated, Head of Independent Commission: Implementation «Inadequate»,» HRW (22 November 2012), <http://www.hrw.org/news/2012/11/22/bahrain-promises-unkept-rights-still-violated>.

(٣٢) المسؤول الثاني كان جون تيموني، رئيس شرطة ميامي السابق الذي انتُقد لتعامله القاسي مع المظاهرات. انظر: Kristian Coates Ulrichsen, «The Hollow Shell of Security Reform in Bahrain,» *Foreign Policy* (12 April 2012), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/04/12/the_hollow_shell_of_security _reform_in_bahrain>.

البحرين في الخارج، تواصلت عمليات القمع في الداخل بلا هوادة. وللتأثير في الرأي العام الغربي، استأجر النظام البحريني شركات علاقات عامة[(٣٣)]، واستخدم وسائل قمعية أقل وضوحاً وفتكاً، فاعتمد أساساً على استخدام واسع للغاز المسيل للدموع لتفريق المتظاهرين، حتى في أماكن محصورة، ما أدّى إصابات العشرات منذ سنة ٢٠١١[(٣٤)].

استخدم النظام، كما لو لم يكن هناك عنف منهجي بما فيه الكفاية، كل وسيلة ممكنة لمسح ذاكرة الانتفاضة، فما أن انقضت أربعة أيام على دخول القوات السعودية في ١٨ آذار/ مارس ٢٠١١ حتى أزيل نصب اللؤلؤة، لكنّ صورة هذ النصب أضحت أيقونة مقاومة أشدّ تأثيراً، أيقونة رسمت بالمرشات على الجدران في البحرين. وغدت أيضاً أيقونة استخدمها أنصار المعارضة على مواقع التواصل الاجتماعي، وأعيد بناؤها بالأشكال والأحجام كافة، بل أصبحت شعار قناة تلفزيونية معارِضة تبثّ من لندن[(٣٥)].

ولتوضيح أن ما تمّ كان بمثابة انتصار للسنّة على الشيعة، أُطلق على التقاطع المروري الذي بُني مكان دوار اللؤلؤة اسم تقاطع الفاروق على اسم الخليفة عمر بن الخطاب. عمر هو ثاني الخلفاء الراشدين، وهو محل تبجيل كبير لدى السنّة كونه قائداً عسكرياً عظيماً، فتح أجزاء واسعة من الإمبراطورية الرومانية وإمبراطورية الساسانيّين الفارسية (الإيرانية)، لكنّ الشيعة لا يقبلون عموماً بالخلفاء الثلاثة الأُوَل كخلفاء راشدين لرسول الله وهم يكرهون عمر. وبالتالي، بهدم نصب اللؤلؤة، حوّل النظامُ رمزاً للتراث الوطني ولوحدة الخليج وللأمل بمستقبل أكثر ديمقراطية إلى رمز طائفي. ولا يزال يوجد في هذا التقاطع المروري الذي كان يسمى دوار اللؤلؤة حراسة كثيفة بواسطة الدبابات والقوات الخاصة منذ ذلك الحين لمنع المحتجّين من العودة إليه.

(٣٣) PR Watch, <http://bahrainwatch.org/pr>.

(٣٤) Physicians for Human Rights, «Weaponizing Tear Gas, Bahrain's Unprecedented Use of Toxic Chemical Agents against Civilians,» (August 2012), <http://physiciansforhumanrights.org/library/reports/weaponizing-tear-gas.html>.

(٣٥) وهي قناة اللؤلؤة الفضائية.

الفصل الخامس
نقطة ضعف محلية

«نحن لسنا موالين لدول أخرى ولا للسلطات كما إننا لسنا موالين لهذا البلد».

الشيخ نمر النمر، قرية العوامية في المحافظة الشرقية
٧ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١(*).

«إن ما يحدث في تلك المنطقة إرهاب جديد تقوم به قلّة... رجال الأمن في السعودية سيواجهون مثل هذه الحالات في حال استفحالها بكل حزم وقوة وبيد من حديد... هؤلاء القلّة تحركهم أيادٍ خارجية نتيجة لمواقف المملكة العربية السعودية الخارجية المشرّفة تجاه أمتها العربية والإسلامية... إنها تستغلّ الجهلة والصغار طابوراً خامساً يحقق مآربها ويخفف الضغط عنها».

مصدر رسمي أمني سعودي،
نقلاً عن وكالة الأنباء السعودية، ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠١٢(**).

شهدت شوارع المملكة العربية السعودية منذ سنة ٢٠١١ أكبر مظاهرات في تاريخها. برزت أكبر الاعتراضات من المسلمين الشيعة في المحافظة الشرقية، لكن برزت احتجاجات صغيرة، ومناشدات، وانتقادات

(*) ترجمة معهد الأبحاث الإعلامية للشرق الأوسط (MEMRI)، انظر: <http://www.youtube.com/watch?v=Nb-OSh5Hnvw>.

(**) «Security Source Comments on a Politicized Friday Sermon by a Qatif-Based Sheikh,» Saudi Press Agency and *al-Riyyad Newspaper*, 20/2/2012, <http://www.alriyadh.com/en/article/711953/print>.

للأسرة الحاكمة في مناطق متنوعة أخرى في المملكة. أدّى قمع الاحتجاجات إلى مقتل خمسة عشر شاباً شيعياً على الأقل، لكنّ وسائل الإعلام الغربية ووسائل الإعلام العربية التي يسيطر عليها حكام الخليج لاذت بالصمت في الأغلب، وذلك عائد من بعض الوجوه إلى منع الحكومة السعودية الصحافيّين والباحثين من السفر إلى المناطق الشيعية في المحافظة الشرقية. عندما انطلقت الاحتجاجات الواسعة النطاق في البحرين في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١١، فقدت نظم مجلس التعاون الخليجي في يوم واحد هالتها بأنها في منأى عن المطالبات بتغيير ديمقراطي. والأشخاص الذين يعيشون في أقرب منطقة إلى البحرين، ولا تفصلهم عنها غير ٣٠ دقيقة بالسيارة على جسر الملك فهد، كانوا أول من استلهم من انتفاضة البحرين. إن التمييز الطائفي الذي يعانيه شيعة السعودية، والذي يجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية من الناحية الفعلية، جعلهم كذلك أكثر قابلية للاحتجاج على الحكم.

يظل الموقف المتوتر للحكومة السعودية وكثير من السعوديين تجاه الشيعة شائعاً. وذلك عائد من بعض النواحي إلى الكتب التي تدرَّس في المدارس يوصف فيها الشيعة والطوائف والأديان الأخرى بأنها كافرة، مثل: الأشخاص الذين ينكرون وحدانية الله. والمنافَسة السعودية الإيرانية والردّ الطائفي خصوصاً على الربيع العربي زادا هذه الآراء حدّة، جاعليْن المجاهرة بتعليقات تحطّ من شأن الشيعة على الملأ أكثر قبولاً من أي وقت مضى. وعلى سبيل المثال، لم يتقلّد شيعي يوماً وزارة، والشيعة ممنوعون عموماً من العمل في الأجهزة الأمنية، والالتحاق بالجيش، والشرطة، فضلاً عن تولّي مناصب حساسة في صناعة النفط وفي الصناعات الأساسية الأخرى. وهم يعانون اضطهادَ «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» بسبب شعائرهم الدينية، ومساجدهم ومصلّياتهم تقام على غير مستند قانوني واضح تماماً ويمكن إغلاقها في أي وقت.

دُعي قادة الشيعة السعوديّون منذ سنة ٢٠٠٣ إلى المشاركة في «الحوار الوطني» الذي أطلقه الملك عبد الله حين كان وليّ العهد. وكان الحوار جزءاً أساساً من محاولة الملك عبد الله تقديم نفسه كملك «إصلاحي» يُدخل تغييرات سياسية في بلاده. أخذ الحوار الوطني شكل سلسلة مناقشات

في مختلف أرجاء المملكة وشمل ممثلين عن عدد من الأوساط السعودية المختلفة، منهم شيوخ محافظون وليبراليون وأقلّيات دينية وسيدات. اقترح إجراء انتخابات لنيل نصف مقاعد مجالس بلدية مجرّدة إلى حدّ بعيد من أي صلاحيات. وعندما أجرت المملكة العربية السعودية في سنة ٢٠٠٥ أول انتخابات بلدية منذ ستينيات القرن الماضي، شارك فيها الشيعة بأعداد كبيرة في المحافظة الشرقية وأوصلوا عدداً من الشيعة إلى مجالس البلديات في القطيف والأحساء لأنهم رأوا في ذلك علامة تشير إلى وجودهم. وبدأت الحكومة بالسماح بالالتزام بالعطل الشيعية بدرجة معيّنة، مثل يوم عاشوراء، في المناطق ذات الأغلبية الشيعية، لكنّ التمييز في الوظائف الحكومية وفي المدارس الأهلية بقي سارياً من الناحية العملية، والأحاسيس المناوئة للشيعة أخذت في الازدياد[1]. والتقييم الإجمالي للإصلاحات في عهد الملك عبد الله هو أنها محدودة[2]. عندما زرت المملكة العربية السعودية لأول مرة في أواخر سنة ٢٠٠٨، أي قبل سنوات من الربيع العربي، لمست تذمّر الشباب الشيعة السعوديّون من الحوار الوطني، ومن سلطات مجالس البلديات، ومن غياب الإصلاح السياسي، واستمرار الاعتقالات والمضايقات من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل جادل بعضهم بأنّ تهدئة الشباب لم تعد ممكنة. وأذكر بوضوح أنني انطلقت بالسيارة في وقت متأخر من إحدى الليالي من الشوارع المتسخة في مدينة القطيف المحفوفة بآلاف أشجار النخيل نحو إحدى القرى النائية. وكان الرجل الذي أردت الاجتماع به قائداً محلياً للتمرّد في المحافظة الشرقية في سنة ١٩٧٩، وكذلك المئات من أبناء جيله،

(١) هذه المعلومة خلاصة أكثر من مئة مقابلة أجراها المؤلف مع شيعة سعوديين ومع مسؤولين سعوديين في أثناء الرحلتين الميدانيتين إلى المملكة العربية السعودية في سنة ٢٠٠٨ وفي سنة ٢٠١١. للاطلاع على المصادر والاقتباسات المتصلة بالحركة الاحتجاجية في المحافظة الشرقية بالمملكة، انظر: Toby Matthiesen, «A «Saudi Spring?»: The Shi'a: Protest Movement in the Eastern Province 2011-2012,» *Middle East Journal*, vol. 66, no. 4 (Autumn 2012), pp. 628-659.

انظر أيضاً: عبد الرحمن محمد عمر العقيل، «أحداث العوامية والقطيف: من ٢ أكتوبر إلى ١٠ فبراير ٢٠١٢،» العوامية، ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٢، <http://www.awamia.net/index.php/permalink/5991.html>.

(٢) للاطلاع على تفنيد قويّ لأسطورة الملك الإصلاحي، انظر: Andrew Hammond, *The Islamic Utopia: The Illusion of Reform in Saudi Arabia* (London: Pluto Press, 2012), pp. 117-153.

ومسؤولاً عن خلية في قريته؛ لكنّه هرب إلى المنفى عقب الانتفاضة متوجهاً إلى إيران أولاً ثمّ إلى منطقة مقام السيدة زينب خارج دمشق. وعلى النقيض من القادة الشيرازيّين، مثل: الشيخ حسن الصفّار الزعيم الروحي للحركة الشيرازية السعودية، انتقد عددٌ من القادة الشيرازيّين المحليّين الذين بقوا في المملكة العربية السعودية وبعضُ الشيوخ المقيمين في الخارج أيّ اتفاق مع الحكومة لا يتضمن تحسين أوضاع الشيعة السعوديّين بشكل جوهري، لكن حين أُبرم اتفاق في سنة ١٩٩٣، عاد هؤلاء إلى الديار في نهاية الأمر وسعوا إلى العمل ضمن النظام. بيد أنّ منتقدي الاتفاق لم يتراجعوا عن موقفهم، وبدأوا بانتقاد الحكومة وما سمَّوه طبقة «الأعيان الجدد» المؤلفة من ناشطين معارضين سابقين منتدبين[٣].

أضاءت الأنوارُ الساطعة من منصة التنقيب عن النفط على مسافة أمتار قليلة الطريقَ المؤدّية إلى منزل الشيخ. وعندما ترجلت من السيارة، كان في مقدوري سماع الضجيج بوضوح: «تاك تاك تاك تاك». قيل لي إن عمليات الحفر لا تتوقف إلّا نادراً وهي مستمرة ليل نهار. مررنا عبر فناء حديقة صغيرة إلى مجلس الشيخ ـ فالمجلس في الأغلب مكان عام فسيح يجتمع فيه الناس في منزلِ واحدٍ منهم للتحاور والتزاور ـ لكنّ مجلسه لم يكن بمثل أبّهة المجالس التي شاهدتها في الرياض أو جدة أو حتى القطيف[٤]؛ كان عبارة عن غرفة في قبو امتلأت بالكتب وفُرشت أرضيتها بقليل من الحصر، وهي المكان الذي قال إنه يدرّس فيه التلاميذ في معظم الأيام لعدم وجود معاهد شرعية شيعية مناسبة في المملكة العربية السعودية.

جلسنا على الأرض وأعدّ لنا الشاي، ثم تهجّم على الأسرة الحاكمة وعلى الشيرازيّين المتعاونين معها، وتحدّث عن وجوب تشكيل حركة

---

(٣) يشبه ذلك، من بعض الوجوه، ما حصل في البحرين حيث عادت المعارضة من المنفى إلى البلاد عقب تولّي الملك حمد العرش، لكنه لم يفِ بوعوده بإصلاح ديمقراطي حقيقي. وانقسمت المعارضة بعد ذلك بشأن ما إذا كان ينبغي المشاركة في انتخابات المجلس الوطني وما إذا كان ينبغي التفاوض مع النظام بعد انتفاضة سنة ٢٠١١.

(٤) Toby Matthiesen, «Diwaniyyas, Intellectual Salons and the Limits of Civil Society in Saudi Arabia,» Middle East Institute (October 2009), pp. 13-15, <http://www.mei.edu/content/diwaniyyas-intellectual-salons-and-limits-civil-society>.

جديدة، وأن المقاربة الحالية لم تحقّق أهدافها. وقال: «كما ترى، نحن نعيش فوق النفط، وأنا أشاهد كيفية استخراجه من أرضنا في كل يوم. لكنك ترى أيضاً أن مناطقنا فقيرة، ونحن لا نحصل على نصيب عادل من دخل النفط، حيث يتم هدر أغلبيته بسبب الفساد».

أحسست بشيء من الإحراج؛ فها أنا موجود في قلب المصالح الأمنية الغربية في المنطقة، وفوق أكبر الاحتياطيات النفطية في العالم، وفي أكثر الدول الأمنية الطابع في العالم، وأمامي شيخ معارض قديم يحدّثني كيف إنهم يريدون تغيير أساليب العمل (التكتيكات)، وأنه يريد الوقوف في وجه الحكومة مجدداً. تساءلت عما إذا كانت الدولة وحلفاؤها الأجانب، وبخاصة الولايات المتحدة ـ على علم بهذه التوترات، وعن أسباب عدم محاولتها معالجة بعض المشكلات الأساسية، ففي النهاية، عاش هؤلاء الناس عقوداً من العمل السياسي المعارض، ولديهم مجموعات في كل قرية، وهناك مجموعات عديدة محبطة بسبب طريقة معاملتهم. ألن يكون استرضاؤهم بطريقة أو بأخرى عملاً ذكياً؟ لكنّ الاسترضاء الجدّي للشيعة ليس على الأجندة، وأنصار النظام يجيبون غالباً بأنّ الشيوخ الوهّابيّين سيعترضون أي تغيير جوهري لأوضاع الشيعة.

بعد مضيّ ثلاثة شهور على هذا اللقاء، اندلعت اشتباكات بين شيعة المحافظة الشرقية والسُنّة، فضلاً عن قوى الأمن في شباط/ فبراير ٢٠٠٩ في مقبرة البقيع في المدينة المنورة، وأعقب ذلك مظاهرات في المحافظة الشرقية. وبما أنني راقبت الاحتجاجات في سنة ٢٠٠٩ والاحتجاجات التي اندلعت منذ سنة ٢٠١١، كان عليّ إمعان النظر في ما قاله لي الشيخ في تلك الأمسية في سنة ٢٠٠٨: «توجد حركة شبابية جديدة لم تعد السيطرة عليها ممكنة وأفرادها لا يصغون إلى آبائهم. وهناك جماعة شيرازية لا تريد السير في المسار الموالي للحكومة الذي انتهجته القيادة الشيعية».

أحد هؤلاء المشايخ يُدعى نمر النمر من قرية العوّامية، وهو الشيخ المحلّي الوحيد الذي أيّد المتظاهرين علناً في المنطقة الشرقية من يوم ١٧ شباط/ فبراير ٢٠١١ فصاعداً، وأضحى زعيماً روحياً للمتظاهرين الشباب. ولطالما كانت العوّامية مرتعاً للحركات السياسية الشيعية المعارِضة. وفيها

صرّح النمر في سنة ٢٠٠٩ بأن الشيعة قد يسعون في يوم من الأيام إلى انفصال المنطقة الشرقية، وفيها نزل المئات إلى الشوارع للاحتجاج على طريقة معاملة النظام للشيعة. بدا أن تصريح الشيخ نمر، وهو شخصية معارضة رفضت التحاور مع الدولة بأي شكل من الأشكال، يؤكد أسوأ مخاوف الأسرة السعودية الحاكمة حيال ولاء الشيعة السعوديّين، وكسر بذلك محرّماً(٥). اعتُقل عددٌ من الأشخاص عقب احتجاجات سنة ٢٠٠٩، وبعد سنتين، طالب المحتجّون في ١٧ شباط/ فبراير بإخلاء سبيل ثلاثة ناشطين كانوا لا يزالون في السجن. أطلق النظام الذي خشي إمكانية تأزّم الوضع، سراح الثلاثة وعدد من السجناء الشيعة الآخرين. وبدا طوال أيام كما لو أن هدوءاً مشوباً بالتوتر قد عاد إلى المحافظة الشرقية، لكن مع اشتداد الاحتجاجات في البحرين، عاد المحتجّون في المحافظة الشرقية إلى الشوارع وكان مطلبهم الثاني إطلاق سراح تسعة مسجونين شيعة سُجنوا لضلوعهم المزعوم في تفجيرات أبراج الخبر التي أودت في سنة ١٩٩٦ بحياة تسعة عشر جندياً أمريكياً. وُجّهت إلى هؤلاء التسعة اتهامات في الولايات المتحدة في سنة ٢٠٠١ بالتآمر مع حزب الله اللبناني وإيران. لكن مع تغيّر أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث ٩ أيلول/ سبتمبر، أصبحوا «سجناء منسيّين»، وهو الاسم الذي اشتُهروا به في أوساط الشيعة السعوديّين(٦). ورُفعت صورهم في المهرجانات التي طالبت بإطلاق سراحهم.

---

(٥) لام الشيخ نمر النمر القيادةَ السعودية على الحوادث التي وقعت في المدينة المنورة وعلى وضع الشيعة عموماً، قبل أن يختم كلامه بالقول «كرامتنا أغلى من هذه الأرض. إذا حال الوضع بيننا وبين كرامتنا، سندعو الى الانفصال عن هذا البلد». وأثار هذه البيان وبيانات قاسية أخرى مشابهة حنق السعوديين الآخرين، لكنها أكسبته مساندة عدد من الشباب الشيعة السعوديين. للاطلاع على مناقشة لحوادث ٢٠٠٩، انظر: Toby Matthiesen, «The Shi'a of Saudi Arabia at a Crossroads,» *Middle East Report Online* (6 May 2009), <http://www.merip.org/mero/mero0506009>; Human Rights Watch [HRW], *Saudi Arabia: Denied Dignity Systematic Discrimination and Hostility Toward Saudi Shia Citizens* (New York: HRW, 2009), pp. 15-21, <http://www.hrw.org/node/85348>.

انظر أيضاً برقية دبلوماسية أمريكية سرّبها موقع ويكيليكس: From Embassy Riyadh to Secretary of State, «Meeting with Controversial Shi'a Sheikh Nimr Al-Nimr,» (23 August 2008), 08Riyadh1283 <http://wikileaks.org/cable/2008/08/08RIYADH1283.html>.

(٦) F. Gregory Gause III, *The International Relations of the Persian Gulf* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2010), pp. 128-132, and Toby Matthiesen, «Hizbullah al-Hijaz: A History of the Most Radical Saudi Shi'a Opposition Group,» *Middle East Journal*, vol. 64, no. 2 (Spring 2010), pp. 179-197.

ومع أنّ حجم هذه الاحتجاجات كان محدوداً نسبياً، فقط تعاظمت في الأسابيع التالية وبلغ عدد المشاركين فيها عدة مئات في العوّامية والقطيف بخاصة، ولا سيّما في يومي الثلاثاء والأربعاء. لكن بعد فشل «يوم الغضب» في الامتداد إلى مناطق أخرى في المملكة العربية السعودية في ١١ آذار/ مارس ٢٠١١، استعاد النظام ثقته بنفسه فقمع المخالفين في الداخل ونافس من أجل التأثير في الدول التي سقط قادتها محاولاً حماية مصالحه من القوى الإقليمية الأخرى. وفي سياق ذلك، وصف الإعلام السعودي إلى جانب إعلام وأنظمة الدول الأعضاء الأخرى في مجلس التعاون الخليجي، انتفاضات البحرين والاحتجاجات في المحافظة الشرقية بأنها من تدبير عملاء إيرانيّين، مشككين في ولاء مواطنيهم الشيعة. سبق أن استُخدم هذا الخطاب مرات عديدة منذ الثورة الإيرانية في سنة ١٩٧٩ وكان يجدر إبداله بخطاب يقوم على الحوار الوطني وعلى التعايش عقب اعتلاء الملك عبد الله العرش في سنة ٢٠٠٥، لكنّ الحديث عن الطابور الخامس الشيعي عاد إلى الصفحات الأولى في الصحف السعودية. إنها لعبة خطرة استخدمها النظام السعودي لترويع أغلبية السكان ودفعهم إلى منح ثقتهم للأسرة الحاكمة كونها الضامن الوحيد للاستقرار.

ومع أن الاحتجاجات المحدودة الحجم تواصلت على مدى شهرين في المحافظة الشرقية، فقد فقدت زخمها عقب قمع الحركة الاحتجاجية في البحرين وبعد أن اتضح أن باقي المناطق في البلاد لن تنضمّ إليها. ومع أنه نُظّمت حملة على الإنترنت للمطالبة بإطلاق سراح خالد الجُهني، وهو المتظاهر الوحيد الذي نزل إلى الشارع للمشاركة في يوم احتجاج في الرياض في ١١ آذار/ مارس، بقيت الاحتجاجات محدودة، ثمّ سُدّدت ضربة أخرى للمظاهرات في المحافظة الشرقية في بيان دعا في ٢١ نيسان/ أبريل إلى وقف الاحتجاجات وقّعه خمسة وثلاثون شيخاً شيعياً، منهم حسن الصفّار. لم تقدّم الدولة السعودية أي تنازلات واعتقلت مئات المحتجّين، وبالتالي هيّأت الأرضية لحملة احتجاج أكبر بكثير في الخريف.

وفي غضون شهور قليلة، تبدّدت إنجازات الحوار الوطني الذي لفت الانتباه إلى التنوّع داخل المملكة العربية السعودية وإلى احترامه بقدر

معيّن، واستُبدل التزمّت والكراهية الطائفية به. وعندما وقع اشتباك خارج مركز للشرطة في قرية العوّامية في ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر، ألقي اللوم بالكامل على عملاء دولة أجنبية، في إشارة ليست مبطّنة للغاية، إلى إيران، ووصفَت الرسوم الكاريكاتورية والمقالات الافتتاحية في الصحف السعودية المتظاهرين الشيعة بأنهم خونة غير مخلصين. كانت تلك الحادثة تطوراً خطِراً بالتأكيد، لكنّ الناشطين الشيعة يروون قصة مختلفة تماماً، إذ إنهم يقولون إنّ السلطات اعتقَلَت أبوي ناشطَين شابّين مطلوبَيْن لمشاركتهما في احتجاجات آذار/ مارس لإرغامهما على تسليم نفسيهما. ومع ذيوع خبر الاعتقال في القرية، بدأ السكان المحليون بالتظاهر أمام مركز الشرطة التي أطلقت أعيرة نارية في الهواء وفرّقت الحشد من غير أن تتفطّن إلى بعض المحتجّين الذين جلبوا أسلحتهم النارية معهم. إن أشرطة الفيديو المنشورة على الإنترنت لا تتيح تحديد من أطلق النار أولاً، لكنّ كِلا الطرفين كان مسلّحاً وأدّى ذلك في نهاية الأمر إلى حرب عصابات ليلية فعلية في محيط مركز الشرطة، وفي الشوارع الفرعية في العوّامية وفي ضواحيها. وكانت الحصيلة إصابة نحو عشرة من رجال الشرطة بجروح[(٧)].

وبعد هذه الحوادث، أغلقت القوى الأمنية المناطق الشيعية وأقامت نقاط تفتيش في القطيف وفي القرى المحيطة. وفي ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، أُطلقت النار على مراهق شيعي يدعى ناصر المُحَيشي في القطيف فخرّ صريعاً. ويزعم ناشطون شيعة أنه كان يمشي في الشارع حين أُطلق عليه الرصاص وأنه لم يتم تسليم جثمانه، الأمر الذي أدّى إلى مظاهرة في اليوم التالي. وفي هذه المظاهرة قُتل علي الفلفل، ما أجّج مشاعر المواطنين. تزعم الحكومة أن القوى الأمنية تعرّضت لإطلاق نار من جانب «معتدين» وأن مدنيّيْن قُتلا في أثناء تبادل إطلاق النار عند نقاط التفتيش[(٨)]. ربما

---

(٧) انظر: Matthiesen, «A «Saudi Spring?»: The Shi'a: Protest Movement in the Eastern Province 2011-2012,» p. 645ff.

(٨) «MOI's Official Source: Number of Security Checks, Vehicles Coming Under Gunfire Attacks by Assailants in Qatif,» Saudi Press Agency, 24/11/2011, <http://www.spa.gov.sa/English/print.php?id=946403>.

أقنعت هذه الروايةُ بعضَ الناس في الرياض، لكنّ القطيف كانت تشتعل. وفي ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر، نزل آلاف من الناس إلى شوارع القطيف لتشييع جنازَتَي الشابَّين الصريعَيْن، فتم الحض على دورة خطِرة من الاحتجاجات والقمع والجنائز العلنية، وهي عملية حفّزت كثيراً من احتجاجات الربيع العربي. كانت الجنائز أساساً في الربيع العربي كونها تجذب حشوداً غفيرة علماً بأن المشاعر متأججة أصلاً بسبب سقوط القتلى، وفي عدد من الحالات، تُصعّد التكتيكات التصادمية التي تتّبعها القوى الأمنية هذه التوترات وتؤدّي إلى مزيد من الاشتباكات والضحايا. وعلى سبيل المثال، شهدت الأيام الأولى للانتفاضة في البحرين جنازات ضخمة عديدة تحوّلت إلى احتجاجات سياسية. وكانت الجنائر أساساً في تعبئة كافة شرائح المجتمع في جميع أنحاء سوريا، وفي زيادة احتقار النظام في المناطق الريفية وفي القرى وفي الأحياء الحضرية الشعبية.

ردّد المحتجّون شعارات مناهضة للسلطة في مظاهرة القطيف في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر فضلاً عن شعارات أخرى نادت بإسقاط حاكم المحافظة الشرقية الأمير محمد بن فهد، لكنّ هذه الصيحات تجاوزت خطاً بالتهجم على الأسرة الحاكمة فجاء الردّ سريعاً. قُتل متظاهران آخران في ذلك اليوم «نتيجة لتبادل إطلاق النار مع مصادر إجرامية مجهولة تندسّ بين المواطنين» بحسب وزارة الداخلية السعودية(٩).

وصلتُ إلى الرياض في أواخر شهر تشرين الثاني/ نوفمبر في ذروة هذه الحوادث وعشية يوم العاشر من محرّم الذي يُحيي فيه الشيعة ذكرى معركة كربلاء ويندبون استشهاد الإمام الحسين سبط رسول الله. كانت السماء تمطر بغزارة بعكس التوقعات عندما حطّت الطائرة في الرياض وغرقت الشوارع بالمياه، ولمّا كانت الشوارع في المملكة العربية السعودية غير مهيَّأة لاستيعاب الأمطار الغزيرة، قرّرت الحكومة جعل ذلك اليوم عطلة مدرسية، وهي خطوة قادت إلى سلسلة تعليقات تهكّمية على مواقع التواصل الاجتماعي. وسبق أن أحدثت الأمطار الغزيرة سيولاً عارمة في

---

(٩) «4 Killed in Exchange of Gunfire in Qatif: MOI,» *Saudi Gazette* (24 November 2011), <http://www.saudigazette.com.sa/index.cfm?method=home.regcon&contentID=20111125112725>.

جدّة في سنة ٢٠٠٩ وفي مطلع سنة ٢٠١١، وأدّت إلى وقوع أكثر من مئة إصابة. وكشفت عن فضيحة فساد، وتبيّن أن المنشآت التي وُضعت مخططاتها وسُدّدت تكاليفها لاستيعاب السيول لم تُبنَ أبداً. ربما كان القلق الذي استبدّ بالنظام السعودي من غضب سكان جدّة والاحتجاجات الصغيرة العديدة في هذه السنة بمثل قلقه من احتجاجات المنطقة الشرقية، وبسرعة حاولت عِليةُ الأسرة الحاكمة أن تُظهر للمواطنين أنها تتعامل مع الجانب السيّئ في الحكم بطريقة فاعلة، وصوّر الإعلامُ السعودي الأمراء والوزراء وهم يتفقّدون المناطق التي تأثرت بالسيول ويعدون بفتح تحقيقات وبمشاريع جديدة ومزيد من «التنمية»[(١٠)].

قال مسؤول رفيع في وزارة الداخلية في الرياض: «وضعت الدولة خطة لمعالجة مظالم الشيعة من خلال التنمية. لكننا لا نستطيع منح الشيعة حقوقاً خاصة لمجرّد انتمائهم الطائفي وإلّا سيتعيّن علينا فعل الأمر نفسه مع جماعات أخرى أيضاً». مرّت عقود على هذا الكلام، أو منذ اعتراف الدولة بتخلّف المناطق الشيعية عقب انتفاضة سنة ١٩٧٩ على الأقلّ. لكنّ هذه الاستراتيجية لا تطبَّق بشكل كامل. ومع أنني مُنعتُ من التوجّه إلى القطيف في هذه الزيارة ـ «حرصاً على سلامتي الشخصية» ـ لكني زرتها هي والقرى المحيطة بها في سنة ٢٠٠٨. تنتشر الأحياء الفقيرة في عدد من هذه المناطق بطرقاتها الموحلة ومراكزها المدينية القديمة المتآكلة، والتطوير العقاري العشوائي الخارج على الرقابة في ضواحيها. يصرّ مسؤولون في الرياض على القول إن هناك مناطق فقيرة أخرى وليس لها مطالب سياسيّة مثل المناطق الواقعة في شمال البلاد وجنوبها.

لم يكن تلافي اندلاع انتفاضة شاملة في يوم عاشوراء ممكناً لولا بيان

---

(١٠) سُجن رجلان في أيار/ مايو ٢٠١٢ بسبب فضيحة الفساد هذه، وأُطلقت وعود جديدة بإقامة مشاريع للوقاية من السيول. انظر: Glen Carey, «Saudi Arabia to Punish Officials for Damage After Jeddah Floods,» Bloomberg (2 February 2011), <http://www.bloomberg.com/news/2011-02-02/saudi-arabia-to-punish-officials-for-damage-after-jeddah-floods.html>; «Long-Term Jeddah Flood Projects Will Be Ready by September 2013,» *Arab News*, 19/7/2012, <http://www. arabnews. com/long-term-jeddah-flood-projects-will-be-ready-september-2013>, and «Two Jailed Over Jeddah Floods Corruption,» *Arabian Business* (30 May 2012), <http://www. arabianbusiness.com/two-jailed-over-jeddah-floods-corruption-459882.html>.

صادر عن شيوخ منتمين إلى التيارات السياسية الشيعية الرئيسة حثّوا فيه أتباعهم على عدم استخدام العنف في التعاطي مع القوى الأمنية وعلى عدم استغلال يوم العطلة في الإدلاء ببيانات سياسية. وقّع البيانَ كبار شيوخ التيارَيْن السياسيَّيْن الرئيسَيْن في أوساط الشيعة السعوديّين وهما التيار الشيرازي وتيار حزب الله السعودي المحلّي، فضلاً عن الأسر المرموقة التقليدية. وكان أعيان هذه الأسر الوسطاء الرئيسيّين لدى الدولة إلى أن أبرمت جماعات المعارضة السابقة، الحركة الشيرازية في الدرجة الأولى، اتفاقاً مع الملك فهد في سنة ١٩٩٣.

يواجه هؤلاء القادة الذين بلغوا سنّ الرشد في فترة التعبئة الشعبية الإسلامية في المحافظة الشرقية في أواخر سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، تحدّياً من جانب جيل صاعد لا يؤمن بالضرورة بالصراعات القديمة التي قسّمت الجماعات السياسية الشيعية. أبناؤه مهرة في استعمال وسائط الاتصال، كما في المناطق الأخرى في العالم العربي، ومقصيّون من جانب نخبتهم السياسية، سواء من الأعيان أم من الناشطين السياسيّين السابقين، وهم يريدون الاستفادة من الثورات العربية التي اندلعت حولهم.

سنحت للأسرة الحاكمة فرصة عقب الاحتجاجات المحدودة في آذار/ مارس لإدخال بعض الإصلاحات الديمقراطية، أو تقديم تنازلات مهمة على الأقل لمواطنيها الشيعة تمنحهم قدراً من التأثير في سياسة البلاد وتُشعرهم بأنّهم جزء من النظام السياسي السعودي. وعوضاً عن ذلك، آثر النظام القمع في شهور الصيف، فاعتقل من شارك في احتجاجات آذار/ مارس. لكنّ الربيع العربي قلب المعادلة وأعطى المواطنين السعوديّين أملاً؛ فالتكتيكات القديمة القائمة على القمع وتشويه السمعة والتعتيم الإعلامي لم تنجح في أي مكان آخر في العالم العربي ويُستبعد نجاحها إلى أجل غير محدود في المملكة العربية السعودية، فالاستياء من التوزيع غير المتساوي للثروة شديد في أنحاء البلاد كافة وليس في المحافظة الشرقية فقط. نُظّمت في أجزاء أخرى من المملكة حملات احتجاجية لإطلاق سراح السجناء السياسيّين أساساً، مثل المتهمين بأن لهم علاقات مع القاعدة. ومع أنها احتجاجات محدودة أشبه بتجمعات فجائية شارك فيها بضع عشرات، فقد حدثت في مناطق تمثّل قواعد أساسية لسلطة النظام السعودي، مثل:

الرياض وبريدة والدمام[11]. تشكّل بريدة، العاصمة الإدارية لمحافظة القصيم، أحد معاقل الوهابية والحركات الإسلامية المتمرّدة، مثل: القاعدة، ولذلك فإنّ نسبة مئوية كبيرة من السجناء السياسيّين هم من بريدة. ونظراً إلى مكانتها المركزية بالنسبة إلى النظام السعودي، تمثّل الاحتجاجات المطالِبة بإخلاء سبيل المعتقلين في بريدة، والذين من بينهم سيدات غالباً، مصدر قلق خاص للنظام. وهناك شريط فيديو يصوّر اعتقال إحدى عشرة سيدة في مظاهرة طالبت بإطلاق سراح السجناء السياسيّين في مدينة بريدة ٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣[12]. حتى إن عدداً من النساء والرجال نصبوا خياماً في بريدة في مطلع آذار/ مارس ٢٠١٣ في محاولة لتأمين ساحة اعتصام، ليُعتقل ١٦١ منهم في صباح اليوم التالي[13].

وفي السياق نفسه، سعت مجموعة من الإصلاحيّين المقيمين في جدة والرياض أساساً لتشكيل أولى الأحزاب السياسية والمنظمات المستقلّة للدفاع عن حقوق الإنسان في البلاد. زادت مجاهرتهم بمطالبهم منذ بدء الربيع العربي، لكنّ العقاب نزل سريعاً. أُدين قادة جمعية الحقوق المدنية والسياسية في السعودية «حسم» التي فصّلت انتهاكات حقوق الإنسان ومحاكمات غير عادلة مثُل أمامها معارضون سياسيون، وحُكم عليهم بالسجن مدداً تراوحت بين عشر سنين وإحدى عشرة سنة[14]. وكان هناك زيادة في النشاط النسائي منذ سنة ٢٠١١، ومن ذلك أن طالبات جامعيات

(١١) للاطلاع على معلومات عن هذه الحملة الاحتجاجية، انظر: @e3teqal on Twitter, and «Saudis Stage Rare Protest Over Security Detentions Without Trial,» Reuters, 10 September 2012, <http://english.ahram.org.eg/News/52465.aspx>, and Stéphane Lacroix, «Is Saudi Arabia Immune?,» *Journal of Democracy*, vol. 22, no. 4 (October 2011), pp. 48-59.

(١٢) Amnesty International, «Saudi Arabia: II Women Still Held after Protest,» 8 January 2013, <http://www.amnesty.org/en/news/saudi -arabia-release-II-women-held-after-peaceful-protest-2013-01-08>.

(١٣) «161 Arrested in Buraidah,» *Arab News*, 2/3/2013, <http://www.arabnews.com/saudi-arabia/161-arrested-buraidah>.

(١٤) «Prominent Saudi Activists Sentenced to Jail,» Riyadh Bureau (9 March 2013), <http://riyadhbureau.com/blog/2013/3/acpra-sentence>.

انظر أيضاً مواقعهم الإلكترونية: <http://www.acpra-hr.co>, and Nora Abdulkarim, «Trial of Saudi Civil Rights Activists Mohammad al-Qahtani and Abdullah al-Hamid,» Jadaliyya (3 September 2012), <http://www.jadaliyya.com/pages/index/7174/trial-of-saudi-civil-rights-activists-mohammad-al>.

تظاهرن مراراً في شتى أرجاء البلاد بدءاً بأبها، كما كثّفت الناشطات حملتهنّ لنيل الحقّ في قيادة السيارات[١٥].

قدّم الملك عبد الله إلى السيدات السعوديات بعض التنازلات بالفعل، مع أنه ينبغي عدم تضخيم أهميتها السياسية، فقد رشّح ثلاثين امرأة في كانون الثاني/ يناير لعضوية مجلس الشورى، وهو مجلس استشاري يُختار أعضاؤه بالتعيين وليس له سلطات تشريعية، ووعد بمنح المرأة حقّ التصويت والترشّح لمناصب في الانتخابات البلدية في سنة ٢٠١٥[١٦]، لكن مجموعة من رجال الدين تظاهروا على الفور خارج الديوان الملكي وندّدوا بتعيين سيدات وطالبوا بالاجتماع بالملك وبرئيس موظفي الديوان الملكي لتقديم النصح له. وبذلك تحدَّوا في وقت واحد المؤسسةَ الدينية الرسمية التي حظرت تنظيم مظاهرات من هذا القبيل، والأسرةَ الحاكمة[١٧]. وازدادت مجاهرة الإسلاميّين السنّة بآرائهم، فوقّع الشيخ سلمان العودة وهو أحد قادة الصحوة السابقين، وهي حركة المعارضة الإسلامية السنّية التي برزت بعد حرب الخليج في سنة ١٩٩٠ ـ ١٩٩١، وأحد أكثر المنتقدين الإسلاميّين السنّة للحكومة السعودية عريضة في آذار/ مارس ٢٠١١ طالبت بملكية دستورية، وجدّد دعواته في رسالة مفتوحة حظيت بتغطية واسعة إلى الحكومة في ١٥ آذار/ مارس ٢٠١٣؛ إذ حذّر في رسالته من انفجار اجتماعي سياسي إن لم يُطلَق سراح السجناء السياسيّين وإن لم تُسَنّ إصلاحات على الفور[١٨].

---

(١٥) اعتمدت هذه الحملات كافة بشدة على وسائل التواصل الاجتماعي في الدعاية، والتنسيق بين المناطق، والترويج على الساحة الدولية. انظر: Nitin Agarwal, Merlyna Lim, and Rolf T. Wigand, «Online Collective Action and the Role of Social Media in Mobilizing Opinions: A Case Study on Women's Right-to-Drive Campaigns in Saudi Arabia,» in: Christopher G. Reddick and Stephen K. Aikins, eds., *Web 2.0 Technologies and Democratic Governance: Political Policy and Management Implications* (New York: Springer, 2012), pp. 99-123.

(١٦) Hugh Eakin, «Will Saudi Arabia Ever Change?,» *New York Review of Books* (12 December 2012), <http://www.nybooks.com/articles/archives/2013/jan/10/will-saudi-arabia-ever-change>, «Saudi Women on Shura Council,» *Al-Ahram Weekly* (16 January 2013), <http://weekly.ahram.org.eg/News/1037/19/Saudi-women -on-Shura-Council.aspx>.

(١٧) «Clerics Protest Outside the Royal Court,» Riyadh Bureau (15 January 2013), <http://riyadhbureau.com/blog/2013/1/clerics-protest -royal-court>.

(١٨) نُشرت الرسالة على حسابه في تويتر @salman_alodah الذي زاره أكثر ٢,٥ مليون زائر لغاية نيسان/ أبريل ٢٠١٣.

يعيش عدد من مناطق الأطراف المملكة العربية السعودية حالة فقر، وتفتقر إلى نمط الحياة الذي ينعم به السعوديون الأثرياء في الرياض وجدّة. ويصحّ هذا الوصف في المناطق الشمالية والجنوبية في البلاد، لكنّ المشكلة هي أنّ الاقتصاد السياسي والتمييز الإقليمي يتداخلان مع الطائفة في المحافظة الشرقية، وهذا ليس مصادفة، فقد ركبتُ قطاراً في كانون الأول/ديسمبر من العاصمة الرياض إلى الهفوف في واحة الأحساء الشرقية التي يتقاسمها السنّة والشيعة بنسب متساوية تقريباً. وبنى الأمريكيون خط السكة الحديد هذا لربط صناعة النفط في الشرق بالعاصمة. تناولت طعام الغذاء في اليوم التالي مع محامٍ شيعي التقيت به من قبل في سنة ٢٠٠٨. قدم إلى ردهة الفندق الذي نزلتُ فيه، وهو المكان الذي أردت أن يكون مكان لقائنا، جلس قلقاً متردّداً في الكلام، سألته إن كان يوجد خطب ما، ربما بسبب الفندق، فأجاب بالنفي وقال: «هذا الفندق تملكه أسرة شيعية» ولم أكن أعرف تلك الحقيقة لكنّها فسّرت لي أسباب عرض التلفزيون في غرفتي جميع القنوات التلفزيونية الفضائية الشيعية التي تبثّ من الكويت والعراق ولبنان وإيران. وفي الواقع، فهمت بشكل واضح الآن كيف يمكنني في هذا العالم الافتراضي رؤية بعض المشايخ البارزين في القطيف، مثل: حسن الصفّار ومنير الخبّاز وفوزي السيف على التلفزيون في المملكة العربية السعودية مع أنه لا يُسمح لأي قناة فضائية شيعية بالبثّ من أراضي المملكة. ويتمّ تسجيل خطبهم في القطيف وتمريرها مباشرة إلى القنوات العاملة في الكويت والتي تعيد بثّها إلى المحافظة الشرقية ليشاهدها الأشخاص الذين لا يمكنهم الذهاب إلى حسينية أو إلى مسجد. وبالكاد توجد طريقة أفضل لوصف كيفية صياغة وسائل الاتصال بالجماهير للهويات الجماعية لدى شعب تسعى دولته جاهدة إلى إبقائه منقسماً على نفسه. بالتالي، مع أنني مُنعت من التوجّه إلى القطيف «حرصاً على سلامتي الشخصية»، كان في مقدوري الجلوس على مسافة ١٤٠كلم في الهفوف ومشاهدة الخطب في بثّ حيّ، ومع أنّ الخطب لم تتطرّق إلى الاحتجاجات الأخيرة بشكل مباشر، فقد استخدمت لغة القمع والمقاومة التي هي مكوّن أساس في خطاب عاشوراء، وعرف الجميع أن الشيوخ كانوا يتكلمون عن الأعمال القمعية التي تقوم بها الدولة في المملكة العربية السعودية وفي البحرين وغيرها.

أشار صديقي، ونحن في ردهة الفندق، إلى رجل جالس خلفنا ملمحاً إلى أنّه رجل مخابرات. لم أفاجأ كثيراً بالنظر إلى التوترات التي تشهدها البلاد، كما لم تراودني أوهام بإمكانية تبديدها، لكنّي توجّهت إلى السيّارة بصحبة صديقي على أي حال وتوجّهنا إلى مطعم في مكان آخر في البلدة. وكان زجاج سيارته الأمامي لا يزال مهشماً كما كان قبل ثلاث سنين بسبب حجر أصابه أثناء السير على طريق موحلة في القرى الشيعية في الأحساء. أخبرني على مأدبة الغذاء كيف أنه ورفاقه الناشطين يؤمنون بنجاح الثورات العربية، حتى في المملكة العربية السعودية ولو استغرقت زمناً طويلاً، وأضاف: «القطار العربي المناهض للنظم العربية قد انطلق، وليس هناك سبيل للرجعة إلى الوراء. وعَدنا أبناءنا بأنهم سينشؤون بكرامة وليس كما نشأنا».

جادل بأن الحكومة اعتقلت عدداً من المحتجّين عقب الاحتجاجات الأولى في فصل الربيع، لكنّ قادة المجتمع اتفقوا على أنّ وقف الاحتجاجات والتفاوض مع الحكومة هو الحلّ الأفضل كون الشيعة أضعف من أن يحتجوا بمفردهم. أملوا في فصل الصيف بتلقّي ردّ ما من الحكومة والحصول منها على بعض التنازلات، لكنّ هذا الأمل تبدّد، ولم يستطع الناشطون الشيعة تعبئة الناس حتى للانتخابات البلدية التي أُجريت في أيلول/ سبتمبر ٢٠١١. كان من المفترض أن تُجرى الانتخابات في سنة ٢٠٠٩، لكنها أُرجئت، والإعلان عن إجرائها في سنة ٢٠١١ كان «التنازل» السياسي الأول الذي يقدّمه الملك السعودي عبد الله بعد بدء الربيع العربي. أشارت المشاركة المحدودة في الانتخابات في شتى أرجاء البلاد إلى جمود عام في الشؤون السياسية المؤسسيّة وإلى السلطات المحدودة لمجلس البلديات(١٩).

ذُهلت وأنا أطالع الصحف عقب عودتي إلى الرياض لكون قضية الشيعة والاحتجاجات في المحافظة الشرقية ظهرت على الصفحات الأولى

---

(١٩) مقابلة أجراها المؤلف مع مساعد في الحملة في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١ في الأحساء، و Asma Alsharif and Angus McDowall, «Empty Voting Booths Signal Little Enthusiasm at Rare Saudi Polls,» *The Daily Star*, 30/9/2011, <http://www.dailystar.com.lb/News/Middle-East/2011/Sep-30/150058-empty-voting-booths-signal-little-enthusiasm-at-rare-saudi-polls.ashx#axzz2QS4modeS>.

للصحف السعودية؛ ذلك إنّ وسائل الإعلام السعودية لم تناقش الاحتجاجات التي اندلعت في الربيع، واقتصرت المناقشات آنذاك على بيانات تهديدية صادرة عن وزارة الداخلية وعن رجال دين رسميّين، لكنّ النظام أحسّ الآن، عقب إطلاق النار في العوّامية في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١ ولا سيما الاحتجاجات الضخمة في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر، بأنّه من الأجدى مناقشة الاحتجاجات الشيعية علناً ونعتها بالمؤامرة الإيرانية، كما أرغم بعضٌ من أعيان الشيعة وكبار شيوخهم على مفاتحة الصحافة والاعتذار علناً عما بدر من بعض الشباب الشيعي من سلوك سيئ، أشارت البيانات الصادرة عن وزارة الداخلية إلى «المحرّضين على الفتنة والشقاق والقلاقل الذين يعملون بأمر من دولة أجنبية تسعى إلى تقويض أمن البلاد واستقرارها»[٢٠]، في تلميح غير خفي للغاية إلى إيران. ومع أن الحديث عن الشيعة بصفتهم عملاء إيرانيّين استُخدم فور انتصار الثورة الإيرانية، لم يظهر تقريباً أي مزاعم مباشرة من هذا النوع في وسائل الإعلام السعودية الرسمية منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي، وبخاصة منذ انطلاق «الحوار الوطني»، لكن ها هي وزراة الداخلية تتحدث عن تلك المزاعم بالذات، وينتشر البيان وصور الشباب الملثّمين الذين يُشعلون إطارات السيارات ويقودون الدرّاجات النارية على وسائل الإعلام السعودية في غضون ساعات، وبعد أن مرّ شهر محرّم سنة ٢٠١١ من دون تسيير مظاهرات كبيرة، بدأت الدولة بحملة اعتقالات جديدة عارضة مكافآت مالية على من يدلي بمعلومات تقود إلى اعتقال الشباب الشيعة الثلاثة والعشرين، لتُطلق بذلك مطاردة حقيقية في المحافظة الشرقية وتزيد الوضع اشتعالاً[٢١].

تأجّجت مشاعر الشيعة السعوديّين من جديد قبل الذكرى السنوية الأولى لانتفاضة البحرين في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١٢. وأقيم احتفال في

(٢٠) Saudi Press Agency, English Website, 4 October 2011, <http://www.spa.gov.sa/English/details.php?id=931281>.

(٢١) Toby Matthiesen, «Saudi Arabia: The Middle East's Most Under-Reported Conflict,» *Guardian*, 23/1/2011, <http://www.guardian.co.uk/commentisfree/2012/jan/23/saudi-arabia-shia -protesters>.

القطيف يوم الثلاثاء في ٩ شباط/ فبراير إحياءً لذكرى ولادة رسول الله، وهي ذكرى يحييها الشيعة، بخلاف السنّة، ليتحوّل إلى مظاهرة تطالب بالإصلاح وإطلاق سراح المسجونين، وعلى إثرها أُطلقت النار على المتظاهر منير الميداني فخرّ صريعاً. وبعد يوم، وعقب صلاة الجمعة، قُتل متظاهر آخر هو زُهير السعيد. وتحوّلت جنازتهما في القطيف والعوّامية مرة أخرى إلى مظاهرات شارك فيها آلاف من المشيّعين في ١٣ شباط/ فبراير.

عندما تحدثت إلى بعض أصدقائي الشيعة عبر الهاتف، وجدت أن ردّ فعل الحكومة أفزعهم، لكنهم قالوا إنهم يتمتعون بسلطات محدودة للغاية لمنع الشباب من التظاهر. إحدى القصص التي حُكيت لي تتحدث عن والد حاول منع ولده من الذهاب إلى الاحتجاجات المسائية في القطيف. كان الوالد عضواً في المعارضة الشيعية في ثمانينيات القرن الماضي وكان يقيم بالمنفى خارج الوطن حين وُلد ابنه، ثم عاد في سنة ١٩٩٣ واعتزل المعارضة والأنشطة السياسية. وعندما عمّ الربيعُ العربي أرجاءَ المنطقة، نشط نجله الذي غدا في مطلع العقد الثاني من عمره، على الإنترنت وسرعان ما انضم إلى المظاهرات. وفي إحدى الأمسيات، بعد يوم من مقتل شاب شيعي برصاص القوى الأمنية والغليان الذي أعقب ذلك، حاول الوالد أن يُثني ولده عن المشاركة وأوصد باب المنزل، قال لابنه إنه ينبغي له عدم الخروج وأنه يخشى على حياته. وجادل بأنّ المظاهرات لن تُفضي إلى شيء، وأنّه وزملاءه سعوا في شبابهم طوال أكثر من عقد لمقارعة هذا النظام، لكن من دون جدوى ولم يعد هناك خيار سوى الجلوس والانتظار، والأمل بتأمين بعض المكاسب من خلال الحوار. أجاب الولد بغضب: «لقد قضيتَ على حياة الأسرة، وتوجّب علينا العيش في المنفى في سوريا، ثم عدنا إلى المملكة صفر اليدين، وتوجّب علينا البدء من الصفر، ونحن أفقر من جيراننا لأنك رحلت. إذا كان ذلك ما تؤمن به، لمَ شاركتَ في المعارضة؟ لقد بددتَ ثروة أسرتنا، وبعت معتقداتك بالعودة إلى الديار. وأنت تريد منّي الآن الامتناع عن الكفاح دفاعاً عن معتقداتي؟».

فاز الولد في تلك المجادلة، وسمح له والده بالتوجّه مساء إلى القطيف للاحتجاج على القوى الأمنية، مثلما فعل هو قبل ثلاثة عقود في

سنة ١٩٧٩ حين رأى بعض أصدقائه يسقطون قتلى، لكن حتى الشيخ حسن الصفّار الذي كان الوسيط الرئيس بين المجتمع الشيعي والحكومة طوال عقدين والذي استقبله الملك عبد الله غير مرّة، خرج عن صمته بعد حوادث القتل الأخيرة. ومع أنّه حثّ المحتجّين من قبل على البقاء في منازلهم، ها هو الآن ينتقد القوى الأمنية لقتلها الشباب الشيعة. جاء الردّ سريعاً: هاجمته وزارة الداخلية بعنف وشجبت الاحتجاجات في القطيف واصفة إياها بـ «الإرهاب الجديد» الذي سيجابَه بـ «يد من حديد»(٢٢).

بقيت المحافظة الشرقية هادئة نسبياً عدة شهور إلى أن أطلق اعتقال الشيخ نمر النمر في ٨ تموز/ يوليو دورة احتجاجات ثالثة(٢٣). إن اعتقاله أتاح للشيعة قضية أخرى جلبت آلاف الأشخاص إلى الشوارع، فنُظّمت بُعَيد اعتقاله مظاهرات ضخمة في القطيف وقُتل اثنان من المحتجّين هما أكبر الشاخوري من العوّامية ومحمد الفلفل من الشوَيكة(٢٤). وبدأ الناشطون الشباب باعتماد تكتيكات الشباب البحريني، بما في ذلك إلقاء قنابل المولوتوف على المباني الحكومية وعلى دوريات الشرطة، وإشعال إطارات السيارات على الطرقات ليلاً. وشكّل بعض الشباب وجماعات المعارضة ائتلافاً غير مركزي هو «ائتلاف الحرّية والعدالة»(٢٥). وفي هذه الأثناء، واصلت القوى الأمنية مطاردة الأشخاص المذكورة أسماؤهم على

---

(٢٢) «Security Source Comments on a Politicized Friday Sermon by a Qatif-Based Sheikh».

(٢٣) الفكرة القائلة إن الحركات الاحتجاجية تُطوّر دورات احتجاجات أو دورات نزاعات مستندة إلى عمل سيدني تارو. انظر: Sidney Tarrow, *Power in Movement: Social Movements and Contentious Politics*, 2nd ed. (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1998), pp. 141-160.

للاطلاع على تطبيق لهذه الفكرة على انتفاضات تسعينيات القرن الماضي في البحرين، انظر: Fred H. Lawson, «Repertoires of Contention in Contemporary Bahrain,» in: Quintan Wiktorowicz, ed., *Islamic Activism: A Social Movement Theory Approach* (Bloomington, IN: Indiana University Press, 2004), pp. 89-111.

(٢٤) Toby Matthiesen, «Saudi Arabia's Shiite Escalation,» *Foreign Policy* (10 July 2012), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/ 07/10/sable_rattling_in_the_gulf>.

(٢٥) مع إن الجماعات السياسية المتنوعة في القطيف واصلت نشاطها على الإنترنت، بدأ بعضهم بزيادة التعاون عبر الهيكل الرسمي لـ«ائتلاف الحرّية والعدالة» الذين أُعلن عنه في ٢٥ آذار/ مارس ٢٠١٢. مقابلة أجراها المؤلف عبر السكايب مع ناشط شاب من القطيف في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢. Rosie Bsheer, «Saudi Revolutionaries: An Interview,» Jadaliyya (21 June 2012), <http://www.jadaliyya.com/pages/index/6104/saudi-revolutionaries_an-interview>.

انظر صفحة الفايسبوك للائتلاف عند: <http://www.facebook.com/cofaj>.

قائمة المطلوبين الثلاثة والعشرين، وقُتل أو جُرح عدد منهم في المداهمات التي نفّذتها في أواخر أيلول/ سبتمبر(٢٦). وفي ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢، قُتل أحمد المطر البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً بنيران القوى الأمنية، وتحوّلت جنازته إلى مظاهرة ضخمة(٢٧).

ومع أنّ إبدال الأمير محمد بن فهد الذي حكم المحافظة الشرقية زمناً طويلاً، بالأمير سعود بن نايف في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣ أعطى الشيعة بعض الأمل ببداية جديدة، لم يتوقف إسكات منتقدي الحكومة والتحريض على الشيعة منذ ذلك الحين(٢٨). ومضى النظام في محاكمة من اعتُقلوا، من السنّة والشيعة، بتهمة التخريب السياسي، بل إنّ المدعي العام طالب في آذار/ مارس ٢٠١٣ بإنزال عقوبة الإعدام، وربما صلباً، بالشيخ نمر النمر، ما أثار غضب الشيعة، واعتُقل ستة عشر شيعياً سعودياً ولبناني واحد وإيراني واحد في الوقت عينه في مدن المملكة، بما في ذلك مكّة المكرّمة والرياض والمحافظة الشرقية، واتُّهموا بتشكيل خلية تجسّس لمصلحة إيران. ووقّع أعيانُ الشيعة السعوديون من القطيف والأحساء، بمن في ذلك الشيخ حسن الصفّار، عدة بيانات دحضت تلك المزاعم وشجبت استهداف المجتمع الشيعي بأسره. وفي إثر ذلك استجوبت القوى الأمنية معظم الموقّعين، بما في ذلك كبار قادة الشيرازيّين، ومُنع بعضهم من السفر إلى الخارج(٢٩).

(٢٦) «Two Killed as Saudi Security Forces Try to Arrest Shi'ite Man,» Reuters, 27 September 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/09/27/us-saudi-shiite-deaths-idUSBRE88QoLM20120927>, and «Shiite Dies of Wounds after Saudi Police Raid Family,» Agence France Presse, 29 September 2012, <http://www.google.com/hostednews/afp/article/ALeqM5i7kD6bs1FX_xEBCsO9cv5hJQQWrg?docId=CNG.f4d4fec426309741ec996fb87c31f219.14c1>.

(٢٧) «Man Shot Dead as Police Clash with Shi'ites in Saudi Arabia,» Reuters, 28 December 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/12/28/us-saudi-shiire-shooting-idUSBRE8BR05J20121228>.

(٢٨) تولّى محمد بن فهد الإمارة على المحافظة الشرقية منذ سنة ١٩٨٥. يرى المتعاطفون مع الاحتجاجات أن الأمير محمد بن فهد كان قاسياً في قمع المحتجّين. ومن ناحية أخرى، يرى المتشدّدون في الأسرة السعودية الحاكمة أنه ربما لم يكن قاسياً بالقدر المطلوب. انظر: Toby Matthiesen, «Saudi Royal Family Politics and the Arab Spring,» *Foreign Policy* (14 January 2013), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2013/01/14/saudi_royal_family_politics_and_the_arab_spring>.

(٢٩) مراسلات بالبريد الإلكتروني أجراها المؤلف مع عدد من الموقّعين، نيسان/ أبريل ٢٠١٣.

بالتالي، في حين تمكنت السلطة السعودية الحاكمة، من خلال العطاءات والقمع والطائفية، من اجتياز الربيع العربي وتلافي احتجاجات ضخمة يجتمع فيها السنّة والشيعة على قضية واحدة، فقد أدّى ذلك إلى تدهور شديد في العلاقة بين الشيعة السعوديّين والدولة إلى حدّ أنّه ربما لم يصل انعدام الثقة المتبادل بين الطرفين إلى هذا المستوى منذ الثورة الإيرانية في سنة ١٩٧٩. وبما أنّ الأسباب الأساسية للاحتجاجات في المنطقة الشرقية لم تُعالَج، يرجَّح اندلاع مزيد من الاحتجاجات في المستقبل، فضلاً عن لجوء الدولة إلى مزيد من العنف، وإذا كانت الدولة تستخدم بلا هوادة حكاية «التهديد الشيعي» لتخويف السنّة، برزت أمارات على أنّ تنظيم الاحتجاجات للمطالبة بإطلاق سراح السجناء السياسيّين والإصلاح السياسي لم تعد مقتصرة على المحافظة الشرقية، وإنما امتدّت إلى بريدة والرياض في قلب الدولة السعودية.

الفصل السادس

الحركة البرتقالية

«لن نسمح لك ـ في عبارة موجّهة إلى أمير البلاد ـ بفرض حكم أحادي على الكويت... [ونحن] لا نخشى سجونك وهراواتك».

مسلّم البرّاك، ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢، في ساحة الإرادة بمدينة الكويت(*).

«لن نقبل بفوضى الشارع وشغب الغوغاء أن تشلّ حركة الحياة والعمل في البلاد.. لن نسمح لبذور الفتنة بأن تنمو في أرضنا الطيبة. لن نقبل بثقافة العنف والفوضى أن تنتشر بين صفوف شعبنا المسالم. لن نقبل بتضليل الشباب المخلصين بالأوهام والافتراءات. لن نقبل باختطاف إرادة الأمة بالأصوات الجوفاء والبطولات الزائفة».

أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢، مدينة الكويت(**).

شهدت الكويت أيضاً احتجاجات عارمة قادها الشباب غداة الربيع العربي، ومظاهرات سياسية هي الأضخم من نوعها إلى هذا التاريخ بين شهري تشرين الأول/ أكتوبر وكانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢. اتضحت لي

(*) Kristian Coates Ulrichsen, «Kuwait: Political Crisis at Critical Juncture,» BBC, 23 October 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-20026581>.

(**) «Amir Orders Change to Election Law,» *Arab Times*, 19/10/2012, <http://www.arabtimesonline.com/NewsDetails/tabid/96/smid/414/ArticleID/189124/reftab/36/t/Amir-orders-change-to -election-law/Default.aspx>.

شعبية الحركة الشبابية حين حضرت حفلة عشاء للشباب الكويتي الميسور في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢. دعاني مضيفي كي آخذ استراحة من العمل ومن الخوض في السياسة، لكنّ كل الحديث الذي كان بين الشباب الميسورين الذين تراوحت أعمارهم بين العشرينيات والثلاثينيات كان حول الحوادث السياسية الأخيرة في البلاد. لا يمكن هؤلاء الأشخاص أن يشكُوا على الصعيد الاقتصادي، فهم أبناء وبنات أسر تتوارث العمل بالتجارة مع المناطق النائية، وفي صيد اللؤلؤ، حتى إنها ازدات غنى على غناها بعد اكتشاف النفط لحصولها على عقود حكومية واحتكارها قطاعات اقتصادية معيّنة. وعدد من هؤلاء الشباب يرئسون أصلاً شركات أو فروع مؤسسات آبائهم التجارية. استلهم جيل آبائهم في خمسينيات القرن الماضي وستينياته من القومية العربية والأيديولوجيات اليسارية، وسعى إلى تقييد سلطات الأسرة الحاكمة مستخدماً الخطاب القومي. وللردّ على أسر التجار القوميّين العرب، شكّلت الأسرة الكويتية الحاكمة أحلافاً جديدة وفتحت باب الهجرة والتجنيس لجماعات قبلية استقرّت في محيط مدينة الكويت. وقد أدّى ذلك إلى تعميق الانقسام بين الجماعات المقيمة منذ القدم، أي الحضر، وبين البدو[1].

لكن كم كانت دهشتي حين وجدت أن عدداً ممن حضروا الحفلة يساندون الحركة الاحتجاجية، بل إنّ القنابل المسيلة للدموع أُطلقت على بعضهم في احتجاجات شاركوا فيها بأنفسهم، وربما كان أشدّ المدافعين عن الحركة الاحتجاجية شخص يُفترض أنه أبعد ما يكون عن ذلك أيضاً. مهندس معماري شاذّ جنسياً في مطلع الثلاثينيات من عمره أمضى معظم عمره في أوروبا، وهو يتنقل في المنطقة للإشراف على مشاريعه. ليس بينه وبين بعض قادة المعارضة الكويتية التي تضمّ سلفيّين وشخصيات قبلية

---

(١) Mary Ann Tétreault, *Stories of Democracy: Politics and Society in Contemporary Kuwait* (New York: Columbia University Press, 2000), pp. 44-48.

يرجع هذا التقسيم إلى السوسيولوجيا التاريخية للمجتمعات العربية لدى ابن خلدون، ويعتبر تقسيم المجتمع إلى بدو وإلى حضر الخاصية الرئيسة للتاريخ العربي. انظر: Abu Zayd Abd al-Rahman bin Muhammad bin Khaldn, *The Muqaddimah: An Introduction to History*, translated from the Arabic by Franz Rosenthal; abridged and edited by N. J. Dawood (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1967).

ويساريّين في العقد السابع، كثير من الأمور المشتركة على المستوى الشخصي، لكنه قال إنّه يساند بالكامل الحركة الاحتجاجية ولم يسبق أن تملّكه إحساس بالقوة، إلّا في ما ندر، مثل الإحساس الذي تملّكه حين حضر أحد الاعتصامات الكبيرة مع عشرات الآلاف من المشاركين في تشرين الثاني/ نوفمبر. وبيّن لي ابن واحدة من أغنى الأسر التي تزاول التجارة التقيت به على حدة أنّه شكك في البداية في الاحتجاجات وأنه ذهب برفقة بعض الأصدقاء لحضور أول اعتصام ضخم في تشرين الأول/ أكتوبر بدافع الفضول فقط. أُطلق على هذه الاعتصامات اسم «كرامة وطن» على اسم حساب مغرّد مجهول على التويتر دعا إلى تنظيم احتجاجات ووجّه الناس في المدينة[٢]. هاجمت القوى الأمنية مكان الاعتصام في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر وأطلقت الغاز المسيل للدموع على المحتجّين، وانهالت عليهم ضرباً بالهراوات وألقت القبض على بعضهم. لكنّ هذا القمع الذي يعتبر قاسياً بالنسبة إلى المعايير الكويتية ولم يُسمَع عنه في السنين الأخيرة، جعله متطرّفاً. وكان ذلك اليوم الذي قرّر فيه بذل الجهود لتغيير النظام السياسي في البلاد لأن إحساساً قوياً انتابه، ربما لأول مرّة، بالانتماء إلى البلاد وإلى مواطنيها. قال إنه لحظة الهرب من الغاز المسيل للدموع، لم يعد يهتم إن كان الأشخاص الآخرون المشاركون في الاعتصام يطلقون لحى طويلة، وهي السمة المميّزة للسلفيّين، وأن عدداً من المعتصمين أبناء قبائل تعيش في مناطق أقلّ رقيّاً والذين لم يسبق أن تفاعل معهم مباشرة من قبل. أي إن دعم الحركة الاحتجاجية أتى من شرائح كاملة من المجتمع الكويتي، ومن الطبقات والطوائف والقبائل كافة، ولذلك كان على الأسرة الحاكمة، كما في البحرين والمملكة العربية السعودية، صياغة خطاب يزرع الانقسام في صفوف المحتجّين ويمنع من تشكّل جبهة معارضة مشتركة محتملة، فكان الخطاب الانقسام البدوي الحضري.

وبالتالي، مع أنّه يوجد أوجه شبه كما في استراتيجية «فرّقْ تسدْ» التي اتّبعتها الحكومات وفي مطالب المعارضة بإمارة دستورية، نجد أن الحالة الكويتية متمايزة تماماً عن حالة البحرين والمملكة العربية السعودية. لكنّ

---

(٢) @KarametWatan.

الارتدادات الطائفية الناجمة عن الاحتجاجات التي شهدتها مملكة البحرين والمملكة العربية السعودية أثّرت بقوة في المشهد السياسي والمجتمع الكويتي، وجعلته ساحة أساسية للخليج الطائفي.

زرت الكويت أيضاً في أواخر شباط/ فبراير ٢٠١٢ عقب إقالة رئيس الوزراء ناصر المحمد الصباح وانتخاب مجلس أمّة جديد سيطرت عليه أغلبية من المعارضة. اتضح أصلاً أن تحقيق أحلام الربيع سيستغرق مدة تزيد على بضعة شهور، وأن سوريا انزلقت إلى حرب أهلية. يتراوح عدد سكان الكويت بين ٢,٥ و٣ ملايّين نسمة، منهم ١,٣ مليون مواطن كويتي. كما إن الشيعة يشكلون بين ٢٠ و٣٠ في المئة من المواطنين الكويتيّين، وترجع أصولهم إلى إيران والعراق والمملكة العربية السعودية (الأحساء) والبحرين وإن كان أصل أكبر مجموعة (تشكل ٧٠ في المئة من الشيعة) من أصل إيراني[٣]، وهؤلاء يتمسّكون غالباً بهوية جماعية قوية وبروابط بأوطانهم الأصلية[٤]. تحمّس عدد من الشيعة الكويتيّين فضلاً عن الليبراليّين السنّة للاحتجاجات وراعهم قمع البحرين لها، وبدأ بعض الشيعة بالتعبئة دعماً للبحرين ونظّموا مظاهرات صغيرة في الكويت[٥]، وبالنظر إلى التوازن الطائفي الدقيق في الكويت وإلى أهمية الأسر المرموقة الشيعية، سعى أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح شخصياً للتوسط بين

---

(٣) لا تتوافر أرقام رسمية عن عدد الشيعة في الكويت. انظر: From Embassy Kuwait to Secretary of State, «Kuwait's Stateless Bidoon: Background and Recent Promising Developments,» (3 June 2009), (09KUWAIT558), <http://wikileaks.org/cable/2009/06/09KUWAIT558.html>, and Rivka Azoulay, «The Politics of Shi'i Merchants in Kuwait,» in: Steffen Hertog, Giacomo Luciani, and Marc Valeri, eds., *Business Politics in the Middle East* (London: Hurst, 2013), p. 72.

(٤) تنتمي أغلبية «الحساوية» الذين يشير اسمهم إلى أنهم قدموا في الأصل من الأحساء أو واحة الأحساء، إلى مذهب شيعي باطني اسمه «الشيخية» يتبع تعاليم المرجع الشيعي أحمد الأحسائي (١٧٥٣-١٨٢٦). «الشيخية» طائفة قوية نسبياً في كل من الكويت ومحافظة الأحساء في المملكة العربية السعودية، لكن شيوخها وأعيانها القياديين يميلون إلى تلافي المواجهة مع الأسر الخليجية الحاكمة وهو ما يضعهم على طرفي نقيض أحياناً مع نظرائهم الشيعة الأكثر تسيّساً. مقابلات أجراها المؤلف مع قادة من الطائفة الشيخية الكويتية والسعودية في الكويت في شباط/ فبراير ٢٠١٢.

(٥) مقابلة أجراها المؤلف مع ناشط شيعي في الكويت في شباط/ فبراير ٢٠١٢. تلقّى نائبان شيعيان في مجلس الأمّة تهديدات بالقتل لمساندتهما النظام السوري. انظر: Mona Kareem, «Shiaphobia Hits Kuwait,» Jadaliyya, 17/5/2011, <http://www.jadaliyya.com/pages/index/1603/shiaphobia-hits-kuwait>.

المعارضة البحرينية والأسرة الحاكمة في مناسبات عديدة في شباط/ فبراير وفي آذار/ مارس ٢٠١١، لكنّ الأسرة البحرينية الحاكمة شجبت جهوده بشدة[٦]. ولذلك، نأت الكويت بنفسها إلى حدّ بعيد عن القمع في البحرين لما ذُكر عن رفض بعض الجنود الكويتيّين الشيعة المشاركة في قوات التدخّل التي أرسلها مجلس التعاون الخليجي إلى البحرين كجزء من قوة درع الجزيرة[٧]، وكحلّ وسط، أرسلت الكويت مفرزة رمزية من وحدات بحرية لا يمكن استخدامها في قمع المحتجّين البحرينيّين[٨].

ومن ناحية أخرى، أثنى عدد من الإسلاميّين السنّة في الكويت على قمع الحكومة للمحتجّين في البحرين. وغداة انطلاقة الاحتجاجات الضخمة في سوريا، ومشاركة الإسلاميّين السنّة الكثيفة هناك، بدأ هؤلاء السنّة أنفسهم بحشد الدعم أيضاً للمعارضة السورية وطالبوا الكويت بمدّهم بالأسلحة[٩]، وفي شباط/ فبراير ٢٠١٢ كان أغلب الشيعة الذين تكلمت معهم شديدي الارتياب في نوايا مجلس الأمّة الجديد؛ فقد احتشد الإسلاميون السنّة، وبخاصة السلفيون والإخوان المسلمون، والشخصيات القبلية عبر اللجوء إلى الأساليب السياسية القائمة على الهوية، وهو خطاب شعبي يعتمد غالباً على الهوية المجتمعية أو الطائفية أو القبلية، وحققوا فوزاً كاسحاً في الانتخابات البرلمانية التي أُجريت في ٢ شباط/ فبراير ٢٠١٢[١٠]. حصل الإخوان المسلمون على خمسة مقاعد،

---

(٦) «Bahrain Denies Kuwaiti Role in Dialogue,» *Gulf Daily News*, 29/3/2011, <http://www.gulf-daily-news.com/NewsDetails.aspx?storyid=302772>, and «Bahrain Shuns Kuwait's Mediation Offer,» Aljazeera.com, 28 March 2011, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2011/03/2011328111747469782.html>.

(٧) مقابلات أجراها المؤلف مع ناشطين شيعة في الكويت في شباط/ فبراير ٢٠١٢.

(٨) «Kuwait Naval Units Join Bahrain Mission... «Plot Foiled»,» *Arab Times*, 21/3/2011, <http://www.arabtimesonline.com/NewsDetails/tabid/96/smid/414/ArticleID/167038/reftab/36/Default.aspx>.

(٩) «MPs Press to Arm Syrian Opposition: Kuwait Urged to Cut Ties with Damascus,» *Arab Times*, 1/3/2012, <http://www.arabtimesonline.com/NewsDetails/tabid/96/smid/414/ArticleID/180241/reftab/69/t/MPs-press-to-arm-Syrian-opposition/Default.aspx>.

(١٠) Gwenn Okruhlik, «The Identity Politics of Kuwait's Election,» *Foreign Policy* (8 February 2012) <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/02/08/the_identity_politics_of_kuwait_s_election>.

وهو ما جعل الحركة لمدة وجيزة أكثر فروع الإخوان قوة وبروزاً في دول الخليج[١١]. وبالإجمال، سعى خمسة وثلاثون نائباً في البرلمان للحدّ من انفراد الأسرة الحاكمة وشكلوا ما يسمى «كتلة الأغلبية» التي سعت إلى فرض مزيد من المحاسبة والديمقراطية والتحقيق في حالات فساد مزعومة. ويمكن القول إن تلك كانت المرّة الأولى التي تقف فيها أغلبية برلمانية قوية في وجه الأسرة الحاكمة، الأمر الذي جعل الأسرة الحاكمة ترى في «كتلة الأغلبية» أكبر خطر سياسي.

وفي إحدى أمسيات شباط/ فبراير ٢٠١٢، قمت بما تقوم به أغلبية الكويتيّين الذكور في سنّ معينة: ذهبت إلى عدد من الديوانيات، أو منتديات المناقشة التي تُعقد في ديوانية، وهي عبارة عن غرفة جلوس فسيحة تابعة للمنزل، أو مبنى كبير إذا كان المالك رجلاً ثرياً، لاحتساء الشاي والخوض في السياسة. إحدى الديوانيات التي ذهبت إليها يملكها صحافيٌ شيعي معروف وقد ضمت مجموعة بارزة من المفكرين، والصحافيّين والسياسيّين الشيعة أساساً. بيّنوا لي كيف إن الكويت أصبحت مركزاً إقليمياً للقنوات التلفزيونية الدينية ووسائل الإعلام الأخرى، وكيف إن قطاعها الإعلامي بات منغمساً في الخليج الطائفي. وبالنظر إلى انفتاح الكويت السياسي والديني النسبي، استخدمت الحركاتُ السياسية والدينية الإقليمية هذا البلد في إقامة منابر إعلامية في العقد الماضي. وقد شاهدتُ بعض هذه القنوات على شاشات التلفزيون في البحرين والمملكة العربية السعودية، وكان مشوّقاً أن ترى قنوات أخرى تنشر الرسائل الدينية السلفية فيما يبثّ بعض القنوات الشعارات الدينية الشيعية[١٢]، لكن كانت مناقشة وسائل الإعلام الكويتية موضوعَ الاحتجاجات وإدانة القمع في البحرين وبخاصة في القطيف من المحرمات. لم تستحوذ الحركات الاحتجاجية في

---

(١١) اسم فرع الإخوان المسلمين في الكويت «الحركة الدستورية الإسلامية ـ حدس. انظر:
Nathan J. Brown, «Pushing Toward Party Politics?: Kuwait's Islamic, Constitutional Movement,» Carnegie Endowment for International Peace, 7 February 2007, <http://carnegieendowment.org/2007/02/13/pushing-toward-party-politics-kuwait-s-islamic-constitutional-movement/3kex>.

(١٢) القنوات الشيعية التي يديرها الشيرازيون هي الأنوار، والأنوار ٢، والمهدي، والقناة (CH4 Teen). ويقال إن فرع الكويت لشبكات حزب الله يدير قناة الكوت. مقابلات أجراها المؤلف مع صحافيين شيعة في الكويت في شباط/ فبراير ٢٠١٢.

كلتا المنطقتين إلّا على تغطية محدودة جداً عبر القنوات التي تمتلكها دول الخليج، مثل: قناتي الجزيرة والعربية، وعند عرضها تقارير عن الحوادث هناك كانت هذه القنوات تركزّ في العادة على تورّط إيراني مزعوم(١٣)؛ لذلك، يشاهد شيعة الخليج قناةَ العالم التي تبثّ باللغة العربية برعاية إيرانية، أو قناة المنار التي يملكها حزب الله اللبناني، أو قناة أهل البيت العراقية، أو القنوات السورية الموالية للأسد أو بعض القنوات الشيعية الكويتية. تحولّت الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط إلى حرب إعلامية شاملة تقف فيها المنابر الإعلامية إما مع الاحتجاجات في البحرين والقطيف ونظام الأسد، أو مع الاحتجاجات في سوريا وضدّ الاحتجاجات في البحرين والقطيف.

التقيت في الديوانية أيضاً عبد الحسين السلطان، رئيس تحرير صحيفة **الدار** الكويتية وهو ناشط شيرازي. وكانت هذه الصحيفة وقناة العدالة التلفزيونية منبرين إعلاميَّين جديدين يهتمان بالشأن الشيعي، أسسهما رجال أعمال شيعة وسّعوا أعمالهم المهنية وإمبراطورياتهم الإعلامية في عهد رئيس الوزراء ناصر المحمد الصباح(١٤). ذكر لي السلطان أن صحيفة **الدار** علّقت مؤقتاً نشر تقارير عن الاحتجاجات في البحرين والقطيف في ربيع العام ٢٠١٢، وأنها ستتوقف عن الصدور نهائياً في نهاية سنة ٢٠١٢. وبطريقة مشابهة، حُكم على شيعي كويتي بالسجن عشر سنين لتغريداته التي انتقد فيها الأسرة الحاكمة في كل من البحرين والمملكة العربية السعودية، فضلاً عن التحدث عن رسول الله وعن زوجته عائشة بكلام لا يليق(١٥). أدّت حالة

---

(١٣) Marc Lynch, *The Arab Uprising: The Unnished Revolutions of the New Middle East* (New York: PublicAffairs, 2012), p. 139 f.

(١٤) كان رجل الأعمال الشيعي محمود حيدر مموّل صحيفة **الدار**. وكان عبد الحسين السلطان رئيس تحريرها، مقابلة مع المؤلف في الكويت في شباط/ فبراير ٢٠١٢.

(١٥) أجّجت محاكمة حمد النقي (@alnaqiq8) لتعليقاته على التويتر في ربيع العام ٢٠١٢ هذه المشاعر في مختلف أرجاء المنطقة، ما يجسّد الأهمية التي اكتسبتها وسائل التواصل الاجتماعي والطائفية. انظر: «Kuwaiti Gets 10 Years for Twitter Blasphemy: Lawyer,» Reuters, 4 June 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/06/04/us-kuwait-prophet-verdict-idUSBRE8530DK20120604>, and Human Rights Watch, «Kuwait: 10 Years for Criticizing Neighboring Rulers: Emir vetoes Legislation Authorizing Death for «Mocking Religion»,» Press Release, 7 June 2012, <http://www.hrw.org/news/2012/06/07/kuwait-10-years-criticizing-neighboring-rulers>.

الاستقطاب في وسائل الإعلام الشرق أوسطية إلى ترسيخ تصوّرات الناس بوجود انقسام طائفي، فأغلبية الشيعة الكويتيّين الذين التقيتهم يتبنّون الرواية التي تحكيها وسائل الإعلام الشيعية أو المموّلة من إيران وهي أن الثورة السورية ليست إلّا مخططاً غربياً تموّله دول الخليج. وهم يساندون في معظمهم نظام بشار الأسد ويشكون كثيراً في نوايا المعارضة السورية وتكوينها، فيما يقول السنّة العكس تماماً، كما غدت الطائفية أداة لتنظيم الحملات في يد أعضاء البرلمان السلفيّين والشيعة. يجسّد عبد الحميد دشتي، وهو أحد هؤلاء البرلمانيّين الذي فازوا في انتخابات شباط/ فبراير ٢٠١٢، الخليجَ الطائفي الجديد بكل تناقضاته[١٦]، إنه مثال ممتاز على متعهّد هُويّات شيعي يسعى لى التكسّب من هوية شيعية قويت شوكتها في المنطقة وهو ألّف كتاباً موجزاً عن تاريخ الشيعة في الخليج[١٧]، لكنّه أصبح شخصية مثيرة للجدل وذلك عائداً أساساً إلى مساندته القوية للاحتجاجات في البحرين ورئاسته لمجموعة تضامن بحرينية في الكويت، وكان على اتصال بشرائح المعارضة البحرينية كافة، وسعى في شباط/ فبراير وفي آذار/ مارس ٢٠١١ إلى التوسّط من أجل التوصّل إلى اتفاق بين المعارضة والنظام هناك، لكنّه حافظ في الوقت عينه على علاقاته المهنية بأشخاص قريبين من النظام السوري بل أقام مناسبة جُمع فيها المال لنصرة نظام بشار الأسد، وهو أمر اعتبرته المعارضة السورية وعدد من السنّة في الكويت عملاً عدائياً[١٨].

لكنّ العلاقات بين السنّة والشيعة في الكويت لم تكن مثار إشكاليات على مرّ تاريخها مثلما هي في أغلبية الدول المجاورة. وفي الواقع، أقامت أسرة الصباح الحاكمة حلفاً تقليدياً مع أسر التجار الشيعة الذين شكّل عدد منهم تكتلات تجارية ضخمة وجمعوا ثروات هائلة، واستخدمت الأسرة

---

(١٦) سعت وزارة الداخلية لمنعه من الترشّح لانتخابات شباط/ فبراير ٢٠١٢ ولم تنجح. وفاز أيضاً في انتخابات كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢. انظر: Habib Toumi, «Court Reinstates Kuwaiti Parliamentary Candidates,» *Gulf News*, 20/1/2012, <http://gulfnews.com/news/gulf/kuwait/court-reinstates-kuwaiti-parliamentary-candidates-1.968562>.

(١٧) عبد الحميد عباس دشتي، **تاريخ شيعة الخليج وعقائدهم** (مونتريال؛ بيروت: دار زيناس للنشر والإعلام، ٢٠٠٨).

(١٨) مقابلة أجراها المؤلف مع عبد الحميد دشتي في الكويت في شباط/ فبراير ٢٠١٢. لمشاهدة شريط فيديو لإحدى هذه المناسبات، انظر: <http://www.youtube.com/watch?v=r17qgtiy0Z4>.

الحاكمة التجارَ الشيعة كثقل مكافئ لنخبة التجار السنّة ذوي الميول القومية[١٩].

لا شيء يُظهر العلاقة بين الأسر السنّية والشيعية القديمة في الكويت أفضل من التنقّل بالسيارة في مدينة الكويت عبر حيَّي بنيد القار وشرق؛ إذ يجري استبدال الناطحات بالمباني القديمة بوتيرة بطيئة ولكن مطردة، لكن تنتصب بجوار قصر الأسرة الحاكمة القديم منازل أسر التجار الشيعة الأثرياء الذين يتحدّر بعضهم من إيران والذين ساهموا في مجتمع الكويت الجامع لأجناس مختلفة، إذا قدت سيارتك في هذه الأحياء الملاصقة لوسط المدينة، تظهر أمامك بيوت العزاء الشيعية المبنية بجوار ديوانيات الأسر الشيعية والسنّية الثرية، وبعض هذه المباني ينتصب فوق التقاطعات المرورية الرئيسة.

على العكس من شيعة البحرين وشيعة المحافظة الشرقية الذين يزعم جميعهم أنهم السكان الأصليون في تلك المنطقتين، يتحدّر الكويتيون على اختلاف مشاربهم من أماكن أخرى واستقرّوا في المنطقة في القرنين الماضيين لأسباب اقتصادية وسياسية أساساً؛ لذلك يمكن اعتبار الكويت مجتمعاً مهاجراً احتفظت فيه الجماعات المتنوعة بسمات هويّاتها السابقة فيما التحمت لتشكل جزءاً من شيء جديد[٢٠].

لكنّ بلداً بين إيران والعراق والمملكة العربية السعودية لا يمكنه، كما وصف لي أحد الكويتيين، النأي بنفسه عن التطورات السياسية الجارية في تلك الدول، والثورة الإيرانية ومحاولة إيران تصدير الثورة، وحملة التفجيرات التي دبّرها في ثمانينيات القرن الماضي ناشطون شيعة مقيمون في الكويت أجّجت العداوات الطائفية في البلاد[٢١]. وبالمثل،

---

(١٩) Azoulay, «The Politics of Shi'i Merchants in Kuwait,» pp. 71-77.

(٢٠) لمعرفة المزيد عن شيعة الكويت، انظر: عبد المحسن يوسف جمال، **لمحات من تاريخ الشيعة في الكويت (من نشأة الكويت إلى الاستقلال)** (الكويت: دار النبأ للنشر، ٢٠٠٥)؛ فلاح عبد الله المُدَيرس، **الحركة الشيعية في الكويت** (الكويت: دار القرطاس للنشر، ١٩٩٩)، و Laurence Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf* (New York: Columbia University Press, 2008), pp. 46-57 and 167-176.

(٢١) انظر: Lori Plotkin Boghardt, *Kuwait Amid War, Peace and Revolution: 1979-1991 and New Challenges* (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2006).

غدت شرائح من المجتمعات السنّية في الكويت متطرّفة، وأصبح الخطاب المعادي للشيعة أكثر تفشياً، والمنافسة السعودية ـ الإيرانية وصعود الشيعة العراقيّين عقب حرب الخليج حوادث خلّفت آثارها، وكذلك صعود الإسلاميّين السنّة والشيعة على السواء في الكويت والذين تشكّل لهم الخلافات العقائدية بُعْداً مهماً[٢٢]. ومع احتدام التوتّرات الإقليمية، باتت مظاهر الطائفية أكثر جلاءً في المشهد السياسي الكويتي، وباتت أداة يستخدمها متعهدو الهويات الطائفية والتجمّعات السياسية خدمة لمصالحهم.

أحد العوامل الرئيسة في بروز الطائفية في الكويت «قضية مُغْنيّة»؛ فعقب اغتيال القائد العسكري في حزب الله عماد مغنيّة في دمشق في ١٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٨، قرّر نائبان برلمانيان شيعيان تابعان للفرع الكويتي لشبكات حزب الله العابرة للحدود إقامة مجلس عزاء عام[٢٣]، مغنيّة هو شخصية غير مرحَّب فيها لدى أغلبية الكويتيّين السنّة الذين يتهمونه بخطف طائرة مدنية كويتية في سنة ١٩٨٨ لتأمين إطلاق سراح سجناء شيعة في الكويت[٢٤]، طُرد هذان النائبان عقب العزاء من «كتلة العمل الشعبي» وهو تحالف مُعارِض متنوع طائفياً[٢٥]. عندئذٍ تحالفا مع رئيس الوزراء ناصر

(٢٢) للاطلاع على معلومات أساسية عن الجماعات الإسلامية المتنوعة في الكويت، انظر: Falah Abdullah al-Mdaires, *Islamic Extremism in Kuwait: From the Muslim Brotherhood to al-Qaeda and other Islamist Political Groups*, Durham Modern Middle East and Islamic World Series; 17 (Abingdon, Oxon; New York: Routledge, 2010).

(٢٣) هما عدنان عبد الصمد وأحمد لاري من «التحالف الوطني الإسلامي»، حصل التحالف الذي يُعرف محلياً بفرع حزب الله في الكويت على خمسة مقاعد في انتخابات كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢، ما جعله القوة السياسية الأقوى في أوساط شيعة الكويت. راجع قاعدة بيانات السياسة الكويتية لدى جامعة ولاية جورجيا. انظر: Kuwait Politics Database, Georgia State University, <http://www2.gsu.edu/~polmfh/database/database.htm>.

(٢٤) قُتل عنصران أمنيان في تلك العملية. انظر: «Kuwait MPs Decry Rally for «Terrorist» Mughniyah,» Al Arabiya News, 17 February 2008, <http://www.alarabiya.net/articles/2008/02/17/45771.html>, and «Kuwait MPs Expelled for Mourning Mughniyah,» Al Arabiya News, 20 February 2008, http://www.alarabiya.net/articles/2008/02/20/45901.html>.

(٢٥) «Kuwait MPs Expelled for Mourning Mughniyah».

أسس النائب المخضرم في مجلس الأمة أحمد السعدون «كتلة العمل الشعبي» وضمّت سبعة نواب معارضين، منهم مُسلَّم البرّاك الذي برز في سنة ٢٠١٢ كزعيم روحي للحركة الاحتجاجية.

المحمد الصباح الذي كانت المعارضة تطعن فيه في البرلمان والذي يقيم روابط قوية بأسر التجار الكويتيّين الشيعة[٢٦].

ضمن هذا الحلف وقوف النخبة السياسية الشيعية بحزم إلى جانب رئيس الوزراء وأسرة الصباح الحاكمة غداة بروز حركة شبابية جادّة مناوئة لرئيس الوزراء في سنة ٢٠٠٩ والتي أعطاها الربيعُ العربي دفعاً جديداً. زاد وصف الأسرة الحاكمة للحركة الاحتجاجية بأنها انتفاضة قَبَلِية على السكان الحضريّين في الكويت، صحيح أن أغلبية معارضي الأسرة الحاكمة إسلاميون وأبناء قبائل، وسيكون النظر إلى المعارضة من خلال هذه العدسة فقط تبسيطاً زائداً، فالصراع في الكويت يدور أساساً بين شعب يريد مزيداً من المشاركة في السياسة ومزيداً من العدالة الاقتصادية وبين أسرة حاكمة وأقلّية نفعية عازمة على محاولة تلافي ذلك بالتحديد، والحركة الشبابية التي برزت كقوة فاعلة في المشهد السياسي الكويتي في السنين القليلة الماضية سرّعت ذلك الصراع بسعيها إلى تسريع التغيير السياسي للتحوّل إلى نظام ملكي دستوري بشكل كامل تتنازل بموجبه الأسرة الحاكمة عن كثير من سلطاتها السياسية. ومع أنّ الربيع العربي أعطى الحركةَ الشبابية زخماً جديداً، يجادل الشباب الكويتي بأنّ بروز حركتهم سبق الربيع العربي لأنّ بدايتها كانت في سنة ٢٠٠٦. ناضلت الحركة البرتقالية في سنتي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦، وهو الاسم الذي اكتسبته بسبب الأعلام والفانيلات البرتقالية التي ارتداها المحتجّون، من أجل منح المرأة الحق في التصويت وخفض عدد الدوائر الانتخابية من خمس وعشرين إلى خمس دوائر في مسعى للحدّ من تلاعب مزعوم في الانتخابات أفاد المرشحين لموالين للأسرة الحاكمة في الدوائر الصغيرة. نجحت الحركة الاحتجاجية التي قاد بعض قطاعاتها ناشطون شباب مثل الناشطين الشباب اليوم واضطرت الحكومة إلى الإذعان لمطالبها[٢٧]. وإحياءً لذكرى هذه التعبئة المبكرة،

(٢٦) مقابلة أجراها المؤلف مع غانم النجار، وهو بروفسور في العلوم السياسية في جامعة الكويت، في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢.

(٢٧) سهّلت الهواتفُ النقالة والإنترنت التعبئة في سنة ٢٠٠٦، وسيّست جيلاً بأكمله من الشباب. انظر: Mary Ann Tétreault, «Kuwait's Annus Mirabilis,» *Merip Online* (7 September 2006), <http://www.merip.org/mero/mero090706>.

أصبحت الأعلامُ البرتقالية المعلم الرئيس للاحتجاجات الكويتية في سنتي ٢٠١١ و٢٠١٢.

قرّرت الحركة الشبابية التركيز بعد ذلك على هدف رئيس آخر بدءاً بشهر تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٩ فصاعداً، وهو إسقاط رئيس الوزراء غير المنتخب ناصر المحمد الصباح. أضحى الشعار «إرحل» صيحة تجمّع، ويزعم الناشطون الكويتيون أنهم صاغوا هذه العبارة قبل أن تصبح شعاراً رئيساً في الثورتين التونسية والمصرية في سنة ٢٠١١[٢٨]. تشكّلت في مطلع سنة ٢٠١١ مجموعة شبابية غير رسمية جديدة أطلقت على نفسها اسم «السور الخامس»، في إشارة إلى الأسوار الأربعة التي حمت مدينة الكويت القديمة من الغزوات. سعت هذه المجموعة إلى تكثيف الحملة المناهضة لرئيس الوزراء وإدخال إصلاحات سياسية. وقد تشكّلت هذه المجموعة عقب تعرّض بعض برلمانيي المعارضة للضرب في أثناء هجوم للقوى الأمنية على تجمّع في ديوانية جمعان الحربش النائب السابق عن الإخوان المسلمين. قال لي عدد من الناشطين الكويتيّين إن تلك الحادثة كانت لهم بمثابة صيحة تنبيه؛ إذْ أظهرت أنّ النظام على استعداد لاستخدام العنف المحدود لإضعاف خصومه. وكما يحكي باعتزاز ناشطون شباب كويتيون وأعضاء سابقون في البرلمان، فإنّ الهجوم الذي وقع في ٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٠ سابق لحادثة إحراق محمد بوعزيزي نفسه بتسعة أيام، وهي الحادثة التي أطلقت شرارة الثورة التونسية، ويشدّد هؤلاء الناشطون من خلال هذا التشبيه على أهمية العوامل المحلية في التعبئة الجماهيرية التي تشهدها الكويت منذ ذلك الحين[٢٩].

وبالتالي، أصبح الشباب في غضون السنين القليلة الماضية قوة فاعلة في المشهد السياسي الكويتي وساهموا في إضعاف بعض التجمّعات السياسية الراسخة، فيما أقاموا تحالفات مع تجمعات أخرى. وعلى سبيل

(٢٨) مقابلة أجراها المؤلف مع أحد قادة الحركة الشبابية في الكويت في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢. جرى الترويج للشعار في المدونة: <http://www.altariq2009.com>.

(٢٩) غالباً ما تتشكل الحركات الشبابية الكويتية كتحالفات خاصة تجتمع على أهداف معيّنة. انظر: Kristin Diwan, «Kuwait's Impatient Youth Movement,» *Foreign Policy* (29 June 2011), <http://mideastforeignpolicy.com/posts/2011/06/29/kuwait_s_youth_movement>.

المثال، ينتمي الناشطون الأساسيون إلى شبيبة الإخوان المسلمين، فيما يتحدر عدد من الأعضاء الآخرين من قبائل قوية[٣٠]. وفي مطلع سنة ٢٠١١، أسّس عدد من الناشطين الشباب مجموعة سياسية للشباب هي «الحركة الديمقراطية المدنية» التي تطالب بإقامة نظام ملكي دستوري[٣١].

اكتسب المحتجّون زخماً طوال سنة ٢٠١١، ثمّ وصلت الأمور إلى حدّ الأزمة عندما اقتحم ناشطون شباب مجلسَ الأمّة الكويتي في تشرين الثاني/ نوفمبر احتجاجاً على الحكومة. أدّى ذلك إلى استقالة رئيس الوزراء الكويتي ناصر المحمد الصباح بعد أيام قلائل، وجاء اقتحام المجلس في سياق مزاعم تحدّثت عن فساد واسع النطاق وعن شراء رئيس الوزراء أصوات بعض النواب، وفي الشهور التالية ظهر على صفحات الجرائد الكويتية مزيد من التفاصيل عن دفعات مالية ضخمة قدّمها رئيس الوزراء إلى عدد من أعضاء البرلمان[٣٢]. وبعد هذا النجاح، تبنّت جماعات المعارضة الراسخة مطالب الحركة الشبابية، ولا سيّما الإخوان المسلمين وعدد من السياسيّين المستقلين الذين طالبوا بتعيّين رئيس وزراء منتخَب، وتقنين الأحزاب السياسية، وإقامة نظام ملكي دستوري بشكل كامل[٣٣].

عُيّن جابر المبارك الصباح رئيساً جديداً للوزراء، هو وزير دفاع سابق ونائب أول لرئيس الوزراء، ومضى البرلمان الذي تقدّمَت الإشارة إليه والمنتخَب حديثاً في شباط/ فبراير ٢٠١٢ في التحقيق في مزاعم الفساد،

---

(٣٠) ولا سيما القبائل الثلاث الأكثر شهرة في الكويت وهي العوازم والعجمان والمطير.

(٣١) يوجد في «الحركة الديمقراطية المدنية» لوائح داخلية، وانتخابات داخلية، وهيكل رسمي، وهو أمر مستحدث لدى الجماعات الشبابية الكويتية. مقابلة أجراها المؤلف مع أحد قادة الحركة في الكويت في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢. انظر أيضاً: <http://www.cdmkw.com>.

(٣٢) Kristian Coates Ulrichsen, «Kuwait: Kuwait's Black Monday,» *World Today*, vol. 67, no. 12 (December 2011), and «Kuwait's Prime Minister Resigns after Protests,» BBC, 28 November 2011, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-15931526>.

(٣٣) مقابلة أجراها المؤلف مع أحد قادة الحركة الشبابية في الكويت في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢. انظر أيضاً: Elizabeth Dickinson, «Youth Movement Helps to Set Kuwait's Political Agenda,» *The National* (22 July 2012), <http://www.thenational.ae/news/world/middle-east/youth-movement-helps-to-set-kuwait-s-political-agenda>, and «Kuwaiti Youth Emerge as Force in Protests against the State,» *Al-Monitor*, translated from *al-Hayat*, 22/10/2012, <http://www.al-monitor.com/pulse/politics/2012/10/kuwaiti-youth-look-forward-to-new-political-epoch.html>.

لكن بحسب أحد أعضاء «كتلة الأغلبية»، أدّى «مخطط قذر» إلى حلّ البرلمان. وفي حزيران/ يونيو، أي بعد ١٢٠ يوماً على التحديد، قضت المحكمة الدستورية ببطلان الانتخابات، وبالتالي حلّ البرلمان الذي تهيمن عليه المعارضة[٣٤]، ورداً على ذلك، شارك عشرات الآلاف في مهرجان في ساحة الإرادة (ساحة الإرادة الشعبية) قبالة مجلس الأمة أو البرلمان الكويتي، وأضحت ساحة الإرادة رمزاً للحركة الاحتجاجية، على نحو ليس بعيد الشبه عن ميدان التحرير في القاهرة ودوار اللؤلؤة في المنامة، وزُوّدت بمنبر للخطابة، وخيام، وبُسُط كبيرة للجلوس، وكانت تُقام فيها تجمعات يومية أحياناً[٣٥].

إنّ ما يميّز الكويت عن سائر دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى: برلمانها - وهو الأقوى من بين سائر برلمانات الدول الخليجية - ووسائلها الإعلامية الحرّة نسبياً وتقليد النقاش السياسي، ولا سيما في الديوانيات. منح الأميرُ الكويتَ برلماناً ودستوراً عقب صفقة بين أسر التجار الثرية وأسرة الصباح الحاكمة في سنة ١٩٦٢، أي بعد سنة من إقامة دولة الكويت وانتهاء زمن الوصاية البريطانية على البلاد، لكنّ الأمير احتفظ بحقّ حلّ البرلمان وقد علّقه مرّتين في سنتي ١٩٧٦ و١٩٨٦[٣٦]، لكنّ غزو صدام حسين للكويت في سنة ١٩٩٠ كان الحدث الوحيد الذي أثبت أنه مغيّر للعبة؛ فعقب تحرير البلاد من الاحتلال العراقي في حرب الخليج الأولى، توصلت الأسرة الكويتية الحاكمة إلى اتفاق مع المعارضة حوّل الكويت إلى نظام حكم مطلق متحرّر هو أكثر النظم السياسية تقدمية في مجلس التعاون الخليجي. واستأنف مجلس الأمّة الكويتي عمله وأعيد العمل بالدستور، وكانت الانتخابات النيابية طوال تسعينيات القرن الماضي

---

(٣٤) مقابلة أجراها المؤلف مع عضو سابق في مجلس الأمة وعضو في كتلة الأغلبية في الكويت في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢.

(٣٥) «Kuwait Protest at Court Ruling Dissolving Parliament,» BBC, 27 June 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-18606540>.

(٣٦) يمكن مجلس الأمة حجب الثقة عن وزراء، بما في ذلك رئيس الوزراء، ويمكنه إعداد مشاريع قوانين، مع أنها تبقى في حاجة إلى موافقة الأمير. تُمنَح عضوية المجلس تلقائياً لأعضاء الوزارة، وكذلك رئيس الوزراء، ما يزيد عدد أعضاء مجلس الأمة من خمسين إلى ستة وستين عضواً من الناحية الفعلية. وغالباً ما يصوّت الوزراء المعيَّنون لصالح الأسرة الحاكمة.

والعقد الأول من القرن الحالي منافسات سياسية حقيقية تضمنت تنظيم حملات مبتكرة وشهدت إقبالاً كبيراً على التصويت(٣٧). لكنّ عدداً من الكويتيّين يرون أنه آن الأوان للمطالبة أيضاً بحكومة منتخَبة وبرئيس وزراء منتخَب.

وفي سياق تلك السنة، اشتدّت التوترات الطائفية وبلغت الأزمة السياسية المزمنة ذروتها. وعقب حلّ مجلس الأمة المنتخَب في شباط/ فبراير ٢٠١٢، أعادت المحكمة الدستورية مجلس الأمّة السابق للمجلس الذي أفرزته انتخابات شباط/ فبراير ٢٠١٢، لكنّه لم يعقد جلسات أبداً. وفي تشرين الأول/ أكتوبر، حلّ الأميرُ المجلسَ ودعا إلى انتخابات جديدة في ١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢(٣٨). لكنّ عدداً من جماعات المعارضة الكويتية الغاضبة دعت إلى احتجاجات شعبية، وفرّقت القوى الأمنية مظاهرة كبيرة أولى في ساحة الإرادة في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر. وألقى مسلّم البرّاك، وهو برلماني معارض حصل على أكبر عدد من الأصوات كمرشح مستقل في انتخابات شباط/ فبراير ٢٠١٢، خطاباً ملتهباً تحدّى فيه السلطة السياسية للأمير علناً، ثم واجه الأميرُ المحتجّين مباشرة في ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢ واصفاً مجالسهم بأنها «باتت تشكل خطراً جسيماً على وحدتنا الوطنية وتهدّد أمننا الوطني» وأدخل تغييرات في القانون الانتخابي حصرت قدرة المقترعين بانتخاب مرشّح واحد عوضاً عن أربعة كما كانت الحال سابقاً(٣٩)، وبعد يومين أي في ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر، توجّهت مظاهرة ضخمة نحو ساحة الإرادة أولاً ثم أعيد توجيهها من خلال حساب «كرامة وطن» على التويتر نحو «أبراج الكويت» وتراوحت تقديرات أعداد المشاركين بين ٥٠,٠٠٠ و١٥٠,٠٠٠ شخص. كانت هذه المظاهرة هي الأكبر في تاريخ الكويت، لكنّ قوى الأمن هاجمت المتظاهرين بالرصاص المطاطي والقنابل المسيلة للدموع

(٣٧) Tétreault, *Stories of Democracy: Politics and Society in Contemporary Kuwait.*

(٣٨) «In Bid to End Crisis, Kuwait's Parliament Is Dissolved,» *New York Times*, 7/10/2012, < http://www.nytimes.com/2012/10/08/world/middleeast/in-bid-to-end-crisis-kuwaits-parliament - is-dissolved.html?_r=0 >.

(٣٩) Kristin Smith Diwan, «Kuwait's Balancing Act,» *Foreign Policy* (23 October 2012), < http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/10/23/kuwait_s_balancing_act >.

ما أسفر عن وقوع إصابات في صفوف المحتجّين واعتقال بعضهم، منهم بعض شخصيات المعارضة وعدد من أفراد الأسرة الحاكمة(٤٠). وحفلت الأسابيع التالية باستقطاب شديد للمجتمع الكويتي حيال مستقبل النظام وبمزيد من المظاهرات الشعبية(٤١). ثمّ نزل الناس إلى الشوارع مرّة أخرى عقب اعتقال البرّاك في ٢٩ تشرين الأول/ أكتوبر واتهامه بإهانة الأمير في الخطاب الذي ألقاه في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر، وأدّت المظاهرات التي أعقبت ذلك إلى إطلاق سراحه(٤٢).

وإذعاناً للضغط الشعبي، أذنت الحكومة بتنظيم مظاهرة ضخمة أخرى في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ شارك فيها عشرات الآلاف من المتظاهرين الذين دعوا إلى مقاطعة الانتخابات النيابية المقرّرة في اليوم التالي(٤٣). وفي أثناء الانتخابات، حثّ الإسلاميون السنّة أساساً، وزعماء القبائل، والمعارضة الوطنية أنصارَهم على عدم التصويت، لكن مع مشاركة الشيعة، وعدد من أسر التجّار الحضرية، بلغت نسبة المشاركة في التصويت نحو ٤٠ في المئة(٤٤)، والواضح أنّ النوّاب الشيعة استفادوا من مقاطعة الإسلاميّين السنّة للانتخابات فحصلوا على سبعة عشر مقعداً

---

(٤٠) في انعكاس للانقسامات بين الفروع المختلفة للأسرة الحاكمة، فضلاً عن الانقسامات الجيلية، يتعاطف بعض أعضاء أسرة الصباح، ولا سيما الشباب منهم، مع الحركة الاحتجاجية، واعتُقل اثنان منهم مدّة وجيزة لتعليقهم تغريدات مسايدة للمعارضة. انظر: «Kuwait Releases Royals Detained Over Tweets,» aljazeera.com, 10 November 2012, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2012/11/2012111014411070590 7.html>.

(٤١) Ian Black, «Kuwait Emir's Change to Election Rules Stirs Signs of Arab Spring,» *Guardian*, 25/11/2012, <http://www.guardian.co.uk/world/2012/nov/25/kuwait-elections-unrest-emir-change-voting-rules>.

(٤٢) «Kuwait: Ex-MP Mussallam al-Barrak Freed on Bail,» BBC, 1 November 1012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle -east-20165318>.

للاطلاع على تسلسل زمني للاحتجاجات، انظر: Mary Ann Tétreault, «Looking for Revolution in Kuwait,» *Merip Online* (1 November 2012), <http://www.merip.org/mero/mero110112>.

(٤٣) «Kuwait Election: Thousands Join Anti-Government Protest,» BBC, 30 November 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-20558819>.

(٤٤) تزعم المعارضة أن نسبة المشاركة في التصويت كانت أقلّ وأنها ناهزت ٣٠ في المئة. مقابلة أجراها المؤلف مع عضو سابق في مجلس الأمة والعضو في كتلة الأغلبية في الكويت في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢.

من أصل خمسين، وبذلك يكونون قد حصلوا على تمثيل سياسي أفضل من أي وقت مضى(٤٥). وفيما أكّدت مشاركتهم ولاءهم للأسرة الحاكمة، فقد صبّت في مصلحة المتشدّدين السنّة الذين شجبوا مشاركة الشيعة في الانتخابات(٤٦).

استأنفت الأسرة الحاكمة ومجلس الأمّة الجديد أعمالهما كالمعتاد. في الواقع، جادل عدد من مناصري المجلس الجديد بأن الحكومة المعيَّنة استطاعت تنفيذ مشاريع بنية تحتية كبيرة لأول مرّة منذ سنين عديدة، بناء على خطة إنمائية وطنية أرجأ تنفيذَها حتى ذلك الحين مجلسُ أمّةٍ كثير الانتقادات(٤٧).

ومن ناحية أخرى، قاطعت المعارضة الانتخابات وبقيت خارج العملية السياسية إلى حين تقرّر إجراء انتخابات جديدة. ولم يكن في استطاعة المعارضة إسماع صوتها إلّا من خلال المظاهرات في الشوارع، والمناقشات في الديوانيات، وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، ثم نُظّم مزيد من المظاهرات عقب الانتخابات من خلال حساب «كرامة وطن» على تويتر، بما في ذلك مهرجان ضخم في ٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢(٤٨). كما نظّمت الحركة الشبابية اعتصاماً في ساحة الإرادة في ١٥ كانون الأول/ ديسمبر للاحتجاج على افتتاح الجلسة الأولى لمجلس الأمّة الجديد، لكنّ تواجد القوى الأمنية الكثيف أجبر المحتجّين على الانتقال إلى ساحة البنوك. ودعا الحساب على التويتر إلى تجمّعات عديدة منذ ذلك الحين،

---

(٤٥) «Shiites Score Big in Kuwaiti Poll Hit by Boycott,» *Ahram Online*, 2/12/2012, <http://english.ahram.org.eg/News/59602.aspx>.

أسفرت انتخابات شباط/ فبراير ٢٠١٢ عن فوز سبعة أعضاء شيعة فقط بمقاعد في مجلس الأمة. كما ضمّ مجلس الأمة الذي أسفرت عنه انتخابات كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢ عدداً أكبر نسبياً من السيدات. قاعدة بيانات السياسة الكويت لدى جامعة ولاية جورجيا.

(٤٦) «The Price of Kuwait's Election Boycott,» *Deutsche Welle*, 3/12/2012, <http://www.dw.de/the-price-of-kuwaits-election-boycott/a-16423752>.

(٤٧) مقابلة أجراها المؤلف مع جواد بو خمسين، وهو رجل أعمال شيعي بارز، الكويت، في شباط/ فبراير ٢٠١٢.

(٤٨) كان ذلك مهرجان «كرامة وطن» الرابع. انظر: «Kuwaiti Protesters Rally to Scrap New Parliament,» Agence France-Presse, 8 December 2012, <http://english.ahram.org.eg/NewsContent/2/8/60067/World/Region/Kuwaiti-protesters-rally-for-scrapping-new-parliam.aspx>.

وتعهّد بمواصلة الاحتجاجات طالما أن مجلس الأمّة باقٍ على حاله. وفي مسيرة «كرامة وطن» الخامسة في ٦ كانون الثاني/يناير، فرّقت القوى الأمنيّة المتظاهرين بسرعة، ثمّ دُعي إلى تنظيم المسيرة السادسة في ١٣ كانون الثاني/يناير ٢٠١٣ في ضاحية صباح الناصر وهي معقل قوي للقبائل المعارِضة، وشارك عدة آلاف في التجمع وخلت المناسبة من تدخل للقوى الأمنية[٤٩]. وبدءاً بشهر كانون الأول/ديسمبر فصاعداً، بدأ بعض الناشطين الشباب بالابتعاد عن أماكن سابقة مثل ساحة الإرادة وتنظيم احتجاجات مسائية في مناطق سكنية، لكنّ القوى الأمنية كانت تتدخل بسرعة لتفريق المحتجّين، كما اعتُقل بعضهم وقُدّم إلى المحاكمة. وبالتالي، فيما زادت حدّة القمع، واصلت الحركة الشبابية وجماعة أعضاء مجلس الأمّة السابقين الذين شكّلوا كتلة الأغلبية في شباط/فبراير ٢٠١٢ محاولة إسقاط مجلس الأمّة الجديد والحكومة الحالية. وفيما قلّت وتيرة الاحتجاجات وصغر حجمها في ربيع ٢٠١٣، شكّل حلف بين الجماعات الشبابية وأعضاء في مجلس الأمّة السابق جبهة معارضة مشتركة في آذار/مارس ٢٠١٣ هي «حركة العمل الشعبي»، وحُدّدت لها أهداف واضحة، مثل: تشكيل حكومة منتخَبة، والعودة إلى النظام الانتخابي القديم، والاعتراف بقانونية الأحزاب السياسية[٥٠].

كما إن صدور الحكم على مسلّم البرّاك، وهو أحد قادة جبهة المعارضة الجديدة، في ١٥ نيسان/أبريل ٢٠١٣ بالسجن خمس سنين لخطابه «لن نسمح لك» الذي ألقاه في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢ جذب الآلاف إلى الشوارع، لكنّ القوى الأمنية استخدمت العنف في تفريق هذه المظاهرات[٥١].

وفيما هزّت هذه الظاهرات الضخمة الكويت، وفيما استقطبت حالةُ

---

(٤٩) عُقد مهرجان «كرامة وطن» آخر في ٢٢ كانون الثاني/يناير ٢٠١٣ (المهرجان السابع).

(٥٠) مقابلة أجراها المؤلف مع أحد مؤسسي ائتلاف المعارضة في الكويت في آذار/مارس ٢٠١٣. انظر حساب «حركة العمل الشعبي» على تويتر: @ñashd.

(٥١) Habib Toumi, «Kuwait Court to Consider Al Barrak's Appeal on Monday,» *Gulf News*, 18/4/2013, <http://gulfnews.com/news/gulf/kuwait/kuwait-court-to-consider-al-barrak-s-appeal-on-monday-1.1172187>.

الجمود المجتمعَ الكويتي بسبب الانتخابات النيابية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢، نُظّمت مظاهرات ضخمة في أجزاء أخرى من البلاد. أقيمت هذه الأنشطة في الأحياء الفقيرة التي لا تبعد عن مدينة الكويت أكثر من خمس عشرة دقيقة بالسيارة؛ حيث الطرقات غير المعبَّدة والمنازل الصغيرة المتراصّة تمثّل تناقضاً صارخاً مع ناطحات السحاب في وسط مدينة الكويت، وهي مناطق تعدّ الأفقر في الخليج، مناطق لم يزرها عدد من الكويتيّين، إنها مناطق البدون، وهم مواطنون مقيمون في الكويت يربو عددهم على مئة ألف(٥٢)، ومعظم هؤلاء البدون بدو سابقون لم يسجّلوا أسماءهم لنيل الجنسية الكويتية حين نالت البلاد استقلالها عن بريطانيا في سنة ١٩٦١ وأصدرت جوازات سفر كويتية، وهؤلاء البدون الذين ليس لديهم جوازات سفر والمحرومون من التصويت ومن فرص التعليم العالي ومن عدد من الوظائف والخدمات الاجتماعية، ينشدون مزيداً من التنظيم لأوضاعهم ومنافع الجنسية الكويتية(٥٣)، لكنّ مشكلتهم تمسّ قضايا أساسية في عالم السياسة الكويتي، مثل الاقتصاد السياسي، وتشويه صورة القبائل في وسائل الإعلام، والطائفية.

وفيما يشتكي البدون من مآسيهم منذ زمن طويل وينظّمون احتجاجات منذ سنين، أعطاهم الربيع العربي أملاً جديداً، وهم يقيمون احتجاجات كبيرة منتظمة منذ سنة ٢٠١١، ولا سيما في أحيائهم. إنّ حقّ التظاهر مقدّس من الناحية التقنية في الدستور الكويتي، لكنّه يسري على

---

(٥٢) الرقم منقول عن برقية دبلوماسية سرّبها موقع ويكيليكس. انظر: From Embassy Kuwait to Secretary of State, «Kuwait's Stateless Bidoon: Background and Recent Promising Developments».

وهناك عدد غير محدد من الأشخاص عديميّ الجنسية الذين يقيمون في الخليج، وبخاصة في الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. انظر: Christopher Davidson, *After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies* (London: Hurst and Company; 2012), pp. 134-139.

(٥٣) لمعرفة المزيد عن البدون، انظر: Human Rights Watch, «Prisoners of the Past: Kuwaiti Bidun and the Burden of Statelessness,» researched and written by Priyanka Motaparthy, 13 June 2011, <http://www.hrw.org/reports/2011/06/13/prisoners-past-0>, and Claire Beaugrand, «Statelessness and Administrative Violence: Bidns' Survival Strategies in Kuwait,» *Muslim World*, vol. 101, no. 2 (2011), pp. 228-250.

المواطنين الكويتيّين فقط، وبما أنّ البدون ليسوا مجنَّسين، فهم يواجهون أحكاماً قضائية ربما تكون قاسية لمشاركتهم في المظاهرات مع المواطنين الكويتيّين، وهذا ما أبقى البدون عموماً بعيدين عن احتجاجات ساحة الإرادة وإن شارك بعضهم فيها. كما إن مظاهرات البدون في مناطق الأطراف محظورة أيضاً وتُقمَع بسرعة، لكنّ قمع الاحتجاجات هناك أصعب، ويمكن المتظاهرون الفرار من القوى الأمنية بسهولة(٥٤)، وهؤلاء البدون لا يثقون بالحكومة ولا بالمعارضة، ووضعهم يزيدهم تطرّفاً وإحباطاً(٥٥).

يتبيّن مما تقدّم أن الوضع في الكويت يختلف عن الطائفية التي يشجّع عليها النظام في البحرين وفي المملكة العربية السعودية، ما يشير إلى القيود المحتملة على الخطاب الطائفي الذي تعتمده النظم الخليجية، لقد ابتدعت الأسرة الكويتية الحاكمة وأنصارها خطاباً مشابهاً وإن كان يشير بالأصبع إلى الإخوان المسلمين والقبائل، وكذلك إلى البدون بعض الشيء، فالكويت أرضية اختبار للإصلاحات السياسية الإقليمية منذ عقود. ومناوئو التغيير الديمقراطي في الدول الخليجية الأخرى يستخدمون في الأغلب الصراعات المتحورة حول مجلس الأمّة الكويتي في المجادلة بأنّ الديمقراطية لا تصلح للخليج. وبالمثل، ينظر أنصار الديمقراطية في الخليج إلى الكويت للإدلاء بحجة مناقضة، مجادلين بأن المكائد السياسية التي تدبّرها الأسرة الحاكمة تُضعف عمل مجلس الأمّة(٥٦)، والمعارضة

(٥٤) للاطلاع على تفاصيل احتجاجات البدون، انظر: <http://www.bedoonrights.org>.

(٥٥) مع أن الحكومة أعلنت في آذار/ مارس ٢٠١٣ أنها ستمنح الجنسية لـ «٤٠٠٠ أجنبي»، وهي طريقة لتحاشي الإشارة إلى البدون بصفتهم عديمي الجنسية، فذلك لم يحلّ مشكلة البدون بشكل جذري. انظر: Mona Kareem, «Is Kuwait Serious about Bedoon Naturalization?,» *Al-Monitor* (27 March 2013), <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/03/kuwait-bedoon-naturalization.html>.

(٥٦) Jane Kinninmont, «Kuwait's Parliament: An Experiment in Semi-Democracy,» *Chatham House Brieng Paper* (August 2012), <http://www.chathamhouse.org/publications/papers/view/185357>, and Greg Power, «The Difficult Development of Parliamentary Politics in the Gulf Parliaments and the Process of Managed Reform in Kuwait, Bahrain and Oman,» London School of Economics, Kuwait Research Programme (October 2012), <http://www2.lse.ac.uk/government/research/resgroups/kuwait/research/projects/parliaments.aspx>.

والناشطون الشباب الكويتيون يدركون تماماً أنّهم يخوضون صراعاً كبيراً تعمّ تشعّباته الخليج بأسره، وإذا كانت الكويت تنوي السير في اتجاه ملكيّة دستوريّة حقيقيّة، ستكون تلك سابقة؛ لذلك يدرك هؤلاء أنه يتعيّن عليهم التغلّب على معارضة الأسر الحاكمة في دول الخليج الأخرى لا على معارضة الأسرة الحاكمة في الكويت فقط. وبالتالي ستشتدّ حالة الجمود بين الداعين إلى ملكية دستورية وبين الأسرة الحاكمة وحلفائها وستصوغها حقائق الخليج الطائفي التي تسمح بالتلاعب بالهويات الطائفية والقبلية.

الفصل السابع

فصول ربيع عربية/فصول خريف عربية

«من عُمان إلى البحرين، شعب واحد مو شعبين».

صيحة احتجاجية قبالة السفارة البحرينية في مسقط عاصمة سلطنة عُمان، ١٩ آذار/مارس ٢٠١١(*).

«أين الديمقراطية؟»

«لا للفساد».

صيحات محتجّين في مسقط، عاصمة سلطنة عُمان، ١٨ شباط/فبراير ٢٠١١(**).

«علِم اللّي مرضي نفسه ومزعّل شعبه
بكره يجلّس بداله واحد بكرسيه
لا يحَسْب أن الوطن بسمه وبسم عياله
الوطن للشعب وأمجاد الوطن شعبيه
رددوا والصوت واحد للمصير الواحد
كلنا تونس بوجه النخبه القمعيه
الحكومات العربيه ومن يحكمها
كلهم بلا بلا استثناء حراميه».

الشاعر القطري محمد بن الذيب (٢٠١١)(***).

(*) يُلمح هذا الشعار إلى مفهوم «البحرين القديمة»، صاح المحتجون «الموت للطغاة»، لكن من دون ذكر آل خليفة صراحة. راجع أشرطة الفيديو التي حمّلها المحتجون على اليوتيوب: «Omani's Staged Protest to Condemn Killing of Oppressed Bahraini's,» 19 March 2011 <http://www.youtube.com/watch?v=3xHVeVlWfbU&feature=plcp>.

(**) «Elsewhere in the Arabian Gulf: A Peaceful Anti-Corruption Protest in Oman,» *Slate* (18 February 2011), <http://www.slate.com/articles/news_and_politics/dispatches/2011/02/elsewhere_in_the_arabian_gulf.html>.

(***) يمكن الاطلاع على القصيدة في: <http://www.youtube.com/watch?v=Bm_AxeWKgpA>.

أسكتت النظمُ في أنحاء الخليج كافة الدعواتِ المُطالِبة بالديمقراطية والحرّية والكرامة بخطاب طائفي واتهام المحتجّين بتنفيذ أجندة أجنبية كي تنزع صفةَ الشرعية عن الحركات الاحتجاجية، وكان لذلك ارتدادات تجاوزت مملكةَ البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت؛ إذْ وصلت إلى الإمارات العربية المتحدّة وقطر وسلطنة عُمان، فضلاً عن سوريا والعراق ولبنان وإيران، عمل الخليجُ الطائفي في الداخل وفي الخارج كقوة تقسيمية وأداة تشريعية للإمارات والممالك الخليجية. أرسلت المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة أكبر مفرزتين إلى البحرين كجزء من قوة درع الجزيرة في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١. ومع أن الدول الخليجية الأخرى، ولا سيما سلطنة عُمان والكويت، تردّدت في البداية، فقد حظيت الخطوة في النهاية بمؤازرة جميع دول مجلس التعاون الخليجي بسبب الضغوط السعودية[١]. صاغت دولُ الخليج الخريفَ العربي وهدفها النهائي يتمثل في بقاء النظم حتى غدت مكوّناً أساسياً في الثورة المضادّة في جميع أنحاء المنطقة. فعلى الصعيد الداخلي، قسّمت الطائفيةُ الحركاتِ الاحتجاجية، وعلى الصعيد الخارجي، خدمت في عزل إيران وتعبئة السنّة في أنحاء المنطقة كافة ضدّ إيران ونظام الأسد في سوريا.

ومع ذلك، زاد انتشار الانتقاد العلني للحكام في جميع المجتمعات العربية، ومع أن الانتقادات تفاوتت بين دولة وأخرى، لكنّ اللغة عابرة للحدود وقد تناقلتها المحطاتُ الفضائية في أنحاء العالم العربي كافة، والصحف ومواقع التواصل الاجتماعي، لكنّ المحتجين وكذلك الأنظمة في الخليج استخدموا هذه الأخيرة خصوصاً، ويمكن القول إن استخدامهم لها فاق استخدام المحتجين في مصر أو تونس أو سوريا؛ فبالنظر إلى الثروة التي تنعم بها المنطقة ومستواها المعيشي المرتفع، يملك كل خليجي تقريباً هاتفاً ذكياً يُمكّنه من الوصول إلى مواقع التواصل الاجتماعي لإذاعة الأخبار، والمناقشات، والبيانات الاحتجاجية. وسواء في المناقشات الجارية

= الترجمة الإنكليزية متاحة في: <http://www.democracynow.org/2012/12/7/qatari_human_rights_official_defends_life>.

(١) مقابلات أجراها المؤلف مع مسؤولين وبرلمانيين في سلطنة عُمان والكويت في شباط/ فبراير وآذار/ مارس ٢٠١٣.

على الإنترنت أم في الشوارع، أصبحت الأسر الحاكمة في المنطقة عرضة للنقد الشعبي، لكنّ النظم الخليجية تتشدّد في قمع المناقشات الجارية على الإنترنت، وصدرت في معظم دول مجلس التعاون الخليجي أحكام بالسجن لمدة سنة منذ عام ٢٠١١ في حقّ أشخاص نشروا، على مواقع التواصل الاجتماعي أو على مواقع إلكترونية أخرى، بياناتٍ اعتُبرت تجديفاً أو مهينة للحكام[٢]، ومع أنّ النظم الخليجية كانت لا تزال في السلطة في سنة ٢٠١٣، فقد تفشّى انتقادها وبدأ عدد من المواطنين بالمطالبة بإقامة ملكيات دستورية أو بإسقاط الأسر الخليجية الحاكمة.

أصبحت الشعارات والكتابات الجدارية المطالبة بإسقاط أو حتى موت أسرة آل خليفة وآل سعود شائعة في البحرين والمملكة العربية السعودية. وفي الكويت، زادت مجاهرة ائتلاف واسع يضمّ ناشطين شباباً وسياسيين قبليين سنّة وسلفيين والإخوان المسلمين بانتقاد أسرة الصباح الحاكمة ووصل به الحدّ إلى التهجّم على الأمير نفسه.

وحتى في عُمان التي يمكن القول إنها محكومة بأشد النظم المطلقة من بين سائر الدول الخليجية، كُسر حظرُ انتقاد السلطان. كانت سلطنة عُمان أول دولة خليجية تشهد مظاهرات شعبية في كانون الثاني/ يناير ٢٠١١، وسرعان ما انتشرت المظاهرات في سائر أرجاء السلطنة بين كانون الثاني/ يناير ونيسان/ أبريل ٢٠١١. سُيّرت مظاهرات ونُظّمت إضرابات في أغلبية المراكز السكانية العُمانية؛ إذ إنها بدأت في بلدة صُحار الصناعية في الشمال ثم انتقلت بسرعة إلى مسقط، فضلاً عن مدينة صور في محافظة ظُفار في الجنوب التي شهدت ثورة في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته[٣].

---

(٢) انظر مثلاً هذه الحالة من الكويت: Mahmoud Harbi, «Kuwait Lengthens Sentence of Man who «Insulted» Emir: Lawyer,» *The Daily Star*, 21/3/2013, <http://www.dailystar.com.lb/News/Middle-East/2013/Mar-21/211026-kuwait-lengthens-sentence-of-man-who-insulted-emir-lawyer.ashx#axzz2mp8h241Y>, and Jane Kinninmont, «To What Extent Is Twitter Changing Gulf Societies?,» Chatham House (February 2012), <http://www.chathamhouse.org/sites/default/files/public/Research/Middle%20East/0213kinninmont.pdf>.

(٣) Ra'id Zuhair Al-Jamali, «Oman, Kind of Not Quiet?,» *Foreign Policy* (7 November 2011), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2011/11/07/kind_of_not_quiet>, and James Worrall, «Oman: The «Forgotten» Corner of the Arab Spring,» *Middle East Policy*, vol. 19, no. 3 (Fall 2012), pp. 98-115.

وقد شهدت صُحار أعنف الاحتجاجات حيث تركّزت مشاريع إنمائية ضخمة حول مرفأ صناعي جديد في السنين الأخيرة. اشتكى الصُّحاريون قلّة الوظائف التي توفرها هذه الصناعات في حين إنّها تلوّث البلدة وتخفّض مستوى المياه الجوفية. وانطلقت شرارة الاحتجاجات في صُحار بعد أن قيل لشباب عاطلين عن العمل إنه لن تتاح لهم فرص عمل في الفرع المحلي لوزارة القوى العاملة[٤].

أضحى دوار الكرة الأرضية المهيب في صُحار في الشارع الرئيس الذي يربط مسقط بدبي جادة لتنظيم المظاهرات، وأُطلق عليه اسم «ميدان الإصلاح»، وهاجم المتظاهرون في صُحار مكتب المحافظ، ومركزاً للشرطة ومتجرَ تسوُّق كبيراً بجوار الميدان[٥]، وعقب مقتل اثنين من المتظاهرين، بدا أنّ السلطان أصدر أوامر تقضي بالسماح للمتظاهرين بالتجمّع من دون مهاجمتهم، وعلى النقيض من المطالب التي رفعها متظاهرو الربيع العربي الآخرون، كان لدى المتظاهرين أجندةٌ إصلاحية التوجّه بدرجة كبيرة، ومطالبات بقدر أكبر من العدالة الاقتصادية، وتحسين مستوى المعيشة، واستئصال الفساد، وإقالة بعض الوزراء، فضلاً عن المطالبة بإصلاحات سياسية ودستورية[٦]. وعلى العكس من حكام البحرين والمملكة العربية السعودية، تجاوب سلطان عُمان مع بعض هذه المطالب في مرحلة مبكرة، وبخاصة التي لا تُدخل تغييرات جوهرية في النظام السياسي. وبناءً على ذلك، أقال عدداً كبيراً من الوزراء، وأعلن استحداث خمسين ألف وظيفة جديدة في القطاع العام، وزاد الحدّ الأدنى للأجور. كما وسّع سلطات مجلس الشورى، وأجريت انتخابات جديدة

---

(٤) مقابلة أجراها المؤلف مع أحد المحتجين في صُحار في سلطنة عُمان في شباط/ فبراير ٢٠١٣.

(٥) Marc Valeri, «The Qaboos-State under the Test of the «Omani Spring»: Are the Regime's Answers up to Expectationsions?,» Les Dossiers du CERI, *Sciences Po* (Paris) (2011), <http://www.sciencespo.fr/ceri/sites/sciencespo.fr.ceri/files/art_mv. pdf>, and «Oman Protests Spread, Road to Port Blocked,» Reuters, 28 February 2011, <http://www.reuters.com/article/2011/02/28/us-oman-protests-idUSTRE71QoU420110228>.

(٦) Said Sultan al Hashimi, «The Omani Spring: Towards the Break of a New Dawn,» Arab Reform Initiative (November 2011), <http://www.arab-reform.net/omani-spring-towards-break-new-dawn>.

في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١ فاز فيها عدد من قادة الاحتجاجات واستجاب المجلس بالفعل لبعض مطالب المحتجّين(٧). وبذلك أرضى السلطان مؤقتاً العمال والعاطلين عن العمل الذين شكّلوا العناصر الرئيسة في الاحتجاجات. وبعد أن طال مكوث هؤلاء في منازلهم، وبعد أن عاد المثقفون المقيمون في المراكز الحضرية أساساً إلى شوارع الاحتجاجات في صُحار ومسقط وظُفار، قمعت القوى الأمنية واعتقلت الأشخاص الذين طالبوا بإصلاحات سياسية جوهرية(٨). وبالتالي قوّضت الأعمالُ التي لجأت إليها الحكومة ائتلافاً من العمّال والمثقفين كان يسيّر الاحتجاجات، ومع أنها أخفقت في التحوّل إلى ثورة مستمرّة، فإنّ التحدّي القوي للنظام السياسي والنزول إلى الشارع للتعبير عن الآراء السياسية والمجاهرة بمطالب شعبية قوّض سلطة النظام السياسي وشرعيته واستطراداً هدّد شرعية السلطان نفسه(٩).

بيد أن الحكومة العُمانية لم تلجأ إلى ذلك النوع من الخطاب الطائفي الذي اعتُمد في البحرين والمملكة العربية السعودية لزرع الشقاق في صفوف المحتجّين. ويبدو أنّ الحكومة رأت مصلحة بلا شك في التقليل من المناقشات المتصلة بالانقسامات الطائفية والإثنية كي لا تخلّ بالتوازن الطائفي الدقيق في البلاد. إن السلطان قابوس إباضيّ وليس مسلماً سنّياً. الإباضية طائفة منفردة ومنفصلة عن المذاهب السنّية والشيعية، والإباضيون يشكلون نصف عدد السكان على الأقل في سلطنة عُمان، وأغلبية الباقين سنّة مع وجود نسبة ضئيلة من الشيعة(١٠). وفي ما عدا دور الإباضية في عُمان، يحتلّ رجال الأعمال الشيعة والهندوس مكانة مرموقة جداً في السياسة وفي الاقتصاد العُماني، ومن هؤلاء طائفة الشيعة الذين أصلهم من

---

(٧) مقابلة أجراها المؤلف مع عضو في مجلس الشورى في شباط/ فبراير ٢٠١٣.

(٨) مقابلات أجراها المؤلف مع ناشطين في صُحار ومسقط بسلطنة عُمان في شباط/ فبراير ٢٠١٣.

(٩) Marc Valeri, «“Qaboos Can Make Mistakes Like Anybody Else”: The Sultan of Oman De-Sacralized,» Jadaliyya (18 November 2012), <http://www.jadaliyya.com/pages/index/8430/%E2%80%9Cqaboos-can-make-mistakes-like-anybody-else_-the-s>.

(١٠) للاطلاع على وصف للتكوين المبكر للإباضية، انظر: John C. Wilkinson, *Ibadism: Origins and Early Development in Oman* (Oxford: Oxford University Press, 2010).

الهند، واللَّواتية[١١] الذين تقلّدوا في السابق عدداً من المناصب الوزارية الأساسية، وأبرز مثال على هؤلاء وزير التجارة والصناعة الذي خدم طويلاً مقبول بن علي بن سلطان. وكانت احتجاجات سنة ٢٠١١ موجَّهة أساساً ضدّ أقلية حاكمة اعتُبرت فاسدة وأنها تقود البلاد بطريقة خاطئة، كما كان لبعض شعارات المحتجّين معانٍ طائفية خفية تُلمح إلى أن الأقلّيات، أي الشيعة، يتحكمون بالدولة واقتصادها[١٢]، لكن كان للتداعيات الطائفية للثورة في البحرين ارتدادات على سلطنة عُمان، وتعاطفت الأقلّيتان الاثنا عشريتان الرئيسيتان في عُمان، اللواتية والبحارنة، وهم شيعة أصلهم من البحرين، مع الثورة البحرينية في البداية، فنظّموا مظاهرات صغيرة قبالة السفارة البحرينية في مسقط، ولا سيما بعد أن بدأ القمع في البحرين في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١[١٣].

وتجاوباً مع الاحتجاجات المطالبة بالإصلاح في عُمان، أقنع أعيانُ الشيعة كِلتا المجموعتين الشيعيتين بإظهار تضامنها وعقد مهرجانات دعماً للسلطان[١٤]، لكنّ الاحتجاجات اندلعت أساساً في مناطق المواطنين السنّة، وكذلك في العاصمة وإن غابت عن مركز الإباضيين في محيط نِزوى والمناطق الداخلية في السلطنة. ومع ذلك، شارك عدد من الإباضيين في الاحتجاجات في مسقط، كما يُعزى غياب الاحتجاجات في المناطق الداخلية إلى صدمة تاريخية سببها حرب خمسينيات القرن الماضي التي قضت على استقلال الإمامية هناك، أي الدولة الإباضية، وهي بمثابة تذكير بأن

---

(١١) نزح أغلبية اللواتيين من الهند بين أواسط القرن الثامن عشر وأواخر القرن التاسع عشر. مقابلات أجراها المؤلف مع لواتيين في مسقط بسلطنة عُمان في شباط/ فبراير ٢٠١٣. انظر: Marc Valeri, «High Visibility, Low Profile: The Shi'a in Oman under Sultan Qaboos,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 42, no. 2 (2010), pp. 251-268, esp. pp. 259ff and 263f.

(١٢) طالب المحتجون في مطلع عام ٢٠١١ بإقالة مقبول بن علي بن سلطان بعد أن اتهموه بالفساد، وأقيل في أواخر شباط/ فبراير ٢٠١١ ليصبح وزيراً للنقل والمواصلات. وأقيل من منصبه الجديد أيضاً بعد أسبوع واحد فقط ولم يُعهَد إليه بأي منصب رسمي آخر. مارك فاليري، مراسلات إلكترونية مع المؤلف في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣. انظر أيضاً: Sunil K. Vaidya, «Sultan Qaboos Reshuffles Oman Cabinet,» *Gulf News*, 26/2/2011, <http://gulfnews.com/news/gulf/oman/sultan-qaboos-reshuffles-oman-cabinet-1.768277>.

(١٣) «Omani's Staged Protest to Condemn Killing of Oppressed Bahraini's,» YouTube, 19 March 2011, <http://www.youtube.com/watch?v=3xHVeVlWfbU&feature=plcp>.

(١٤) مقابلة أجراها المؤلف مع مفكر شيعي عُماني في لندن في سنة ٢٠١٢.

سلاطنة مسقط لن يتورّعوا عن اللجوء إلى العنف إذا واجهوا تحدّيات(١٥).

وبالتالي، إذا فقدت الحركة الاحتجاجية كثيراً من بريقها في أواسط سنة ٢٠١١، فإن مشاعر السخط لم تخمد في عُمان، ويظهر أنه أريد من عدد من الإجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الحكومة استرضاء السكان على المدى القصير عوضاً عن حلّ المشكلات الاقتصادية والسياسية الأساسية التي ولّدت الاحتجاجات، وهذا ما تجلّى في إضراب العمال في قطاع النفط في أيار/ مايو وحزيران/ يونيو ٢٠١٢. اعتُقل ثلاثة مدوّنين توجّهوا إلى حقول النفط لتغطية الإضراب. واحتجاجاً على اعتقالهم، تظاهر بضعة عشرات في مسقط واعتُقلوا هم أيضاً وقُدّموا إلى المحاكمة وفي آخر الأمر، صدرت في حقّ أغلبيتهم أحكام بالسجن سنة واحدة. ومن هؤلاء المعتقلين شخصيات أساسية قَادَت من قِبل الحركة الاحتجاجية في سنة ٢٠١١، منهم سعيد بن سلطان الهاشمي(١٦) الذي كان قد انتهى للتوّ من تحرير كتاب **الربيع العُماني**(١٧) الذي ساهم فيه مؤلفون عُمانيون معروفون وأكاديميون وناشطون.

ومع أنّه صدر عفو عن هؤلاء الناشطين في آذار/ مارس ٢٠١٣ بعد إضراب عن الطعام احتجاجاً على إجراءات محاكمتهم، أحدث سجنُهم التأثير المنشود بإشاعة مناخ خوف في عُمان حيث يمكن أن يواجه كل من ينتقد الحكومة، ولا سيما السلطان، عواقب وخيمة(١٨). كما استلهمت

---

(١٥) Marc Valeri, «Identity Politics and Nation-Building under Sultan Qaboos,» in: Lawrence G. Potter, ed., *Sectarian Politics in the Persian Gulf* (London: C. Hurst and Co. Publishers Ltd., 2014).

(١٦) Joseph Logan, «Oman Protests Suggest Jobs, Reform Pledges Fall Short,» Reuters, 4 July 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/07/04/us-oman-crackdown-idUSBRE8630K120120704>; Sami Aboudi, «Oman Detains Poet, Blogger Amid Growing Discontent,» Reuters, 9 June 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/06/09/us-oman-arrests-idUSBRE8580DF20120609>, and Human Rights Watch, «Oman: Assault on Freedom of Speech,» 13 June 2012, <http://www.hrw.org/news/2012/06/13/oman-assault-freedom-speech>.

(١٧) سعيد سلطان الهاشمي، محرر، **الربيع العُماني: قراءة في السياقات والدلالات** (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣).

(١٨) «Oman Ruler Pardons Jailed Dissidents,» aljazeera.com, 23 March 2013, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2013/03/201332363737987137.html>.

يجادل أحد المؤلفين بأن فكرة أن الخوف يهيمن على المجتمع وعلى المشهد السياسي العُماني طوال عقود بدّدته مؤقتاً الاحتجاجات في مطلع العام ٢٠١١. انظر: Khalid M. Al-Azri, *Social and* =

الحكومة العُمانية من هدم تمثال اللؤلؤة في البحرين فسوّت دوار الكرة الأرضية، شارع الاحتجاجات في صُحار، بالأرض. ولمسح ذكرى الاحتجاجات التي نُظّمت هناك، شُيّد جسر عريض فوق دوار اللؤلؤة، فيما عُدّل عدد من المباني المجاورة لإعادة هندسة المكان بشكل كامل(١٩).

ومع أن دولة الإمارات العربية المتحدة لم تشهد مظاهرات في الشوارع، فقد جرى التداول لعرائض تطالب بإصلاحات سياسية هناك في سنة ٢٠١١، وردّت الدولة بحملة قمع طالت ناشطين سياسيين وحقوقيين، فضلاً عن توزيع منح وزيادة رواتب الموظفين الحكوميين(٢٠). وفي هذا الصدد، وُزّعت عريضة وقّعها ١٣٢ إماراتياً في ٣ آذار/ مارس ٢٠١١ طالبوا فيها ببرلمان يُنتخَب جميع أعضائه والانتقال إلى ملكية دستورية(٢١). تلا ذلك اعتقال خمسة من الموقّعين، عُرفوا باسم الإماراتيين الخمسة، وكان بعضهم قد أدار منتدى مناقشة إماراتياً على الإنترنت خدم في سنتي ٢٠٠٩ و٢٠١٠ كمنبر التفّ على القيود الشديدة التي فرضتها دولة الإمارات على وسائل الإعلام وعلى حرّية التعبير، وتفشّى فيه انتقاد السياسات الحكومية والأسر الحاكمة(٢٢). كما استهدفت حملة القمع في

= *Gender Inequality in Oman: The Power of Religious and Political Tradition* (Abingdon, UK: Routledge, 2013), pp. xv-xviii and 141 ff.

(١٩) ملاحظات شخصية للمؤلف، صُحار في شباط/ فبراير ٢٠١٣.

(٢٠) Christopher M. Davidson, «The United Arab Emirates: Frontiers of the Arab Spring,» Open Democracy (8 September 2012), <http://www.opendemocracy.net/christopher-m-davidson/united-arab-emirates-frontiers-of-arab-spring>, and Ingo Forstenlechner, Emilie Rutledge, and Rashed Salem Alnuaimi, «The UAE, the «Arab Spring» and Different Types of Dissent,» *Middle East Policy*, vol. 19, no. 4 (Winter 2012), pp. 54-67.

(٢١) «إماراتيون يرفعون رسالة لحكام الإمارات تطالب بإصلاح كلي للنظام البرلماني،» <http://www.ipetitions.com/petition/uaepetition71>.

(٢٢) للاطلاع على تفاصيل عن عمليات الاعتقال، انظر: Human Rights Watch, «UAE: Trial Observer Finds Due Process Flaws in «UAE5» Case,» 3 November 2011, <http://www.hrw.org/news/2011/11/03/uae-trial-observer-finds-due-process-flaws-uae-5-case>.

انظر أيضاً: Emirates Centre for Human Rights, <http://www.echr.org.uk>.

كان المنتدى بعنوان: <http://www.uaehewar.net>، لكنّه أُغلق.

انظر أيضاً: Christopher Davidson, «The Strange Case of the UAE's wwwuaehewar.net,» Current Intelligence, 15 November 2010, <http://www.currentintelligence.net/gulfstream/2010/11/15/the-strange-case-of-the-uaes-wwwuaehewarnet.html>.

دولة الإمارات المواطنين المتعاطفين مع الإخوان المسلمين، في إشارة إلى شدّة ارتياب حكام الإمارات من إمكانية أن تستلهم الفروعُ الخليجية للإخوان المسلمين من نظرائها المصرية والتونسية والسورية وتطالب بمزيد من السلطات السياسية. استهدفت حملةُ القمع على الخصوص «جمعية الإصلاح والإرشاد الاجتماعي»، وهي حركة إسلامية أُسست في سبعينيات القرن الماضي، فاعتُقل بعض قادتها، فيما جُرّد آخرون من جنسياتهم(٢٣). بلغ عدد المعتقلين أربعة وتسعين معتقلاً بحلول نيسان/ أبريل ٢٠١٣، وكان فيهم ناشطون حقوقيون وأكاديميون معروفون. وأُبقي المراقبون بعيداً عن محاكمة الأشخاص الذين اتُّهموا بالقيام بأعمال تخريبية بإيعاز من الإخوان المسلمين(٢٤).

ترجع أصول عدد من الناشطين السياسيين المعتَقلين إلى الإمارات الشمالية الفقيرة، مثل: إمارة رأس الخيمة والشارقة وعجمان وأم القيوين؛ حيث يشتكي السكان من تردّي الخدمات العامة والبنية التحتية مقارنة بإمارتي دُبي وأبو ظبي الساحرتين. وأصبح ضاحي خلفان، بآرائه وبياناته الصريحة للغاية، لسان حال الحملة المناهضة للإخوان المسلمين في الخليج(٢٥). ويزعم الناشطون المنتسبون إلى الإخوان المسلمين في

---

(٢٣) منصور النقيدان، «الإخوان المسلمون في الإمارات: التمدّد والانحسار،» في: **الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج** (دبي: مركز المسبار للدراسات البحوث، ٢٠١٠)، ص ٥٥-١٠٥، و Hassan Hassan, «In the Gulf, Allegiance Is the Issue for Muslim Brotherhood,» *The National* (30 January 2012), <http://www.thenational.ae/thenationalconversation/comment/in-the-gulf-allegiance-is-the-issue-for-muslim-brotherhood>; Ali Rashid al-Noaimi, «Setting the Record Straight on Al-Islah in the UAE,» *Al-Monitor* (15 October 2012), <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2012/al-monitor/uae-setting-the-record-straight.html>.

انظر الموقع الإلكتروني للجماعة: <http://www.aleslaah.net>, and <http://uaeseven-en blogspot.co.uk>.

انظر أيضاً حساب «حزب الأمة الإماراتي» المنبثق عن الإصلاح على تويتر: @emiratesop، لكن يجادل بعضهم بأن هؤلاء الناشطين السياسيين يتمتعون بشعبية محدودة للغاية في الإمارات العربية المتحدة. انظر: Sultan Al Qassemi, «UAE Security Crackdown: A View from the Emirates,» *Al-Monitor* (18 July 2012), <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2012/al-monitor/the-uae-security-crackdown-a-vie.html>.

(٢٤) «Rights Groups Urge Public Access to UAE Dissidents' Trial,» Reuters, 3 April 2013, <http://in.reuters.com/article/2013/04/03/emirates-trial-rights-idINL5NoCQ22G20130403>.

(٢٥) «Muslim Brotherhood Sows Subversion in Gulf-Dubai Police Chief,» Reuters, 3 April =

المنطقة بأن الموقف الإماراتي المناوئ للإخوان المسلمين متأثر أيضاً بالعلاقة الوثيقة بين دولة الإمارات العربية المتحدة وبعض أركان نظام الرئيس المصري السابق حسني مبارك[٢٦]، وأبرز مثال على ذلك رئيس الوزراء المصري السابق أحمد شفيق الذي توجّه إلى المنفى في دولة الإمارات عقب خسارته الانتخابات الرئاسية أمام محمد مرسي في سنة ٢٠١٢ هرباً من تهم فساد وُجّهت إليه في مصر[٢٧].

وعلى الصعيد الاقتصادي، انتفعت دولتا الإمارات وقطر من زيادة أعداد السياح السعوديين الذين تحاشوا الذهاب إلى البحرين، ومن تدفّق رجال الأعمال الذين نقلوا بعض موظفيهم من البحرين إلى دبي وأبو ظبي والدوحة[٢٨]. بل إن محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس وزراء دولة الإمارات وحاكم إمارة دبي حدّد مقدار الأموال التي هربت من الدول العربية التي شهدت ثورات إلى الإمارات العربية المتحدة فقال: «حصلنا على ٣٠ مليار درهم تقريباً من الربيع العربي»[٢٩]. ومع اقتران ذلك بارتفاع أسعار النفط بشكل صاروخي، نجد أن ذلك أدى إلى طفرة اقتصادية من نوع جديد في دولة الإمارات وفي قطر وإن طغت عليها الأزمة المالية العالمية[٣٠].

2013, <http://uk.reuters.com/article/2013/04/03/uk-emirates-islamists-police-idUKBRE9320G8 = 20130403>.

لمعرفة المزيد عن روابط الإمارات العربية المتحدة بمصر وحملة القمع في دولة الإمارات، انظر: Christopher Davidson, *After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies* (London: Hurst and Company, 2012), pp. 202-204 and 220-226.

(٢٦) مقابلات أجراها المؤلف مع ناشطين من الإخوان المسلمين في الكويت في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢.

(٢٧) «Abou Hamed Flies to Dubai to Discuss New Party with Shafiq,» *Al-Masry Al-Youm*, 20/9/2012, <http://www.egyptindependent.com/news/abou-hamed-flies-dubai-discuss-new-party-shafiq>.

(٢٨) مقابلة أجراها المؤلف مع خبراء اقتصاديين بحرينيين في المنامة في أيار/مايو ٢٠١١.

(٢٩) الثلاثون مليار درهم تعادل نحو ٨,٢ مليار دولار. انظر: «Arab Spring Fund Flows to UAE Exceed $8 Billion: PM,» Reuters, 11 February 2013, <http://finance.yahoo.com/news/arab-spring-fund -Hows-uae-130202750.html>.

(٣٠) أعلنت دول مجلس التعاون الخليجي كافة تسجيل فائض في الموازنة في سنة ٢٠١١ بسبب أسعار النفط المرتفعة. انظر: «Robust Growth Projected for GCC,» *Arab News*, 24/6/2012, <http://www.arabnews.com/economy/robust-growth -projected-gcc>.

أضحت قناة الجزيرة الرئيسة وقناتا الجزيرة الخاصتان اللتان تركزان على احتجاجات الربيع العربي، أدوات رئيسة للتحريض على الاحتجاجات، ولا سيما تلك التي أدّت إلى إسقاط مبارك في مطلع سنة ٢٠١١. جاء ذلك مناقضاً للموقف السعودي ولتغطية قناة العربية التي يملكها سعوديون، ورأت قطر في الربيع العربي فرصة لتأكيد دورها القيادي في العالم العربي(٣١)؛ ففي سنة ٢٠١١، ساندت دولةُ قطر الثوار الليبيين في مرحلة مبكرة، على الصعيدين اللوجستي والعسكري، جاعلة الدوحة مركزاً دبلوماسياً رئيساً جديداً، وبإرسال قطر والإمارات العربية المتحدة طائرات مقاتلة، تكونان الدولتين العربيتين الوحيدتين اللتين شاركتا رسمياً في تدخّل حلف الناتو في ليبيا. كما أرسلت قطر قوات خاصة للقتال إلى جانب الثوار الليبيين(٣٢).

ساندت قطر جميع الحركات الاحتجاجية العربية، عدا الحركة التي نشطت في الدول الخليجية، وسعت إلى مؤازرة الحركات الإسلامية التي تقيم روابط مع الإخوان المسلمين وكذلك مع السلفيين أحياناً؛ لذلك، ذاع صيت قطر في أوساط الإسلاميين في المنطقة، فيما شكّكت القوى الأكثر ميلاً إلى العلمانية في الدوافع القطرية(٣٣).

لكنّ الاحتجاجات التي شهدتها مملكة البحرين، وإمكانية فقدان الأسرة الحاكمة سيطرتها واكتساب الشيعة مزيداً من السلطات السياسية هناك، صدمت الأسرة القطرية الحاكمة، فساندت قطر التدخل الذي قاده مجلس التعاون الخليجي في البحرين وأرسلت مفرزة عسكرية رمزية إلى هناك(٣٤). وعلى ما يبدو، أصبح الشيخ يوسف القرضاوي، وهو عالم

---

(٣١) بطريقة مشابهة، توسّطت قطر طوال سنين في عدد من النزاعات الإقليمية، كما في لبنان. انظر: Sultan Barakat, «The Qatari Spring: Qatar's Emerging Role in Peacemaking,» (London School of Economics, Kuwait Research Programme) (July 2012), <http://www2.lse.ac.uk.government/research/resgroups/kuwait/research/papers/qatar.asp>.

(٣٢) Kristian Coates Ulrichsen, «Small States with a Big Role: Qatar and the United Arab Emirates in the Wake of the Arab Spring,» *HH Sheikh Nasser al-Mohammad Al-Sabah Publication Series* (Durham University), no. 3 (October 2012), pp. 12-18, <http://www.dur.ac.uk/alsabah/publications/ insights/no3ulrichsen>.

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) Guido Steinberg, «Qatar and the Arab Spring: Support for Islamists and New Anti- =

مصري منتمٍ إلى الإخوان المسلمين ومقيم في قطر، أشهر عالم إسلامي في العالم العربي من خلال برنامجه التلفزيوني الذي يُعرض على قناة الجزيرة، ومع أنه ساند بقوة جميع الثورات العربية خارج الخليج، فقد وصف الاحتجاجات في الخليج بأنها «طائفية»[(٣٥)].

لكنّ قطر نفسها تواجه توتّرات اجتماعية ومطالبات محلية بإصلاح سياسي[(٣٦)]، ومن ذلك أنّ جماعة من القطريين يرئسها ناشط سياسي قديم وبعثي سابق هو علي الكَوّاري تعقد لقاءات سياسية شهرية في قطر منذ آذار/ مارس ٢٠١١ وقد نشرت كتاباً بعنوان: **الشعب يريد الإصلاح في قطر... أيضاً**، طالب علي وجماعته في هذا الكتاب بإصلاحات سياسية جوهرية في قطر[(٣٧)]، بل إن محمد آل ثاني، وهو أحد أفراد الأسرة الحاكمة ووزير الاقتصاد والتجارة سابقاً (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٦) نشر كتاباً دعا فيه إلى إصلاح سياسي تدريجي في الخليج تُطلق النخبُ المستنيرة عجلتَه لمنع وقوع احتجاجات على نمط احتجاجات الربيع العربي تفرض التغيير على منطقة الخليج[(٣٨)]. وقد أعرب المواطنون في الدول الخليجية الصغيرة بخاصة، مثل: قطر والإمارات العربية المتحدة عن انزعاجهم

Syrian Policy,» *SWP Comments 20121C 07* (February 2012), <http://www.swp-berlin.org/en/publications/swp -comments-en/swp-aktuelle-details/article/qatar_and_the_arab_ spring.html>, and Hugh Eakin, «The Strange Power of Qatar,» *New York Review of Books* (27 October 2011), <http://www.nybooks.com/articles/archives/2011/oct/27strange-power-qatar>.

(٣٥) «لا توجد ثورة شعب فى البحرين بل ثورة طائفية وإن ما يحصل فى البحرين ليس كما حصل فى مصر وتونس وليبيا وإن ما حدث هو استقواء بالخارج وليست مطالب شعب بأكمله»، انظر: «Qaradawi Says Bahrain's Revolution Sectarian,» Al Arabiya News, 19 March 2011, <http://www.alarabiya.net/articles/2011/03/19/142205.html>.

(٣٦) زُعم أن مجموعة من الإسلاميين تقدّمت بالتماس إلى الأمير في سنة ٢٠١١ لإدخال إصلاحات، لكن لم يتم الإعلان عن هذه الالتماسات. انظر: Jane Kinninmont, «Qatar's Delicate Balancing Act,» BBC, 16 January 2013, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-21029018>.

(٣٧) علي خليفة الكواري، **الشعب يريد الإصلاح في قطر... أيضاً** (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٢)، و Abdel Fattah Madi, «Qatari Activists Publish Blueprint for Reform,» *Al-Monitor* (13 October 2012, <http://www.al-monitor.com/pulse/politics/2012/10/how-to-call-for-reform-in-qatar.html>.

(٣٨) Mohamed A. J. Althani, *The Arab Spring and the Gulf States: Time to Embrace Change* (London: Profile Books, 2012).

من النسبة العالية للوافدين ومن أسلوب الحياة الغربي الذي يهيمن على المدن[٣٩].

برهنت قطر أيضاً أنّها ستقمع مظاهر النقد في الداخل. وعلى سبيل المثال، حُكم على الشاعر القطري محمد بن الذيب العجمي بالسجن المؤبَّد في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ لقصيدة مدح فيها مُثُل الربيع العربي وانتقد فيها ضمناً حكام الخليج بقوله: «كلنا تونس بوجه النخبة القمعية»[٤٠]، كانت الرسالة واضحة للقَطريين الآخرين. لكن في غمرة المطالبات بإصلاح سياسي في الداخل، أعلنت قطر عزمها على إجراء انتخابات جزئية لمجلس الشورى من غير تحديد موعد لها أو تحديد إن كان المجلس سيتمتّع بسلطات تشريعية[٤١].

غداة اندلاع احتجاجات ضخمة في البحرين في ربيع عام ٢٠١١، وتشكّلِ حركات احتجاجية صغيرة في المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان والكويت، اعتمدت دول مجلس التعاون الخليجي استراتيجية مشتركة للتعامل مع الربيع العربي خارج حدودها ومع الاحتجاجات داخلها وبموجبها يمكن مؤازرة الاحتجاجات في الدول العربية الأخرى إذا كانت تخدم المصالح الجيوسياسية، مع عدم التسامح بالمطلق مع احتجاجات أو مطالبات بالإصلاح في الداخل؛ حيث الأولوية القصوى تظلّ للاستقرار والأمن، لكن في ما عدا الحسّ العام بوجوب عدم خسارة أيّ أسرة حاكمة السلطة في مجلس التعاون الخليجي، سادت خلافات بشأن كيفية تحقيق ذلك.

إن اعتماد دول مجلس التعاون الخليجي كافة منطق الخليج الطائفي، لا يعني بالضرورة أنها جميعاً تنشد مواجهة إيران. وفي الواقع، هناك نقاط

---

(٣٩) مقابلات أجراها المؤلف مع محلّلين سياسيين في الإمارات العربية المتحدة وفي قطر، شباط/ فبراير ٢٠١٣، و Justin Gengler, «The Political Costs of Qatar's Western Orientation,» *Middle East Policy*, vol. 19, no. 4 (Winter 2012), pp. 68-76.

(٤٠) «Qatari Poet Jailed for Life after Writing Verse Inspired by Arab Spring,» *Guardian*, 29/11/2012, <http://www.guardian.co.uk/world/2012/nov/29/qatari-poet-jailed-arab-spring>.

(٤١) «Qatar to Hold First National Election,» *Guardian*, 1/11/2011, <http://www.guardian.co.uk/world/2011/nov/01/qatar-to-hold-first-national-election>.

اختلاف كثيرة بشأن السياسة الخارجية تجاه هذا البلد(٤٢). مثال ذلك، تتقاسم سلطنة عُمان مضيق هرمز مع إيران، وهذا سبب رئيس لاستمرار علاقاتها الطيبة معها بعد الثورة الإيرانية(٤٣). وسعت قطر أيضاً إلى المحافظة على علاقات إيجابية مع إيران، وذلك عائد بدرجة كبيرة إلى كون إيران وقطر تتقاسمان «حقل غاز الشمال» في قطر وحقل «فارس الجنوبي» في إيران، وهو أكبر حقل للغاز الطبيعي في العالم. لكنّ الموقف القطري العدائي في المسألة السورية عرّض هذا الحلف للخطر(٤٤). وإضافة إلى ذلك، هناك إمارات تعتمد على التجارة مع إيران ولذلك فهي عرضة لتأثير العقوبات التي عملت الولايات المتحدة جاهدة على فرضها على إيران في السنين الماضية(٤٥).

ومع ذلك تكاد تكون ردود النظم في مختلف أنحاء الخليج متطابقة، ففي الداخل، لِيم العملاءُ الأجانب على الاحتجاجات، وهي إشارة عموماً إلى إيران أو إلى الإخوان المسلمين. كما إن عزو الاحتجاجات إلى إيحاء خارجي اتهامٌ استخدمته سلطنة عُمان أيضاً، لكنّ الحديث عن دعم أجنبي هناك يشير إلى دعم إماراتي مزعوم، علماً بأن السلطات العُمانية أعلنت الكشف عن حلقة تجسّس إماراتية اخترقت الدائرة المقرّبة من السلطان قابوس في كانون الثاني/ يناير ٢٠١١(٤٦).

---

(٤٢) للاطلاع على مراجعة حديثة، انظر: Davidson, *After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies*, pp. 169-175.

(٤٣) مقابلة مع سفير عُماني سابق لدى إيران، في مسقط في شباط/ فبراير ٢٠١٣، و Asghar Jafari-Valdani, «The Geopolitics of the Strait of Hormuz and the Iran-Oman Relations,» *Iranian Review of Foreign Affairs*, vol. 2, no. 4 (Winter 2012), pp. 7-40.

(٤٤) Steinberg, «Qatar and the Arab Spring: Support for Islamists and New Anti-Syrian Policy,» p. 5 f.

(٤٥) Karim Sadjadpour, «The Battle of Dubai: The United Arab Emirates and the U.S.-Iran Cold War,» Carnegie Endowment for International Peace, 27 July 2011, <http://carnegieendowment.org/2011/07/27/battle-of-dubai-united-arab-emirates-and-u.s.-iran -cold-war/8kiw>.

(٤٦) «Oman Uncovers «Spy Network» but UAE Denies Any Links,» BBC, 31 January 2011, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle -east-12320859>, and «How the Arab Spring Skirted Oman,» *Hungton Post*, 13/12/2011, <http://www.huffingtonpost.com/sigurd-neubauer/oman-arab-sprin_b_1144473.html>.

ثم أصبحت دول الخليج لاعباً أساسياً في كيفية تطوّر الربيع العربي، وانتهزت الفرص التي أتاحتها لها الفوضى السياسية في الدول العربية الأخرى. وكما كانت الحال إبّان الحرب الباردة بين الدول المحافظة والدول الثورية في خمسينيات القرن الماضي، أضحى الشرق الأوسط بعد عام ٢٠١١ حلبة «للوساطات المتنافسة» من دول «طامحة إلى أن تكون قوى إقليمية» تحاول التأثير في الحياة العامة في العالم العربي[٤٧].

ساندت دول عديدة في مجلس التعاون الخليجي الإسلاميين السنّة في تونس وليبيا ومصر وسوريا في سياق محاولة اجتياز الربيع العربي خارج حدود المجلس. وُجّه الدعم إلى الجماعات السلفية أساساً، فيما ساندت قطرُ الإخوان المسلمين في المقام الأول. لكن إمكانية أن تصبح دولةٌ يهيمن عليها الإخوان المسلمون نموذجاً لدولة إسلامية سنّية منافسة أرّقت المملكةَ العربية السعودية، ولذلك سعت إلى مساندة الجماعات السلفية الأقرب إلى عقيدتها الوهّابية[٤٨]. كما اعتبرت دول خليجية عديدة انتخاب مرشح الإخوان المسلمين رئيساً لمصر مثار إشكاليات لخوفها من فروع الإخوان المسلمين في الخليج[٤٩].

توجّه الرئيس مرسي في أول زيارة خارجية له إلى المملكة العربية السعودية؛ حيث اجتمع بالملك عبد الله في تموز/ يوليو ٢٠١٢[٥٠]. ارتأت المملكة أنه خير لها التحاور معه كي لا تضطره إلى التقرّب إلى إيران أو

---

(٤٧) Marc Lynch, *The Arab Uprising: The Unnished Revolutions of the New Middle East* (New York: PublicAffairs, 2012), pp. 17ff, and 29-42.

(٤٨) Madawi al-Rasheed, «Saudi Arabia: Local and Regional Challenges,» *Contemporary Arab Affairs*, vol. 6, no. 1 (2013), pp. 28-40.

(٤٩) للاطلاع على معلومات أساسية عن الإخوان المسلمين، انظر: Stéphane Lacroix: *Awakening Islam: The Politics of Religious Dissent in Contemporary Saudi Arabia* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2011), and «Osama bin Laden and the Saudi Muslim Brotherhood,» *Foreign Policy* (3 October 2012), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2012/10/03/osama_bin_laden_and_ the_saudi_muslim_brotherhood>.

(٥٠) Dina Ezzat, «Destination Riyadh: President Mohamed Mursi's First Foreign Trip is to Saudi Arabia,» *Al-Ahram Weekly* (12 July 2011), <http://weekly.ahram.org.eg/2011/1106/eg1.htm>.

إلى الجماعات الفتية الثورية التي لا تستسيغها المملكة. لا ريب أنه نُظّمت اعتصامات متكرّرة طوال مرحلة الثورة في مصر قبالة السفارة السعودية للاحتجاج على النظام السعودي وعلى مساندة القوى المضادّة للثورة في المنطقة(٥١). ضمِن هذا الضغطُ الخليجي عدم مبالغة الرئيس المصري المنتخَب حديثاً في التقرّب إلى الإيرانيين. وكان مرسي أول رئيس مصري يزور إيران منذ الثورة الإيرانية -لحضور قمّة دول عدم الانحياز، لكنه حين ألقى خطاباً في طهران في ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠١٢، تخاصم مع الإيرانيين بشأن الثورة السورية لأنّه اعتبرها جزءاً من الربيع العربي. وبذلك ناقض الخطابَ الرسمي للإيرانيين الذين ساندوا الاحتجاجات في البحرين وليس في حليفتهم سوريا، بل إن قناة تلفزيونية إيرانية أبدلت كلمة سوريا بكلمة البحرين في الترجمة الفارسية لخطاب مرسي الذي أثنى فيه على كفاح «الشعب السوري» من أجل العدالة، ما أثار جلبة في الإعلام العربي وشكوى دبلوماسية تقدمت بها المنامة(٥٢).

كان للثورة في سوريا بعد ثورة البحرين في مطلع سنة ٢٠١١ الوقْع الأعظم على العلاقات الطائفية في الخليج وفي الشرق الأوسط ككلّ. لا ريب في أن سوريا أصبحت صورة منعكسة (Mirror Image) للثورة البحرينية حيث وجد السنّة في الخليج وسيلة لمؤازرة ثورة في الخارج مع الامتناع عن الدعوة إلى إشعال ثورة في الداخل. وهذا بالطبع جزء من استراتيجيات محسوبة اعتمدتها النظم الخليجية في الردّ على الربيع العربي، لكنها اكتسبت زخماً تجاوز التلاعب الحكومي الصارخ، وأضحت وسيلة للشباب الخليجيين والسلفيين والإخوان المسلمين لمواكبة الخطاب الثوري.

---

(٥١) تجمّع محتجون خارج مبنى السفارة السعودية في القاهرة في نيسان/ أبريل ٢٠١٢ مطالبين بإطلاق سراح محام مصري اعتُقل في المملكة العربية السعودية وشاجبين المعاملة السيئة التي يلقاها الزوار والمغتربون المصريون في المملكة. ونتيجة لذلك، أُغلقت السفارة مؤقتاً واستُدعي السفير، لكنه عاد إلى القاهرة بعد أسبوع. انظر: «Egyptian Protests Over Detained Lawyer Shin Saudi Embassy,» BBC, 28 April 2012, www.bbc.co.uk/news/world -rniddle-east-17881733 >.

(٥٢) «Misleading Translation or Height of Stupidity?,» *Saudi Gazette* (3 September 2012, < http://www.saudigazette.com.sa/index.cfm?method = home.regcon&contentid = 20120903134833 >.

بل إنّ الشيخ سلمان العودة، وهو قائد سابق للصحوة، وهي حركة المعارضة الإسلامية السعودية التي برزت بعد حرب الخليج في سنة ١٩٩٠ ـ ١٩٩١، وأحد أشدّ المنتقدين الإسلاميين السنّة للحكومة السعودية، جادل بأن الحكومة السعودية استغلّت القضية السورية لتجعل من نفسها نصيراً للقوى الثورية وليس اللاعب الأساس في الثورة المضادّة العربية فقط، وذلك كلّه في سياق الدفع بمصالحها الاستراتيجية في المنطقة(٥٣).

لم تكن المظاهرات في سوريا عنيفة في بادئ الأمر، وسعت إلى إصلاحات سياسية، كما إنها لم تكن مدفوعة بخطاب طائفي، لكنّ النظام السوري استخدم شبح الحرب الأهلية، مثله في ذلك مثل الدول الخليجية، لترويع الأقلّيات في سوريا وضمان ولائها، واستخدم العنف المفرط من البداية لتقسيم المحتجين تبعاً لمحاور طائفية وإثنية(٥٤). لكنّ أمد الثورة في سوريا طال كثيراً وأضحت عنيفة إلى حدّ أنها رسّخت الانقسامات الطائفية في المنطقة، وكان للدعم الذي حصلت عليه المعارضة السورية من الدول الخليجية ارتدادات على السياسة المحلية في تلك الدول، وجاء قرار مساندة الثوار مدفوعاً بحقائق الخليج الطائفي.

قدّمت الدول الخليجية الدعم الدبلوماسي والمالي وكذلك العسكري على نحو متزايد بعد تردّد وذلك بدءاً بالنصف الثاني من سنة ٢٠١١(٥٥).

---

(٥٣) Monika Bolliger, «Islamische Kritik an der saudischen Regierung: Gespräch mit dem Kleriker Salman al-Audah,» *Neue Zürcher Zeitung*, 17/4/2012, <http://www.nzz.ch/aktuell/international/islamische-kritik-an-der-saudischen-regierung-1.16481903>.

لكنه انتقد الحكومة السعودية لاحقاً لعدم بذلها جهداً كافياً في سوريا وجادل بأن محاولة الحدّ من التمويل السعودي الخاص للمعارضة السورية ومن تدفق الشباب السعودي للقتال في الحرب السورية أمر مستحيل. انظر: Robert F. Worth, «Citing U.S. Fears, Arab Allies Limit Syrian Rebel Aid,» *New York Times*, 7/10/2012, <http://ww.nytimes.com/2012/10//07/world/middleeast/citing-us-fears-arab-allies-limit-aid-to-syrian-rebels.html>.

(٥٤) أكثر تجليات ذلك تحوّل شابّة من الطائفة العلوية إلى ناشطة معارِضة للنظام في الثورة السورية. انظر: Samar Yazbek, *A Woman in the Crossre: Diaries of the Syrian Revolution*, translated from the Arabic by Max Weiss; [foreword by Rafik Schami] (London: Haus Pub, 2012).

(٥٥) ذكرت المملكة العربية السعودية وقطر أنهما قدّمتا مساعدة عسكرية للثوار في سوريا. انظر: Worth, Ibid.

وأملها أن يكون هناك نظام إسلامي سني في سوريا أكثر ودّاً لدول الخليج، وأن يقطع الروابط بين إيران وسوريا وحزب الله وحماس، ما سيؤدي إلى إضعاف إيران بشدّة.

وانسجاماً مع خطاب الخليج الطائفي، وضعت الجماعات الإسلامية الخليجية والمانحون الخليجيون دعمهم للثورة السورية في إطار طائفي، بوصفه جهاداً لنظام شيعي كافر تسانده إيران. وغدت فصائل الثوار السوريين أكثر طائفية في خطابها في الوقت عينه، والمنطق في ذلك مبني على أن استخدام الطائفية في الخارج سيضمن ولاء السكان السنّة في سوريا للحكام الخليجيين ولو مؤقتاً، وسيمنع المواطنين الخليجيين السنّة والشيعة في الوقت عينه من الاتحاد في المطالبة بإصلاح سياسي في الدول الخليجية.

وعلى سبيل المثال، سافر أربعة سلفيّين أعضاء في مجلس الأمّة البحريني إلى سوريا في آب/أغسطس ٢٠١٢ للاجتماع علناً بقادة الجيش السوري الحرّ إظهاراً لدعمهم له. وجادل أحدهم، وهو عبد الحليم مراد، على التويتر بأن زيارته تأتي دعماً للثورات في حربها على «الصفوية الحاقدة»، وهي عبارة تشير إلى الإمبراطورية الصفوية التي حكمت إيران ووصف تحقيري للشيعة(٥٦)، كما دخل جهاديون كويتيون سوريا للقتال في صفوف الثوار، وكذلك فعلت جماعات سعودية وجزائرية وباكستانية(٥٧). وفي هذه الأثناء، قدّمت الدول الخليجية الدعم الأيديولوجي للثورة في سوريا، ولو جزئياً، وبنبرة طائفية مميّزة غالباً. والمثال الأبرز في هذا السياق قناة صفا التلفزيونية التي تبثّ من المملكة

---

(٥٦) Justin Gengler, «Bahraini Salafis Fighting the Infidels Wherever They Find Them,» August 6, 2012, <http://bahrainipolitics.blogspot.co.uk/2012108/bahraini-salafis-fighting-infidels.html>.

انظر أيضاً: «المنامة: جدل بعد زيارة نواب بحرينيين لسوريا،» سي أن أن العربية، ٦ آب/أغسطس ٢٠١٢، <http://arabic.cnn.com/2012/middle_east/8/6/Bahraini-BMs-Syria>.

(٥٧) ««Dozens of Kuwaiti Jihadists» Join Different Nationalities to Enlist in Free Syrian Army,» Al Arabiya News, 10 June 2012, <http://www.alarabiya.net/articles/2012/06/10/219734.html>, and Asma Alsharif and Amena Bakr, «Saudi Steers Citizens Away from Syrian «Jihad»,» Reuters, 12 September 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/09/12/us-saudi-syria-jihad-idUSBRE88B0XY20120912>.

العربية السعودية والتي تستضيف عدنان العرعور، وهو شيخ سوري فرّ إلى المملكة العربية السعودية من مدينته حماة السورية عقب سحقٍ وحشي لانتفاضة اندلعت هناك في سنة ١٩٨٢، وكان قد حاز شهرة حتى قبل الثورة لآرائه التي يذمّ فيها المذهبَ الشيعي، ولا يزال يستخدم لغة طائفية لحشد الدعم للثورة السورية. إن أشخاصاً من أمثاله يُؤجّجون التوترات الطائفية داخل سوريا ويسهّلون مهمة الجماعات السلفية وتنظيم القاعدة لتطابقِ خطاب هؤلاء الأشخاص مع خطاب هذه الجماعات من وجوه عديدة(٥٨).

لمستُ في محادثاتي مع خليجيين سنّة دعماً صادقاً للثورة السورية وأنها من الأهمية في نظرهم بحيث إن أحد الأمور التي يتهمون بها الشيعة في بلادهم عدم مؤازرتهم الثورة السورية، لكنّ لسوريا مكانة خاصة لدى شيعة الخليج كون الضاحية الدمشقية «السيدة زينب» مكان ضريح ضخم يعظّمه المسلمون الشيعة. ويعتبر حيّ السيدة زينب مركزاً شيعياً مهماً عابراً للحدود يضمّ مزاراً ونقطة تنظيم سياسي، ومركزاً للنشر، ومركزاً للتعليم الشرعي، وكذلك مقصداً في العطل الصيفية. وقد انتقل عدد من اللاجئين العراقيين إلى حيّ السيدة زينب منذ سنة ٢٠٠٣، وأصبحت المنطقة مركزاً شيعياً في دمشق ومكاناً لا يزوره كثير من الدمشقيين والسوريين الآخرين، وموقعاً تشير إليه المعارضة الإسلامية السورية إثباتاً لمزاعمها بأن نظام بشار الأسد يسعى إلى تحويل السكان إلى المذهب الشيعي(٥٩). لكن مع انطلاقة الثورة، وبخاصة منذ أن بدأ

---

(٥٨) يجادل ناشط سوري ناقد للخطاب الطائفي بأن «الدين قوة تعبوية رئيسة في هذه الثورة - ينظر إلى العرعور [شيخ طائفي] إنه هستيري ونحن لا نحبه، لكنّه يقدم مساعدة لا جدال فيها للمقاتلين وهم في حاجة إليها». انظر: Ghaith Abdul-Ahad, «Al-Qaida Turns Tide for Rebels in Battle for Eastern Syria,» *Guardian*, 30/7/2012, <http://www.theguardian.com/world/2012/jul/30/al-qaida-rebels-battle-syria>.

(٥٩) Laurence Louër, *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf* (New York: Columbia University Press, 2008), pp. 196-198; Sabrina Mervin, «Sayyida Zaynab, Banlieue de Damas ou nouvelle ville sainte chiite?,» *Cahiers d'Etudes sur la Mediterranée Orientale et le Monde Turco-Iranien*, vol. 22 (1996), pp. 149-162; Khalid Sindawi, «The Shiite Turn in Syria,» *Current Trends in Islamist Ideology*, vol. 8 (June 2009), pp. 82-107, and Edith Szanto, «Sayyida Zaynab in the State of Exception: Shi'i Sainthood as «Qualified Life» in Contemporary Syria,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 44, no. 2 (2012), pp. 285-299.

الثوّار بمحاربة القوات الحكومية في دمشق، فرّ عدد من السكان الشيعة، ووردت حكايات متكررة حول رجال دين وحجاج شيعة، زعم أن بعضهم عملاء إيرانيون، تم اختطافهم أو قتلهم(٦٠). وبالنظر إلى الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به هذه الضاحية في معركة دمشق، وإلى كونها مكاناً رمزياً للمسلمين الشيعة، انتقلت ميليشيات شيعية عراقية ولبنانية إلى هناك(٦١)، ثم انضمّ الشيعة الاثنا عشرية القلائل نسبياً في سوريا إلى الأقليات الأخرى، مثل الطوائف المسيحية المتنوعة والعلويين والأكراد، في التنديد بنوايا الثوار السوريين، ولا سيما جبهة النصرة، واشتكوا من استخدامهم الجهاد والخطاب الإسلامي في تشريع صراعهم ضدّ نظام الأسد «الكافر»(٦٢).

إن كراهية مقاتلي المعارضة للشيعة الاثني عشرية أشدّ بروزاً من كراهيتهم للعلويين. ويمكن تعليل ذلك جزئياً بالخطاب الطائفي الذي يؤجّجه بعض المشايخ، وكذلك بسبب التأييد الأعمى الذي تمنحه إيران وحزب الله اللبناني للنظام السوري، ما يزيد حنق معارضيه على الشيعة

---

(٦٠) أسر الجيشُ السوري الحرّ ثمانية وأربعين إيرانياً في دمشق في مطلع آب/ أغسطس ٢٠١٢، وكانت ثالث حادثة على أدنى تقدير منذ بدء الاحتجاجات في سوريا. وجادلت إيران بأن الإيرانيين كانوا زوّاراً توجّهوا لزيارة مقام السيدة زينب. وقد أُطلق سراحهم في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣. انظر: Rana Muhammad Taha, «Three of the Iranians Abducted in Syria Killed,» *Daily News Egypt*, 7/8/2012, <http://thedailynewsegypt.com/2012/08/07/three-of-the-iranians-abducted-in-syria-killed>, and Anne Barnard and Sebnem Arsu, «Iranian Captives Freed in Prisoner Exchange in Syria,» *New York Times*, 9/1/2013, <http://www.nytimes.com/2013/01/10/world/middleeast/syria-iranians-prisoner-exchange.html>.

(٦١) مقابلة أجراها المؤلف مع محلّل سياسي لبناني في بيروت في آذار/ مارس ٢٠١٣، و Nicholas Blanford, «Video Appears to Show Hezbollah and Iraqi Shiites Fighting in Syria,» *Christian Science Monitor*, 18/1/2013, <http://www.csmonitor.com/World/Middle-East/2013/0118/Video-appears-to-show-Hezbollah-and-Iraqi-Shiites-fighting-in-Syria>.

(٦٢) Neil Macfarquhar and Hwaida Saad, «As Syrian War Drags On, Jihadists Take Bigger Role,» *New York Times*, 29/7/2012, <http://www.nytimes.com/2012/07/30/world/middleeast/as-syrian-war-drags-on-jihad-gains-foothold.html>.

للاطلاع على تحليل مفصّل للجماعات السلفية والجهادية في المعارضة السورية، انظر: International Crisis Group [ICG], «Tentative Jihad: Syria's Fundamentalist Opposition,» *Middle East Report*, no. 131 (12 October 2012), <http://www.crisisgroup.orgl*enlregionsl*middle-east-north-africalegypt-syria-lebanon/syria/131-tentative-jihad-syrias-fundamentalist-opposition.aspx>.

الاثني عشرية محلياً[٦٣]. وبالمثل، رأى الشيعة في حيّ السيدة زينب أنفسهم في صراع طائفي كبير يشمل المنطقة، فهبّوا ليصدّوا عنها الثوار الذين يسمّونهم وهّابيين[٦٤]. ولا ريب في أن التوتر المتزايد والعابر للحدود بين الوشائج الوطنية والهويات القبلية والطائفية والإسلامية واحد من الذيول البعيدة المدى لردود الدول الخليجية على الربيع العربي. ولو وضعنا الروابط الدينية جانباً، نجد أن الروابط القبلية بين القبائل السورية وأقربائها البعيدين في الدول الخليجية مكوّن أساس بالطبع في حشد دعم الحكومات والأفراد في الخليج. كما إن الروابط القبلية تحدّد في كثير من الحالات الجماعات التي تحصل على الأموال[٦٥]. إن بروز هذه الهويات، واستخدامها بطرق شتّى من الحكومات في ردّها على الربيع العربي، يهدّد بتمزيق النسيج الاجتماعي في الدول الخليجية وفي الشرق الأوسط ككلّ، بحيث يجعل الجار في مواجهة مع جاره، ويقسّم الشوارع بحسب الطائفة أو الإثنية أو القبيلة أسوة بما حصل في لبنان والعراق.

ورداً على دعم دول الخليج للمعارضة في سوريا، بحث النظام السوري عن طرق لإضعاف الإمارات والممالك الخليجية. وهذا ما قام به بتغطيته الانتفاضات في البحرين وفي المحافظة الشرقية في وسائل

---

(٦٣) أدّى دعم حزب الله اللبناني لنظام الأسد في الثورة السورية إلى تقلّص الدعم الذي كان يتمتع به في أوساط عدد من السنّة في المنطقة. لمعرفة المزيد، انظر: International Crisis Group [ICG], «Syria's Mutating Conflict,» *Middle East Report*, no. 128 (1 August 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/egypt-syria-lebanon/syria/128-syrias-mutating-conflict.aspx>.

(٦٤) للاطلاع على روايات عن القتال حكاها شيعة يقيمون في حي السيدة زينب، انظر: «The Whole Story of What Happened in Sayyidah Zainab Area, Syria,» RNI News Agency, 3 August 2012, <http://www.realnewslive.org/eng/2012/08/03/the-whole-story-of-what-happened-in-sayyidah-zainab-area-syria>, and «The Current Situation in Sayyidah Zainab Area 24/7/2012,» Shii News Email Newsletter, <http://www.husainiyouths.org/profiles/blogs/the-current-situation-in-sayyidah -zainab-area-syria-24-7-2012>.

(٦٥) Hassan Hassan, «Why Tribes Matter in Syria,» *Guardian*, 25/7/2012, http://www.guardian.co.uk/commentisfree/2012/jul/25/syria-tribal-rivalries-shape-future<, and Nic Robertson, «Saudi Support for Syrian Rebels Shaped by Tribal, Religious Ties,» CNN, 20 August 2012, <http://edition.cnn.com/2012/08/20/world/meast/syria-saudi-aid>.

الإعلام الموالية له ومن خلال حرب إلكترونية محدودة، وبخاصة التي تستهدف الحكومات الخليجية والناشطين والصحافيين العاملين في الخليج(٦٦).

وبما أن العراق دولة مطلّة على الخليج وذات أغلبية شيعية، فقد أصبح الآن متورطاً بقوة أيضاً في الخليج الطائفي، وقد تحوّلت أزمة البحرين بسرعة إلى أداة في السياسة الداخلية العراقية. وبما أن رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي وحزبه الدعوة لم يفعلا الكثير لمساعدة إخوتهم في الدِّين في البحرين، تدخّل شيعة عراقيون آخرون لملء الفراغ واستغلال الاحتجاجات الدائرة في البحرين والمنطقة الشرقية، عدد من هؤلاء مقاولو هويات طائفية، منهم أحمد الجلبي الذي شرع فجأة في الحديث دفاعاً عن المحتجّين البحرينيين(٦٧). وسعت حركة الصدر بقيادة مقتدى الصدر لحشد الدعم للبحرين(٦٨). وساند محمد تقي المدرّسي، مرجع جماعة المدرّسية الذي يقيم في مدينة كربلاء التي يقدّسها الشيعة، الاحتجاجات في البحرين وفي المحافظة الشرقية سوية مع أخيه هادي المدرّسي كما ذكرنا في موضع سابق في هذا الكتاب. وشجب آية الله العظمى علي السيستاني الذي لا يعلّق على قضايا السياسة الخارجية إلّا نادراً، والذي تعتبره أغلبية البحرينيين مرجعَ التقليد لديهم، قمع الاحتجاجات البحرينية في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١ عقب عبور القوات

(٦٦) كانت قطر هدفَ كثيرٍ من هذه الهجمات. انظر: Roula Khalaf and Abeer Allam «Assad Intensifies Cyberwar against Qatar,» *Financial Times*, 24/4/2012, <http://www.ft.com/intl/cms/s/0/1fa5d708-8e1c-11e1-bf8f-00144feab49a.html#axzz2myAliLeO>, and Michael Stephens, «Syria: Silent War in the Gulf,» Open Democracy (19 August 2012), <http://www.opendemocracy.net/michael-stephens/syria-silent-war-in-gulf>.

(٦٧) انظر على سبيل المثال: Souad Mekhennet, «In Bahrain, Worries Grow of Violent Shiite-Sunni Confrontation,» *New York Times*, 25/1/2012, <http://www.nytimes.com/2012/01/26/world/middleeast/zeiht-mze -bahrain-conflict.html>.

(٦٨) دعا مقتدى الصدر إلى تنظيم مظاهرات تضامناً مع البحرين وأصدر بياناً دعا فيه إلى مقاطعة سباق الفورمولا ١ لسنة ٢٠١٢ في البحرين. انظر: «Sayyid Muqtada al-Sadr Answers Question on Formula Race in Bahrain,» *Al-Sadr Online*, 18 April 2012, <http://www.alsadronline.net/en/news/4247-sayyid-muqtada-al-sadr-answers-question-on-bahraini-prisoners.html>, and «Sadrists Rally in Basra to Support Bahraini People,» *Aswat al-Iraq*, 19 March 2012, <http://en.aswataliraq.info/%28S%28k4khqp55exzt5urwznfxh045%29%29/printer.aspx?id=147514>.

السعودية جسر الملك فهد[٦٩]. وزاد ذلك كله التوترات بين الدول الخليجية والحكومة العراقية التي يهيمن عليها الشيعة برئاسة المالكي[٧٠].

تفاقمت التوترات بين السنّة والشيعة في العراق منذ بداية الربيع العربي، وزادت وتيرة التفجيرات والقتل الطائفي مرة أخرى. وبدأ السنّة العراقيون بالاحتجاج على حكومة المالكي التي أظهرت من قبل ميولاً استبدادية شديدة واتُّهمت بالفساد[٧١]. وفي هذا الصراع، وقفت قطر بجانب الجهات السنّية الفاعلة في العراق حتى قبل بدء الربيع العربي، واتهم رئيسُ الوزراء القطري حكومةَ المالكي بإساءة معاملة الطائفة السنّية في العراق، ومُنح نائب الرئيس العراقي طارق الهاشمي، الخصم السياسي اللدود للمالكي، اللجوء في قطر في سنة ٢٠١٢ بعد أن اتهمته حكومةُ المالكي في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١ بإدارة فرق موت تستهدف الشيعة العراقيين[٧٢].

---

(٦٩) «Grand Ayatollah Sistani Condemns the Saudi and Bahrain's Force Crackdown on Bahrain's Shia, While Kuwait Refuses to Send Troops,» Jafria News, 17 March 2011, <http://jafrianews.com/2011/03/17/grand-ayatollah-sistani-condemns-the-saudi-and-bahrains-force-crackdown-on-bahrains-shia-while-kuwait-refuses-to-send-troops>, «Shiites Rally Behind Bahrain Protesters,» Agence France-Presse, 17 March 2011, <http://www.abc.net.au/news/2011-03-17/shiites-rally-behind-bahrain-protesters/2653372>.

(٧٠) مقابلة أجراها المؤلف مع غانم جواد، وهو محلّل سياسي شيعي عراقي، في لندن في أيلول/سبتمبر ٢٠١١.

(٧١) Toby Dodge, *Iraq: From War to a New Authoritarianism* (London: International Institute for Strategic Studies; Routledge, 2012).

(٧٢) «Sunni Protests in Iraq,» *Al-Ahram Weekly* (5 April 2012), <http://weekly.ahram.org.eg/2012/1092/re1.htm>, and International Crisis Group [ICG]: «Déjà Vu All Over Again: Iraq's Escalating Political Crisis,» *Middle East Report*, no. 126 (30 July 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-eastnorth-africa/iraq-iran-gulf/iraq/126-deja-vu-all-over-again-iraqs-escalating-political-crisis.aspx>, and Iraq's Secular Opposition: The Rise and Decline of Al-Iraqiya,» *Middle East Report*, no. 127 (31 July 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/iraq-iran-gulf/iraq/127-iraqs-secular-opposition-the-rise-and-decline-of-al-iraqiya.aspx>.

فرّ الهاشمي من بغداد إلى إقليم كردستان العراقي الذي يتمتع بشبه استقلال ذاتي بشمال العراق أولاً، ثم انتقل إلى قطر، وتوجه أخيراً إلى تركيا. وفي أيلول/سبتمبر ٢٠١٢، حُكم عليه غيابياً بالإعدام في العراق ـ كان أرفع سياسي سنّي في العراق قبل صدور الحكم. انظر: «Iraq VP Tariq al-Hashemi Sentenced to Death,» BBC, 9 September 2012 <http://www.bbc.co.uk.news/world-middle-east-19537301>.

وقف المالكي إلى جانب نظام الأسد في الثورة السورية لأسباب طائفية ومخاوف من أن تؤدّي الثورة في سوريا وتداعياتها في الخليج إلى حرب أهلية طائفية تعمّ المنطقة وتعيد إطلاق شرارة الحرب الأهلية في العراق وتُضعف حكومته. واشتدّت في الوقت عينه المظاهرات المناوئة للمالكي في الشوارع منذ كانون الأول/ ديسمبر، ما أدّى إلى احتجاجات عارمة ووقوع إصابات في صفوف المحتجّين في المحافظات ذات الأغلبية السنّية(٧٣). ضمّت هذه الاحتجاجات التي وصفها بعضهم بـ «الربيع السنّي»، متظاهرين سنّة على الأكثر تظاهروا ضدّ الحكومة التي يقودها الشيعة، مع أن بعض الجماعات الشيعية مثل حركة الصدر اصطفت في جانب المتظاهرين مدة من الوقت(٧٤). ووصفت وسائل الإعلام الخليجية ما جرى بأنه انتفاضة السنّة المقصيين على حكومة شيعية دكتاتورية كما فعلت في حالة سوريا.

كما كان للأزمة البحرينية وقْع على علاقات الدول الخليجية بلبنان الذي هيمن حزب الله الشيعي على الحكومة فيه بين شهري كانون الثاني/ يناير ٢٠١١ وآذار/ مارس ٢٠١٣. تعهّدت دول خليجية عديدة بطرد مئات العمال الوافدين اللبنانيين الذين لديهم ارتباطات بحزب الله اللبناني(٧٥). وتصدّرت البحرين تلك الدول بطرد بضع عشرات من العمال الوافدين اللبنانيين بُعَيد حملة القمع هناك في أواسط آذار/ مارس ٢٠١١، وجاء ذلك منسجماً تماماً مع الرواية الحكومية التي وصفت الاحتجاجات في البحرين بأنها مجرّد مخطط طائفي يحظى بمساندة أجنبية. وقد طُردت الدفعة الأولى من هؤلاء اللبنانيين بعد أن ساند حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله اللبناني، مطالبَ المعارضة البحرينية وأدان تدخل مجلس

---

(٧٣) قتل الجيش بالرصاص عدداً من المحتجين في محافظة الأنبار في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣.

(٧٤) «الربيع السني» استخدم على موقع تويتر بالعربية. انظر أيضاً: Fanar Haddad, «Can a Sunni Spring Turn into an Iraqi Spring?,» *Foreign Policy* (7 January 2013), <http://mideast.foreignpolicy.com/posts/2013/01/07/can_a_sunni_sprin~turn_into_an_iraqi_spring>.

(٧٥) «Sleiman to UAE to Discuss Reported Expulsion of Lebanese,» *The Daily Star*, 6/6/2012, <http://www.dailystar.com.lb/News/Politics/2012/Jun-06/175891-sleiman-to-uae-to-discuss-reported-expulsion-of-lebanese.ashx>.

التعاون الخليجي في البحرين(٧٦)، وعندما شجب ميشال عون، الزعيم اللبناني المسيحي المتحالف مع حزب الله، امتناع المجتمع الدولي عن مساندة المحتجين في البحرين، حدثت أزمة دبلوماسية بين مجلس التعاون الخليجي ولبنان(٧٧).

يجسّد تعليق الرحلات الجوّية المؤقت، بعد سنة ٢٠١١، من بعض الدول الخليجية مثل: البحرين إلى دول تقطنها أعداد كبيرة من السكان الشيعة مثل: إيران والعراق ولبنان، مدى تعذّر رأب صدوع الخليج الطائفي ومدى تجاوز ارتداداتها حدود الدول الخليجية، وهكذا صاغ الخليجُ الطائفي الخريفَ العربي.

---

(٧٦) «Bahrain Expels 16 Lebanese Amid Unrest,» Agence France Presse, 11 April 2011, <http://al-shorfa.com/en_GB/articles/meii/features/main/2011/04/13/feature-02>.

(٧٧) «Aoun: Bahrain Remarks Not Interference, Just Advice,» *The Daily Star*, 19/2/2013, <http://www.dailystar.com.lb/News/Politics/2013/Feb-19/207108-aoun-bahrain-remarks-not-interference -just-advice.ashx#axzz2PrueQDbn>.

خاتمـة

أدّى الربيعُ العربي إلى الخليج الطائفي، وبالنظر إلى الأهمية الاستراتيجية للخليج، والثروة النفطية الهائلة التي في أيدي حكامه، ستؤثّر السياسات الخليجية في مستقبل الشرق الأوسط ككلّ، وفي العلاقات بين الفرق والمذاهب الإسلامية في العالم أجمع. وقد اضطلعت الولايات المتحدة والدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بدور في استحداث الخليج الطائفي من خلال تحالفها الوثيق مع دول مجلس التعاون الخليجي. وفي هذا السياق، العدوان الرئيسان في الشرق الأوسط المعاصر من منظور الولايات المتحدة، وتلقائياً من منظور الأوروبيين، هما إيران وتنظيم القاعدة، وصُمّمت جميع السياسات بناء على هذين العدوَّين، وأُطلقت يد الدول الخليجية، وبخاصة المملكة العربية السعودية، في إدارة شؤونها الداخلية وسياساتها الإقليمية لانسجام هذه الدول مع الولايات المتحدة في هاتين القضيتين ولإمدادات النفط المتواصلة التي توفرها هذه الدول؛ لذلك، تُعتبر الدول الخليجية شريكة أساسية في احتواء الربيع العربي. إن المخاوف الأمنية، والمصالح الذاتية للمؤسسات الأمنية الغربية، والروابط التجارية مع الدول الخليجية التي تعاظمت أهميتها منذ وقوع الأزمة المالية في سنة ٢٠٠٨، جعلت معظم القادة الغربيين شديدي النفور من المخاطرة في سياساتهم تجاه الربيع العربي وعرضة لضغوط حلفائهم في الخليج.

بالتالي، يظهر أن الطائفية حلّ قصير الأجل استخدمته حكومة الخليج وحظي بدعم غربي ضمني على الأقل لاجتياز عاصفة الربيع العربي وتشديد عزلة إيران. وعلى الرغم من سعي بعضهم، مثل جمعية الوفاق السياسية

الشيعية الرئيسة ووليّ عهد البحرين الأمير سلمان بن حمد آل خليفة، في شباط/ فبراير وآذار/ مارس ٢٠١١ للتغلّب على الخليج الطائفي، بذل متعهدو الهويات الطائفية جهوداً فائقة لترسيخ الحدود الطائفية. وأتاح خطاب الخليج الطائفي سلطات وفرصاً جديدة لمتعهدي الهويات الطائفية هؤلاء، وهم الأشخاص الذين يعتمد موقفهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي على التلاعب الحاذق بالحدود الطائفية والذين ينتفعون من تحوّل هذه الحدود إلى خطوط تقسيمية واضحة لشريحة معيّنة من المجتمع. وقد تعاظمت شعبية متعهدي الهويات الطائفية بشكل كبير، وهم يضطلعون بدور حاسم في تأجيج التوترات الطائفية. وبعد أن أصبح الخطاب الطائفي مقبولاً، اكتسب بسرعة زخماً ذاتياً وصار أداة تستخدمها جهات مختلفة للدفع بمصالحها الخاصة.

وفي مسعى لترسيخ وجود الأنظمة الخليجية من الناحية الفعلية، اقترح الملك عبد الله عاهل المملكة العربية السعودية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١ إقامة اتحاد خليجي. تحمّست المملكة العربية السعودية والبحرين وفروع الأسر الخليجية الحاكمة الأخرى الموالية للسعودية لهذا الاقتراح. وأمل مساندو الاتحاد في البحرين بإعلان إقامته قريباً لأنه يَظهر أن دمجاً سعودياً بحرينياً أو اتحاداً خليجياً أوسع هو حلّ مناسب للمتشدّدين في الأسرتين الحاكمتين السعودية والبحرينية. فهو سيضمن عدم وجود دولة ذات أغلبية شيعية في مجلس التعاون الخليجي كون سكان الكيان السياسي الجديد سيُحصون على مستوى الاتحاد الخليجي ككلّ. وسيضمن أيضاً عدم تحوّل أي من دول مجلس التعاون الخليجي إلى ملكية دستورية كي لا تحدث سوابق بإصلاح سياسي مهم في إحدى دول المجلس.

لا غرابة أن الشيعة البحرينيين عقدوا تجمّعات حاشدة مناوئة للاقتراح وجادلوا بأنه ينبغي عرضه على استفتاء شعبي[١]، لكنّ معارضة دول أخرى في مجلس التعاون الخليجي، ولا سيما سلطنة عُمان أوقفت الاقتراح في

---

(١) «Thousands of Shia Muslims Protest Over Gulf Union Plans,» BBC, 18 May 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east -18120787>, and Frederic Wehrey, «The March of Bahrain's Hardliners,» Carnegie Middle East Center (May 2012), http://carnegie-mec.org/ publications/?fa = 48299 >.

الوقت الحالي[٢]، كما رأت الإمارات العربية المتحدة وقطر وسلطنة عُمان والكويت في الاقتراح جهداً تتصدّره السعودية لإقامة تعاون سياسي وعسكري أوثق يجعل المملكة أكثر هيمنة على مجلس التعاون الخليجي مما هي عليه أساساً، وخشي كثيرون في هذه الدول مستقبلاً يرزحون فيه تحت هيمنة سعودية أشدّ[٣]، لكنّ ذلك لم يمنع قادة مجلس التعاون الخليجي من التوقيع على اتفاقية أمنية أريد منها إلى حدّ بعيد إسكات المعارضة الداخلية وزُعم أنها تضمنت بنداً يجيز لأي دولة في المجلس مقاضاة مواطن من تابعية دولة أخرى في المجلس إذا انتقد سياسات الدولة الأولى[٤]. طُبّقت الاتفاقية على ثلاثة معارضين بحرينيين سلّمتهم سلطنةُ عُمان للبحرين[٥]، إن القمع المتزايد وخنق حرّية التعبير عبر سنّ قوانين جديدة مفرطة الصرامة تستهدف النموذج المعاكس للتعبئة السياسية، نموذجاً مبنياً على الحراك المدني والقيم الديمقراطية وحكم القانون وثقافة سياسية تترفّع على الطائفة أو الإثنية أو القبيلة مثلما تجسّد في المراحل الأولى للحركات الاحتجاجية في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن والبحرين والكويت وسلطنة عُمان. ومع أخذ عمليات الثورة والثورة المضادّة منحى فوضوياً ودموياً، ردّت النظم، وهُمّش هذا الحراك المدني في كثير من الحالات، لكنّه لن يختفي نهائياً، ذلك أن مفاعيل العمليات التي أطلقها الربيع العربي ستظهر في السنين القادمة.

بل إن أحد الأكاديميين جادل بأن جميع النظم السياسية والاقتصادية في الخليج غير قابلة للاستمرار وستنهار قريباً[٦]. وقد برهن الربيع العربي

---

(٢) أدلى وزير الخارجية العُماني بتصريح علني قال فيه إن عُمان لا تريد الاتحاد وإنه لن يتحقق. «ابن علوي: فكرة الاتحاد لا يستوعبها الجيل الحالي،» **عُمان**، ٢١/ ٣/ ٢٠١٢، <http://main. omandaily.om/node/88945> and «Oman's Foreign Minister Says There Is No Gulf Union,» *Gulf News*, 6/6/2012, <http://gulfuews.com/news/gulf/oman/oman-s-foreign-minister-says-there-is-no-gulf-union-1.1032092>.

(٣) مقابلات أجراها المؤلف مع مسؤولين ومفكّرين في الإمارات العربية المتحدة وقطر وعُمان والكويت، في شباط/ فبراير - آذار/ مارس ٢٠١٣.

(٤) «GCC Ministers Sign Security Pact,» *Arab News*, 14/11/2012, <http://www.arabnews. com/gcc-ministers-sign-security-pact>.

(٥) «Bahrain Blames Iran for «Terror Cell»,» *Gulf News*, 20/2/2013, <http://gulfnews.com/ news/gulf /bahrain/bahrain-blames-iran-for-terror-cell-1.1148578>.

(٦) Christopher Davidson, *After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies* (London: Hurst and Company, 2012).

كم هي النتائج السياسية غير متوقَّعة، وأن الاحتجاجات التي حصلت في الخليج في مطلع سنة ٢٠١١ كانت مختلفة عن التعبئة الشعبية التي سبقتها وأنها أكثر تهديداً لحكام الخليج. أولاً، بات الخطاب والنقد الآن يوجَّه إلى حكّام الخليج مباشرة في الاحتجاجات التي تنظَّم في الشوارع، وباتت الأعمال تتجاوز «خطاً أحمر» التُزم به سابقاً بدرجة كبيرة. أضف إلى ذلك أن حركات المعارضة العريقة التي شاركت في العملية السياسية في البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت تواجه تحدّياً من موجة جديدة من الحركات الشبابية التي استلهمت من الربيع العربي مطالبَها وتكتيكاتها. أدى بروز هذه الحركات الشبابية إلى قلب موازين القوى؛ إذْ إن سقف مطالبها أعلى من سقف مطالب جماعات المعارضة العريقة، بل إن الحركات الشبابية ذمّت بعض هذه الجماعات كونها ارتكبت خيانة بمحاورتها النظم. أدّى ذلك إلى إضعاف موقف الحزب الشيعي الرئيس في البحرين، أي جمعية الوفاق، وإضعاف موقف الشبكة السياسية الشيعية الرئيسة في المملكة العربية السعودية، أي الشيرازيين، وإضعاف بعض الجماعات السياسية وأعضاء مجلس الأمّة في الكويت. لكنّ الحركات الشبابية في البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت وجدت حلفاء في الجماعات المنشقّة عن جماعات المعارضة الرئيسة وعملت سوية مع شخصيات معارِضة محنّكة تبنّت مطالب سياسية عالية. وأصبح هؤلاء زعماء مستعدين لتجاوز الخطوط الحمر ودفع ثمن الاضطهاد القاسي بهدف إحداث تغيير سياسي(٧).

اجتازت الإمارات الخليجية أولى عواصف الربيع العربي عبر مزيج من القمع والمنح المالية واستحداث الخليج الطائفي. ساعدت المنحُ المالية التي قدّمها حكّام الخليج في بداية الربيع العربي في إبقاء أغلبية المواطنين في منازلهم، لكنّ نظرية الدولة الريعية التي تساعد الحكومة فيها مواطنيها ولا تجبي منهم ضرائب ولا تتطور فيها مطالبات بالديمقراطية دحضتها

---

(٧) يضمّ هؤلاء الزعماء أشخاصاً، مثل: عبد الهادي الخواجة وحسن مُشَيمع في البحرين، وعبد الله الحامد ومحمد القحطاني ونمر النمر في المملكة العربية السعودية، ومسلّم البرّاك في الكويت. ولغاية تاريخ هذه الكتابة (نيسان/ أبريل ٢٠١٣) جميع قادة المعارضة هؤلاء إما في المنفى أو يخضعون للمحاكمة.

الاحتجاجات التي شهدها الخليج[٨]. أضف إلى ذلك أنّ قدرة الدول الخليجية على شراء بعض أطياف المعارضة ستتدنّى عما هي الآن في العقود القادمة. إن مستوى التعبئة في البحرين التي نزل في أكبر حشودها ما يصل إلى ربع السكان إلى الشوارع للاحتجاج على الحكومة، ليست سوى نذير من وجوه عديدة بما قد يلي في دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى. وسيكون مستقبل الخليج متلازماً مع انعدام الأمن إذ سيتعيّن على معظم دول الخليج إدارة الانتقال إلى اقتصاد ما بعد النفط في العقود القادمة[٩].

المشكلة ليست في نضوب احتياطات النفط والغاز بسرعة فقط، كما في البحرين وسلطنة عُمان[١٠]؛ إذْ إنّ استهلاك الطاقة المحلي في دول الخليج كافة زاد بشكل دراماتيكي، والأسعار المتدنّية تعني تبديد الطاقة على الرفاهيات، فاستهلاك الطاقة المحلي في المملكة العربية السعودية، والمتمثّل في السيارات الضخمة والطائرات الخاصة والفيلات المبرَّدة وسط الصحراء العربية، يزداد بسرعة. وفي الواقع، إذا استمرّ استهلاك الطاقة وفقاً لمستوياته الحالية، ربما ستصبح المملكة مستورداً صافياً للطاقة بحلول سنة ٢٠٣٠ لأنها ستكون في أمسّ الحاجة إلى أغلبية إنتاجها النفطي لتلبية الطلب المحلي على الطاقة[١١]، لكنّ الحوادث التي وقعت منذ سنة ٢٠١١

---

(٨) للاطلاع على الفكرة الأصلية للدولة الريعية، انظر: Hazem Beblawi, «The Rentier State in the Arab World,» in: Giacomo Luciani and Hazem Beblawi, eds., *The Rentier State* (London: Croom Helm, 1987), pp. 49-62.

(٩) Kristian Coates Ulrichsen, *Insecure Gulf: The End of Certainty and the Transition to the Post-Oil Era* (London: Hurst and Company, 2011).

(١٠) تعهد مجلس التعاون الخليجي في آذار/ مارس ٢٠١١ بدعم أفقر أعضائه، البحرين وعُمان، برزمة مساعدات لكل منها بقيمة ١٠ مليارات دولار على مدى عشر سنين للسماح بحكومتيهما بالاستثمار في البنية التحتية وزيادة الرواتب من أجل شراء المعارضة من خلال الأعطيات المالية». انظر: Caryle Murphy, «GCC to Set Up $20bn Bailout Fund for Bahrain and Oman,» *The National*, 11/3/2011, <http://www.thenational.ae/news/world/middle-east/gcc-to-set-up-20bn-bailout-fund-for-bahrain-and-oman>.

(١١) Glada Lahn and Paul Stevens, «Burning Oil to Keep Cool: The Hidden Energy Crisis in Saudi Arabia,» (Chatham House Programme Report) (December 2011), <http://www.chathamhouse.org/ publications/papers/view/180825>, and Ayesha Daya and Dana El Baltaji, «Saudi Arabia May Become Net Oil Importer by 2030: Citigroup Says,» *Economy Watch* (5 September 2012), <http://www.economywatch.com/in-the-news/saudi-arabiamay-become-net-oil-importer-bY-2030.05-09html>.

دلّت على أنّ طرائق تفاعل حكام الخليج مع الربيع العربي أخفقت في تلبية المطالب السياسية لعدد من المواطنين الخليجيين، لقد تغيّرت اللغة السياسية في الخليج تغيراً كبيراً، والأسر الخليجية الحاكمة تبذل كل ما في وسعها لعرقلة عمليات التحوّل الديمقراطي، لكن علينا أن نترقّب لنعرف إن كانت ستضمن لنفسها وضعاً متيناً في واقع ما بعد الربيع العربي.

الطائفية «جواب» قصير الأجل للربيع العربي في الخليج، لكن سيتعيّن على الدول الخليجية التوصّل إلى أجوبة عن التحدّيات التي تلوح في الأفق بسبب انعدام التنوّع الاقتصادي وزيادة استهلاك الطاقة وبطالة الشباب والمطالبات بإصلاح سياسي في حقبة وفي منطقة فقدت فيها النظمُ الاستبدادية القدرة على التحكم بما يقوله الناس ويطلبونه في العلن. إنّ حراك الشباب والقوة التعبوية للإنترنت والهواتف الذكية وتجربة الربيع العربي كلحظة حاسمة لجيل كامل من الشباب العرب تعني أنّ التغيير آتٍ، سواء من خلال الإصلاح، أم من خلال اندلاع ثورة في آخر المطاف.

شكر

ساهم أشخاص كثر في هذا الكتاب، سواء من خلال المشاركة في المناقشات أم بمساعدتي في العمل الميداني أم بمشاطرتي معارفهم ومصادرهم أم بالترحيب بي في بلدانهم. إنهم أكثر من أن أذكرهم واحداً واحداً، وحقائق الشرق الأوسط بعد الربيع العربي تعني أن عدداً منهم يرغب في عدم الكشف عن هويته كي لا ينزل به القصاص. أنتم تعرفون أنفسكم وإليكم أهدي هذا الكتاب.

أنا ممتنّ كثيراً للأشخاص التالية أسماؤهم على مساعدتهم وعلى تعليقاتهم على النماذج الأولى لهذه المخطوطة:

خالد عبد الله، وعبد النبي العكري، ولويس آلداي، وخديجة فون زيننبورغ كارول، وكلوي ناهوم كلوديل، وكرستين سميث ديوان، وجوست هيلترمان، وكلوديا هونيغر، ومنصور الجمري، ويوسف خلفان، ولاله خليلي، وديفيد كيتلر، وستيفان لاكروا، ولاتيتا نانكيتي، وساجد رضوي، وأدريان روبريخت، ومهدي السلمان، وتوفيق السيف، وروجر تومكيز، وكريستيان كواتس أولرخسن، ومارك فاليري، وأليس ويلسون، ومستجوَبين رفضا الكشف عن هويتهما. كما أعانتني كاي ماثيسن في مراحل عديدة، بما في ذلك النواحي البصرية للكتاب.

إنها لسعادة غامرة أن أعمل مع المحرّرة كايت واهل ومع مساعدها فرانسيس مالكولم في ستانفورد يونيفرسيتي برِس، لقد كانت كايت كل ما يأمل به المرء من محرّر.

أودّ أن أتقدّم بالشكر إلى كلّية بيمبروك في جامعة كامبريدج لإتاحتها لي بيئة عمل مكّنتني من تأليف هذا الكتاب. كما موّل «المعهدُ البريطاني لدراسة العراق»، ومشروع «المرجعية الدينية في المذهب الشيعي» الذي ترعاه الأكاديمية البريطانية، وكلّية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية العملَ الميداني لهذا الكتاب.

المراجـــع

١ ـ العربية

كتب

الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج. دبي: مركز المسبار للدراسات البحوث، ٢٠١٠.

دشتي، عبد الحميد عباس. **تاريخ شيعة الخليج وعقائدهم**. مونتريال؛ بيروت: دار زيناس للنشر والإعلام، ٢٠٠٨.

جمال، عبد المحسن يوسف. **لمحات من تاريخ الشيعة في الكويت (من نشأة الكويت إلى الاستقلال)**. الكويت: دار النبأ للنشر، ٢٠٠٥.

الحسن، حمزة. **الشيعة في المملكة العربية السعودية**. بيروت: مؤسسة البقيع لإحياء التراث، ١٩٩٣. ٢ ج.

ج ١: **العهد التركي، ١٨٧١ ـ ١٩١٣**.

ج ٢: **العهد السعودي، ١٩١٣ ـ ١٩٩٠**.

حمادة، راشد. **عاصفة فوق مياه الخليج: قصة أول انقلاب عسكري في البحرين ١٩٨١**. لندن: الصفا للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

العكري، عبد النبي. **التنظيمات اليسارية في الجزيرة والخليج العربي**. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٣.

الكواري، علي خليفة. **الشعب يريد الإصلاح في قطر... أيضاً**. بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٢.

المَديرس، فلاح عبد الله. **الحركات والجماعات السياسية في البحرين، ١٩٣٧ ـ ٢٠٠٢**. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٤.

ـــــ . **الحركة الشيعية في الكويت**. الكويت: دار القرطاس للنشر، ١٩٩٩.

المرشد، عباس ميرزا وعبد الهادي خواجة. **التنظيمات والجمعيات السياسية في البحرين: دراسة وصفية وحقوقية**. المنامة: فراديس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

النجار، باقر سلمان. **الحركات الدينية في الخليج العربي**. بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٧.

الهاشمي، سعيد سلطان (محرر). **الربيع العُماني: قراءة في السياقات والدلالات**. بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣.

دورية

«العُطَيشان: ١٨ مليون مسافر يعبرون جسر الملك فهد سنوياً.» **الحياة**: ٢٧/٦/٢٠١٢.

٢ ـ الأجنبية

Books

Aarts, Paul and Gerd Nonneman (eds.). *Saudi Arabia in the Balance: Political Economy, Society, Foreign Affairs*. London: Hurst, 2005.

Abisaab, Rula Jurdi. *Converting Persia: Religion and Power in the Safavid Empire*. London: I. B. Tauris, 2004.

Althani, Mohamed A. J. *The Arab Spring and the Gulf States: Time to Embrace Change*. London: Profile Books, 2012.

Al-Azri, Khalid M. *Social and Gender Inequality in Oman: The Power of Religious and Political Tradition*. Abingdon, UK: Routledge, 2013.

Badeeb, Saeed M. *Saudi-Iranian Relations, 1932-1982*. London: Saqi Books, 1993.

Bengio, Ofra and Meir Litvak (eds.). *The Sunna and Shi'a in History: Division and Ecumenism in the Muslim Middle East*. New York: Palgrave Macmillan, 2011.

Boghardt, Lori Plotkin. *Kuwait Amid War, Peace and Revolution: 1979-1991 and New Challenges*. Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2006.

Brass, Paul R. *Ethnicity and Nationalism: Theory and Comparison*. London: Sage, 1991.

Cole, Juan. *Sacred Space and Holy War: The Politics, Culture and History of Shi'ite Islam*. London: I. B. Tauris, 2002.

Commins, David. *The Wahhabi Mission and Saudi Arabia*. London: I. B. Tauris, 2006.

Dabashi, Hamid. *The Arab Spring: The End of Postcolonialism*. London: Zed Books, 2012.

Davidson, Christopher. *After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies*. London: Hurst and Company, 2012.

Delong-Bas, Natana J. *Wahhabi Islam: From Revival and Reform to Global Jihad*. London: I. B. Tauris, 2007.

Dodge, Toby. *Iraq: From War to a New Authoritarianism*. London: International Institute for Strategic Studies; Routledge, 2012.

Elling, Rasmus Christian. *Minorities in Iran: Nationalism and Ethnicity after Khomeini*. New York: Palgrave Macmillan, 2013.

Fandy, Mamoun. *Saudi Arabia and the Politics of Dissent*. Basingstoke: Palgrave, 1999.

Fuccaro, Nelida. *Histories of City and State in the Persian Gulf: Manama Since 1800*. Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2009.

Fukuyama, Francis. *The End of History and the Last Man*. Harmondsworth: Penguin, 1993.

Fuller, Graham E. and Rend Rahim Francke. *The Arab Shi'a: The Forgotten Muslims*. New York: St. Martin's Press, 1999.

Fürtig, Henner. *Iran's Rivalry with Saudi Arabia between the Gulf Wars*. Reading, UK: Ithaca Press, 2002.

Gardner, Andrew M. *City of Strangers: Gulf Migration and the Indian Community in Bahrain*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010.

Gause III, F. Gregory. *The International Relations of the Persian* Gulf. Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2010.

Graeber, David. *Inside Occupy*. Frankfurt am Main: Campus Verlag, 2012.

Haddad, Fanar. *Sectarianism in Iraq: Antagonistic Visions of Unity*. London: Hurst and Company, 2011.

Hammond, Andrew. *The Islamic Utopia: The Illusion of Reform in Saudi Arabia*. London: Pluto Press, 2012.

Hegghammer, Thomas. *Jihad in Saudi Arabia: Violence and Pan-Islamism Since 1979*. Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2010.

Hertog, Steffen. *Princes, Brokers, and Bureaucrats: Oil and the State in Saudi Arabia*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010.

______ , Giacomo Luciani, and Marc Valeri (eds.). *Business Politics in the Middle East*. London: Hurst, 2013.

Huntington, Samuel P. *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*. New York: Simon and Schuster, 1997.

Human Rights Watch [HRW]. *Saudi Arabia: Denied Dignity Systematic Discrimination and Hostility Toward Saudi Shia Citizens*. New York: HRW, 2009.

Ibn Khaldn, Abu Zayd Abd al-Rahman bin Muhammad. *The Muqaddimah: An Introduction to History*. Translated from the Arabic by Franz Rosenthal; abridged and edited by N. J. Dawood. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1967.

Ibrahim, Fouad. *The Shi'is of Saudi Arabia*. London: Saqi Books, 2006.

Jones, Toby Craig. *Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010.

Khalaf, Samir. *Civil and Uncivil Violence in Lebanon: A History of the Internationalization of Communal Conflict*. New York: Columbia University Press, 2002.

Khuri, Fuad L. *Imams and Emirs: State, Religion and Sects in Islam*. London: Saqi, 1990.

______ . *Tribe and State in Bahrain: The Transformation of Social and Political Authority in an Arab State*. Chicago, IL: University of Chicago Press, 1980.

Kraetzschmar, Hendrik (ed.). *The Dynamics of Opposition Cooperation in the Arab World: Contentious Politics in Times of Change*. New York: Routledge, 2012.

Kramer, Martin (ed.). *Shi'ism, Resistance, and Revolution*. London: Westview, 1987.

Lacroix, Stéphane. *Awakening Islam: The Politics of Religious Dissent in Contemporary Saudi Arabia*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2011.

Louër, Laurence. *Transnational Shiite Politics: Religious and Political Networks in the Gulf*. New York: Columbia University Press, 2008.

Luciani, Giacomo, and Hazem Beblawi (eds.). *The Rentier State*. London: Croom Helm, 1987.

Lynch, Marc. *The Arab Uprisings The Unfinished Revolutions of the New Middle East*. New York: PublicAffairs, 2012.

Makdisi, Ussama Samir. *The Culture of Sectarianism: Community, History, and Violence in Nineteenth-Century Ottoman Lebanon*. Berkeley, CA: University of California Press, 2000.

Marschall, Christin. *Iran's Persian Gulf Policy: From Khomeini to Khatami*. London: Routledge, 2003.

Al-Mdaires, Falah Abdullah. *Islamic Extremism in Kuwait: From the Muslim Brotherhood to al-Qaeda and other Islamist Political Groups*. Abingdon, Oxon; New York: Routledge, 2010. (Durham Modern Middle East and Islamic World Series; 17)

Meijer, Roel (ed.). *Global Salafism: Islam's New Religious Movement*. London: Hurst; New York: Columbia University Press, 2009.

Meinel, Ute. *Die Intifada im Ölscheichtum Bahrain: Hintergründe des Aufbegehrens von 1994-1998*. Münster: Lit-Verlag, 2003.

Mouline, Nabil. *Les Clercs de l'Islam: Autorité religieuse et pouvoir politique en Arabie Saoudite, XVIIIème-XXIème siècle*. Paris: Presses Universitaires de France, 2011.

Nakash, Yitzhak. *Reaching for Power: The Shi'a in the Modern Arab World*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006.

Nakhleh, Emile A. *Bahrain: Political Development in a Modernizing Society*. Lexington, MA: Lexington Books, 1976.

Nasr, Vali. *The Shia Revival: How Conflicts Within Islam Will Shape the Future*. London: W. W. Norton, 2007.

Noueihed, Lin and Alex Warren. *The Battle for the Arab Spring: Revolution, Counter-Revolution and the Making of a New Era*. New Haven, CT: Yale University Press, 2012.

Potter, Lawrence G. (ed.). *Sectarian Politics in the Persian Gulf*. London: C. Hurst and Co. Publishers Ltd., 2014.

Al-Rasheed, Madawi. *Contesting the Saudi State: Islamic Voices from a New Generation*. Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2007.

Reddick, Christopher G. and Stephen K. Aikins (eds.). *Web 2.0 Technologies and Democratic Governance: Political Policy and Management Implications*. New York: Springer, 2012.

Shaery-Eisenlohr, Roschanack. *Shi'ite Lebanon: Transnational Religion and the Making of National Identities*. New York: Columbia University Press, 2008.

Sick, Gary and Lawrence Potter (eds.). *The Persian Gulf at the Millennium: Essays in Politics, Economy, Security, and Religion.* New York: St. Martin's Press, 1997.

Steinberg, Guido. *Religion und Staat in Saudi-Arabien: Die wahhabitischen Gelehrten, 1902-1953.* Würzburg: Ergon Verlag, 2002.

Tarrow, Sidney. *Power in Movement: Social Movements and Contentious Politics.* 2nd ed. Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1998.

Teitelbaum, Joshua (ed.). *Political Liberalization in the Persian Gulf.* New York: Columbia University Press, 2009.

Tétreault, Mary Ann. *Stories of Democracy: Politics and Society in Contemporary Kuwait.* New York: Columbia University Press, 2000.

Tripp, Charles. *The Power and the People: Paths of Resistance in the Middle East.* Cambridge, MA: Cambridge University Press, 2013.

Trofimov, Yaroslav. *The Siege of Mecca: The Forgotten Uprising.* London: Allen Lane, 2007.

Ulrichsen, Kristian Coates. *Insecure Gulf: The End of Certainty and the Transition to the Post-Oil Era.* London: Hurst and Company, 2011.

Vitalis, Robert. *America's Kingdom: Myth Making on the Saudi Oil Frontier.* 2nd ed. London: Verso, 2009.

Wehrey, Frederic [et al.]. *Saudi-Iranian Relations Since the Fall of Saddam: Rivalry, Cooperation, and Implications for U.S. Policy.* Santa Monica, CA: RAND National Security Research Division, 2009.

Weiss, Max. *In the Shadow of Sectarianism: Law, Shi'ism, and the Making of Modern Lebanon.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010.

White, Benjamin Thomas. *The Emergence of Minorities in the Middle East: The Politics of Community in French Mandate Syria.* Edinburgh: Edinburgh University Press, 2011.

Wiktorowicz, Quintan (ed.). *Islamic Activism: A Social Movement Theory Approach.* Bloomington, IN: Indiana University Press, 2004.

Wilkinson, John C. *Ibadism: Origins and Early Development in Oman.* Oxford: Oxford University Press, 2010.

Yazbek, Samar. *A Woman in the Crossfire: Diaries of the Syrian Revolution.* Translated from the Arabic by Max Weiss; [foreword by Rafik Schami]. London: Haus Pub, 2012.

Yizraeli, Sarah. *The Remaking of Saudi Arabia: The Struggle Between King Saud and Crown Prince Faysal, 1953-1962.* Tel Aviv: Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies, Tel Aviv University, 1998. (Dayan Center Papers; 121)

Žižek, Slavoj. *The Year of Dreaming Dangerously.* London: Verso, 2012.

Periodicals

«4 Killed in Exchange of Gunfire in Qatif: MOI.» *Saudi Gazette*: 24 November 2011.

«161 Arrested in Buraidah.» *Arab News*: 2/3/2013.

«Abou Hamed Flies to Dubai to Discuss New Party with Shafiq.» *Al-Masry Al-Youm*: 20/9/2012.

Abdo, Geneive. «Talking about Reform in Bahrain.» *Foreign Policy*: 10 April 2013.

Abdul-Ahad, Ghaith.«Al-Qaida Turns Tide for Rebels in Battle for Eastern Syria.» *Guardian*: 30/7/2012.

Alsharif, Asma and Angus McDowall. «Empty Voting Booths Signal Little Enthusiasm at Rare Saudi Polls.» *The Daily Star*: 30/9/2011.

«Amir Orders Change to Election Law.» *Arab Times*: 19/10/2012.

«Aoun: Bahrain Remarks Not Interference, Just Advice.» *The Daily Star*: 19/2/2013.

«Al-Azhar Scholar Criticizes Saudi Edict Banning Protests.» *Egypt Independent*: 30/3/2011.

«Bahrain Blames Iran for «Terror Cell».» *Gulf News*: 20/2/2013.

«Bahrain Denies Kuwaiti Role in Dialogue.» *Gulf Daily News*: 29/3/2011.

Bahrain Mirror: 2/1/2012, and 17/2/2012.

«Bahrainis Stripped of Citizenship.» *Al-Ahram Weekly*: 21 November 2012.

Baker, Aryn. «Disappearing Dissent: How Bahrain Buried Its Revolution.» *Time*: 29 November 2011.

Bakri, Nada. «Saudi Police Open Fire to Break Up a Protest.» *New York Times*: 10/3/2011.

Barnard, Anne and Sebnem Arsu. «Iranian Captives Freed in Prisoner Exchange in Syria.» *New York Times*: 9/1/2013.

Beaugrand, Claire. «Statelessness and Administrative Violence: Bidns' Survival Strategies in Kuwait.» *Muslim World*: vol. 101, no. 2, 2011.

Black, Ian. «Kuwait Emir's Change to Election Rules Stirs Signs of Arab Spring.» *Guardian*: 25/11/2012.

Blanford, Nicholas. «Video Appears to Show Hezbollah and Iraqi Shiites Fighting in Syria.» *Christian Science Monitor*: 18/1/2013.

Bolliger, Monika. «Islamische Kritik an der saudischen Regierung: Gespräch mit dem Kleriker Salman al-Audah.» *Neue Zürcher Zeitung*: 17/4/2012.

«The Bomb That Changed Iraq Forever.» *New York Times*: 31/7/2008.

Carey, Glen. «The Saudis Need Those High Oil Prices.» *Bloomberg Businessweek*: 23 February 2012.

Daya, Ayesha and Dana El Baltaji. «Saudi Arabia May Become Net Oil Importer by 2030: Citigroup Says,» *Economy Watch*: 5 September 2012.

Dehghan, Saeed Kamali. «Sunni Muslims Banned from Holding Own Eid Prayers in Tehran.» *Guardian*: 31/8/2011.

Dickinson, Elizabeth. «Youth Movement Helps to Set Kuwait's Political Agenda.» *The National*: 22 July 2012.

Diwan, Kristin Smith. «Kuwait's Balancing Act.» *Foreign Policy*: 23 October 2012.

______ . «Kuwait's Impatient Youth Movement.» *Foreign Policy*: 29 June 2011.

Hugh Eakin, «The Strange Power of Qatar.» *New York Review of Books*: 27 October 2011.

______ . «Will Saudi Arabia Ever Change?.» *New York Review of Books*: 12 December 2012.

Ellick, Adam B. «A Haven for Dissent in Bahrain, Where Lattes and Tear Gas Mix.» *New York Times*: 28/12/2011.

«Elsewhere in the Arabian Gulf: A Peaceful Anti-Corruption Protest in Oman.» *Slate*: 18 February 2011.

Ezzat, Dina. «Destination Riyadh: President Mohamed Mursi's First Foreign Trip is to Saudi Arabia.» *Al-Ahram Weekly*: 12 July 2011.

Fahim, Kareem. «Activist's Conviction Upheld in Test of Pledges by Bahrain.» *New York Times*: 11/12/2012.

______ . «Court in Bahrain Confirms Jail Terms for 13 Dissidents.» *New York Times:* 7/1/2013.

Forstenlechner, Ingo, Emilie Rutledge, and Rashed Salem Alnuaimi. «The UAE, the «Arab Spring» and Different Types of Dissent.» *Middle East Policy*: vol. 19, no. 4, Winter 2012.

«GCC Ministers Sign Security Pact,» *Arab News*: 14/11/2012.

Gengler, Justin. «Bahrain's Sunni Awakening.» *Middle East Report Online*: 17 January 2012.

______ . «The Political Costs of Qatar's Western Orientation.» *Middle East Policy*: vol. 19, no. 4, Winter 2012.

Gutman, Roy. «While Bahrain Demolishes Mosques, U.S. Stays Silent.» *McClatchy Newspapers*: 8/5/2011.

Haddad, Fanar. «Can a Sunni Spring Turn into an Iraqi Spring?.» *Foreign Policy*: 7 January 2013.

«Hafiz: Inspiration for Job Seekers.» *Arab News*: 15/5/2012.

Harbi, Mahmoud. «Kuwait Lengthens Sentence of Man who «Insulted» Emir: Lawyer.» *The Daily Star*: 21/3/2013.

Hassan, Hassan. «In the Gulf, Allegiance Is the Issue for Muslim Brotherhood.» *The National*: 30 January 2012.

______ . «Why Tribes Matter in Syria.» *Guardian*: 25/7/2012.

Al-Hasan, Hasan Tariq. «The Role of Iran in the Failed Coup of 1981: The IFLB in Bahrain.» *Middle East Journal*: vol. 65, no. 4, Autumn 2011.

Hegghammer, Thomas and Stéphane Lacroix. «Rejectionist Islamism in Saudi Arabia: The Story of Juhayman al-'Utaybi Revisited.» *International Journal of Middle East Studies*: vol. 39, no. 1, 2007.

Hiltermann, Joost and Kelly McEvers. «Barricaded in Bahrain.» *New York Review of Books Blog*: 27 December 2011.

______ and Toby Matthiesen. «Bahrain Burning.» *New York Review of Books*: 18 August 2011.

«How the Arab Spring Skirted Oman.» *Huffington Post*: 13/12/2011.

«In Bid to End Crisis, Kuwait's Parliament Is Dissolved.» *New York Times*: 7/10/2012.

Ismail, Raihan. «The Saudi Ulema and the Shi'a of Saudi Arabia.» *Journal of Shi'a Islamic Studies*: vol. 5, no. 4, Fall 2012.

Jafari-Valdani, Asghar. «The Geopolitics of the Strait of Hormuz and the Iran-Oman Relations.» *Iranian Review of Foreign Affairs*: vol. 2, no. 4, Winter 2012.

Al-Jamali, Ra'id Zuhair. «Oman, Kind of Not Quiet?.» *Foreign Policy*: 7 November 2011.

Jones, Marc Owen. «Social Media, Surveillance and Social Control in the Bahrain Uprising.» *Westminster Papers in Communication and Culture*: vol. 10, no. 2, April 2013.

Jones, Toby Craig. «Saudi Arabia Versus the Arab Spring.» *Raritan: A Quarterly Review*: vol. 31, no. 2, 2011.

Jones, Toby C. and Ala'a Shehabi. «Bahrain's Revolutionaries.» *Foreign Policy*: 2 January 2012.

Kareem, Mona. «Bahrain: Mahazza Village Still Under Siege.» *Global Voices*: 10 December 2012.

______ . «Is Kuwait Serious about Bedoon Naturalization?.» *Al-Monitor*: 27 March 2013.

Kerr, Cortni and Toby C. Jones. «Revolution Paused in Bahrain.» *Middle East Report Online*: 23 February 2011.

Khalaf, Roula and Abeer Allam. «Assad Intensifies Cyberwar against Qatar.» *Financial Times*: 24/4/2012.

Al-Khawaja, Zainab. «Why I Am on Hunger Strike in Bahrain.» *New York Times Blog*: 24 March 2013.

Kinninmont, Jane. «Kuwait's Parliament: An Experiment in Semi-Democracy.» *Chatham House Briefing Paper*: August 2012.

Koch, Christian. «The GCC as a Regional Security Organization,» *Konrad Adenauer Stiftung International Reports*: vol. 2, 2010.

«Kuwait Naval Units Join Bahrain Mission... «Plot Foiled».» *Arab Times*: 21/3/2011.

«Kuwaiti Youth Emerge as Force in Protests against the State.» *Al-Monitor*: translated from *al-Hayat*, 22/10/2012.

Lacroix, Stéphane. «Is Saudi Arabia Immune?.» *Journal of Democracy*: vol. 22, no. 4, October 2011.

______ . «Osama bin Laden and the Saudi Muslim Brotherhood.» *Foreign Policy*: 3 October 2012.

Landis, Joshua. «Sheikh Arour Becomes Icon of the Revolutionary Military Councils.» *Syria Comment*: 7 October 2012.

Landler, Mark and Steven Lee Myers. «With $30 Billion Arms Deal, U.S. Bolsters Saudi Ties.» *New York Times*: 29/12/2011.

«Long-Term Jeddah Flood Projects Will Be Ready by September 2013.» *Arab News*: 19/7/2012.

Louër, Laurence. «The Political Impact of Labor Migration.» *City and Society*: vol. 20, no. 1, 2008.

Macfarquhar, Neil and Hwaida Saad. «As Syrian War Drags On, Jihadists Take Bigger Role.» *New York Times*: 29/7/2012.

Madi, Abdel Fattah. «Qatari Activists Publish Blueprint for Reform.» *Al-Monitor*: 13 October 2012.

Matthiesen, Toby. «Battling Over the Legacy of Bahrain's Pearl Roundabout.» *Foreign Policy*: 13 February 2012.

______ . «Hizbullah Hijaz: A History of the Most Radical Saudi Shi'a Opposition Group.» *Middle East Journal*: vol. 64, no. 2, Spring 2010.

______ . «Saudi Arabia: The Middle East's Most Under-Reported Conflict.» *Guardian*: 23/1/2011.

______ . «Saudi Arabia's Shiite Escalation.» *Foreign Policy*: 10 July 2012.

______ . «Saudi Royal Family Politics and the Arab Spring.» *Foreign Policy*: 14 January 2013.

______ . «A «Saudi Spring?»: The Shi'a: Protest Movement in the Eastern Province 2011-2012.» *Middle East Journal*: vol. 66, no. 4, Autumn 2012.

______ . «The Shi'a of Saudi Arabia at a Crossroads.» *Middle East Report Online*: 6 May 2009.

Mervin, Sabrina. «Sayyida Zaynab, Banlieue de Damas ou nouvelle ville sainte chiite?.» *Cahiers d'Etudes sur la Mediterranée Orientale et le Monde Turco-Iranien*: vol. 22, 1996.

«Misleading Translation or Height of Stupidity?.» *Saudi Gazette*: 3 September 2012.

Moore, Charles W. «MOORE: Bahrain, a Vital U.S. Ally: Backing Protesters Would Betray a Friend and Harm American Security.» *Washington Post*: 30/11/2011.

«MPs Press to Arm Syrian Opposition: Kuwait Urged to Cut Ties with Damascus.» *Arab Times*: 1/3/2012.

Al-Mudarrisi, Hadi. «Bahrain: Group Follows Violent Shiite Cleric.» *Gulf News*: 5/6/2012.

Murphy, Caryle. «GCC to Set Up $20bn Bailout Fund for Bahrain and Oman.» *The National*: 11/3/2011.

Al-Noaimi, Ali Rashid. «Setting the Record Straight on Al-Islah in the UAE.» *Al-Monitor*: 15 October 2012.

Okruhlik, Gwenn. «The Identity Politics of Kuwait's Election.» *Foreign Policy*: 8 February 2012.

«Oman's Foreign Minister Says There Is No Gulf Union.» *Gulf News*: 6/6/2012.

Al Omran, Ahmed. «Party in the KSA.» *Foreign Policy*: 14 January 2013.

Ottaway, David. «Saudi Arabia's Race Against Time.» *Occasional Paper Series* (Wilson Center Middle East Program): Summer 2012.

«The Price of Kuwait's Election Boycott.» *Deutsche Welle*: 3/12/2012.

Al Qassemi, Sultan. «UAE Security Crackdown: A View from the Emirates.» *Al-Monitor*: 18 July 2012.

«Qatar to Hold First National Election.» *Guardian*: 1/11/2011.

«Qatari Poet Jailed for Life after Writing Verse Inspired by Arab Spring.» *Guardian*: 29/11/2012.

Mekhennet, Souad. «In Bahrain, Worries Grow of Violent Shiite-Sunni Confrontation.» *New York Times*: 25/1/2012.

Al-Rasheed, Madawi. «No Saudi Spring: Anatomy of a Failed Revolution.» *Boston Review*: March-April 2012.

______ . «Saudi Arabia: Local and Regional Challenges.» *Contemporary Arab Affairs*: vol. 6, no. 1, 2013.

______ . «Sectarianism as Counter-Revolution: Saudi Responses to the Arab Spring.» *Studies in Ethnicity and Nationalism*: vol. 2, no. 3, December 2011.

Rizvi, Sajjad. «Shi'ism in Bahrain: Marja'iyya and Politics.» *Orient*: no. 4, 2009.

«Robust Growth Projected for GCC.» *Arab News:* 24/6/2012.

«Sadrists Rally in Basra to Support Bahraini People.» *Aswat al-Iraq*: 19 March 2012.

Sands, Phil. «Sheikh Adnan Arour's Meteoric Rise from Obscurity to Notoriety.» *The National*: 5 July 2012.

«Saudi Women on Shura Council.» *Al-Ahram Weekly*: 16 January 2013.

«Sayyid Muqtada al-Sadr Answers Question on Formula Race in Bahrain.» *Al-Sadr Online*: 18 April 2012.

«Schüsse gegen Schiiten in Saudiarabien.» *Neue Zürcher Zeitung*: 12/3/2011.

«Shiites Score Big in Kuwaiti Poll Hit by Boycott.» *Ahram Online*: 2/12/2012.

Silver, Vernon and Ben Elgin. «Torture in Bahrain Becomes Routine with Help from Nokia Siemens.» *Bloomberg Markets Magazine*: 22 August 2011.

Sindawi, Khalid. «The Shiite Turn in Syria.» *Current Trends in Islamist Ideology*: vol. 8, June 2009.

Slackman, Michael. «Bullets Stall Youthful Push for Arab Spring.» *New York Times*: 18/3/2011.

Steinberg, Guido. «Qatar and the Arab Spring: Support for Islamists and New Anti-Syrian Policy.» *SWP Comments 20121C 07*: February 2012.

Strobl, Staci. «From Colonial Policing to Community Policing in Bahrain: The Historical Persistence of Sectarianism.» *International Journal of Comparative and Applied Criminal Justice*: vol. 35, no. 1, February 2011.

«Sunni Protests in Iraq.» *Al-Ahram Weekly*: 5 April 2012.

Szanto, Edith. «Sayyida Zaynab in the State of Exception: ShiSainthood as «Qualified Life» in Contemporary Syria.» *International Journal of Middle East Studies*: vol. 44, no. 2, 2012.

Taha, Rana Muhammad. «Three of the Iranians Abducted in Syria Killed.» *Daily News Egypt*: 7/8/2012.

Taylor, Jerome and David Tremayne. «Rage against the Formula One Machine.» *Independent*: 22/4/2012.

Tétreault, Mary Ann. «Kuwait's Annus Mirabilis.» *Merip Online*: 7 September 2006.

______ . «Looking for Revolution in Kuwait.» *Merip Online*: 1 November 2012.

Toumi, Habib. «Court Reinstates Kuwaiti Parliamentary Candidates.» *Gulf News*: 20/1/2012.

______ . «Kuwait Court to Consider Al Barrak's Appeal on Monday.» *Gulf News*: 18/4/2013.

«Two Jailed Over Jeddah Floods Corruption.» *Arabian Business*: 30 May 2012.

Ulrichsen, Kristian Coates. «The Hollow Shell of Security Reform in Bahrain.» *Foreign Policy*: 12 April 2012.

______ . «Kuwait: Kuwait's Black Monday.» *World Today*: vol. 67, no. 12, December 2011.

______ . «Small States with a Big Role: Qatar and the United Arab Emirates in the Wake of the Arab Spring.» *HH Sheikh Nasser al-Mohammad Al-Sabah Publication Series* (Durham University): no. 3, October 2012.

Vaidya, Sunil K. «Sultan Qaboos Reshuffles Oman Cabinet.» *Gulf News*: 26/2/2011.

Valeri, Marc. «High Visibility, Low Profile: The Shi'a in Oman under Sultan Qaboos.» *International Journal of Middle East Studies*: vol. 42, no. 2, 2010.

______ . «The Qaboos-State under the Test of the «Omani Spring»: Are the Regime's Answers up to Expectationsions?.» *Les Dossiers du CERI, Sciences Po* (Paris): 2011.

Walsh, Declan. «Pakistan Reels with Violence against Shiites.» *New York Times*: 3/12/2012.

Walt, Stephen M. «Why the Tunisian Revolution Won't Spread.» *Foreign Policy*: 16 January 2011.

Worrall, James. «Oman: The «Forgotten» Corner of the Arab Spring.» *Middle East Policy*: vol. 19, no. 3, Fall 2012.

Worth, Robert F. «Citing U.S. Fears, Arab Allies Limit Syrian Rebel Aid.» *New York Times:* 7/10/2012.

Yom, Sean L. and F. Gregory Gause III. «Resilient Royals: How Arab Monarchies Hang On.» *Journal of Democracy*: vol. 23, no. 4, October 2012.

Thesis

Matthiesen, Toby. «The Shia of Saudi Arabia: Identity Politics, Sectarianism and the Saudi State.» (PhD Dissertation, School of Oriental and African Studies, University of London, 2011).

Conference

The 3rd Gulf Research Meeting, University of Cambridge, 11-14 July 2012.

Reports and Studies

Abdulkarim, Nora. «Trial of Saudi Civil Rights Activists Mohammad al-Qahtani and Abdullah al-Hamid,» Jadaliyya (3 September 2012), < http://www.jadaliyya.com/pages/index/7174/trial-of-saudi-civil-rights-activists-mohammad-al > .

Aboudi, Sami. «Oman Detains Poet, Blogger Amid Growing Discontent.» Reuters, 9 June 2012, < http://www.reuters.com/article/2012/06/09/us-oman-arrests-idUSBRE8580DF20120609 > .

Alsharif, Asma and Amena Bakr. «Saudi Steers Citizens Away from Syrian «Jihad».» Reuters, 12 September 2012, < http://www.reuters.com/article/2012/09/12/us-saudi-syria-jihad-idUSBRE88B0XY20120912 > .

Amnesty International [AI]. «Saudi Arabia: II Women Still Held after Protest.» 8 January 2013, < http://www.amnesty.org/en/news/saudi-arabia-release-II-women-held-after-peaceful-protest-2013-01-08 > .

_______ . «Saudi Arabia: Trial of Riyadh Protester, «Utterly Unwarranted».» AI (22 February 2012), <http://www.amnesty.org/en/news/saudi-arabia-trial -riyadh-protester-utterly-unwarranted-2012-02-22>.

«Arab Spring Fund Flows to UAE Exceed $8 Billion: PM.» Reuters, 11 February 2013, <http://finance.yahoo.com/news/arab-spring-fund -Hows-uae-130202750.html>.

Bahrain Center for Human Rights. «The BICI Reforms: Promises of Progress, a Worsening Reality.» (20 November 2012), <http://www.bahrainrights.org/en/node/5520>.

«Bahrain Court Upholds-Life Sentences for Activists.» Associated Press, 4 September 2012, <http://www.guardian.co.uk/world/feedarticle/10422048>.

«Bahrain Crown Prince Calls for Dialogue: TV.» Reuters, 18 February 2011, <http://www.reuters.com/article/2011/02/18/us-bahrain-crownprince-idUSTRE71H4OR20110218>.

«Bahrain Expels 16 Lebanese Amid Unrest.» Agence France Presse, 11 April 2011, <http://al-shorfa.com/en_GB/articles/meii/features/main/2011/04/13/feature-02>.

Bahrain Independent Commission of Inquiry. «Report of the Bahrain Independent Commission of Inquiry.» 23 November 2011, <http://www.bici.org.bh>.

«Bahrain Shuns Kuwait's Mediation Offer.» Aljazeera.com, 28 March 2011, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2011/03/2011 328111747469782.html>.

«Bahrain Unrest: King Hamad Says Foreign Plot Foiled.» BBC, 21 March 2011, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-12802945>.

«Bahrain Warns Iran Against Meddling in Its Affairs.» Agence France-Presse, 17 May 2012, <http://en-maktoob.news.yahoo.com/bahrain-warns-iran-against-meddling-affairs-141816264.html>.

«Bahraini «Coalition for a Republic» Issues First Statement.» Jadaliyya (9 March 2011), < http://www.jadaliyya.com/pages/ index/839/bahraini-coalition-for-a-republic-issues-first-sta > .

Barakat, Sultan. «The Qatari Spring: Qatar's Emerging Role in Peacemaking.» (London School of Economics, Kuwait Research Programme) (July 2012), < http://www2.lse.ac.uk.government/research/resgroups/kuwait/research/papers/qatar.aspx > .

Brown, Nathan J. «Pushing Toward Party Politics?: Kuwait's Islamic, Constitutional Movement.» Carnegie Endowment for International Peace, 7 February 2007, < http://carnegieendowment.org/2007/02/13/pushing-toward-party-politics-kuwait-s-islamic-constitutional-movement/3kex > .

Bsheer, Rosie. «Saudi Revolutionaries: An Interview.» Jadaliyya (21 June 2012), < http://www.jadaliyya.com/pages/index/6104/saudi-revolutionaries_an-interview > .

Carey, Glen. «Saudi Arabia to Punish Officials for Damage After Jeddah Floods.» Bloomberg, 2 February 2011, < http://www.bloomberg.com/news/2011-02-02/saudi-arabia-to-punish-officials-for-damage-after-jeddah-floods. html > .

Central Intelligence Agency. «The World Factbook: Iran.» 12 September 2012, < https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/ir.html > .

«Citizenship as a Bahraini Government Tool.» Stratfor, 21 September 2012, < http://www.stratfor.com/sample/analysis/citizenship-bahraini-government-tool > .

«Clerics Protest Outside the Royal Court.» Riyadh Bureau (15 January 2013), < http://riyadhbureau.com/blog/2013/1/clerics-protest -royal-court > .

«The Current Situation in Sayyidah Zainab Area 24/7/2012.» Shii News Email Newsletter, < http://www.husainiyouths.org/profiles/blogs/the-current-situation-in-sayyidah -zainab-area-syria-24-7-2012 > .

«David Cameron on GP: «Bahrain Is Not Syria».» BBC, 20 April 2012, < http://www.bbc.co.uklnews/uk-17789082 > .

Davidson, Christopher M. «The Strange Case of the UAE's wwwuaehe-war.net.» Current Intelligence, 15 November 2010, < http://www.currentintelligence.net/gulfstream/2010/11/15/the-strange-case-of-the-uaes-wwwuaehewarnet.html > .

______ . «The United Arab Emirates: Frontiers of the Arab Spring.» Open Democracy (8 September 2012), < http://www.opendemocracy.net/christopher-m-davidson/united-arab-emirates-frontiers-of-arab-spring > .

Doctors without Borders. «Health Services Paralyzed: Bahrain's Military Crackdown on Patients.» (April 2011), < http://www.doctors-withoutborders.org/publications/article.cfm?id = 5171 > .

««Dozens of Kuwaiti Jihadists» Join Different Nationalities to Enlist in Free Syrian Army.» Al Arabiya News, 10 June 2012, < http://www.alarabiya.net/articles/2012/06/10/219734.html > ,

«Egyptian Protests Over Detained Lawyer Shin Saudi Embassy.» BBC, 28 April 2012, < http://www.bbc.co.uk/news/world -rniddle-east-17881733 > .

Fattah, Khaled. «Yemens Sectarian Spring.» Carnegie Endowment for International Peace, 11 May 2012, < https://www.carnegieendowment.org/sada/2012/05/11/yemen-s-sectarian-spring/apnv > .

Gause III, F. Gregory. «Saudi Arabia in the New Middle East.» Council on Foreign Relations Special Report (December 2011), < http://www.cfr.org/saudi-arabia/saudi-arabia-new-middle-east/p26663 > .

Gengler, Justin. «Bahraini Salafis Fighting the Infidels Wherever They Find Them.» August 6, 2012, < http://bahrainipolitics.blogspot.-co.uk/2012108/bahraini-salafis-fighting-infidels.html > .

«Hardline Shi'ite Groups Demand Republic in Bahrain.» Reuters, 8 March 2011, < http://af.reuters.com/article/worldNews/idAF-TRE7272SU20110308 > .

Al-Hasan, Hasan Tariq. ««Too Bigto Succeed»: A Case of Sunni Politics in Bahrain.» Open Democracy (23 July 2012), <http://www.opendemocracy.net/hasan-tariq-al-hasan/%E2%80%98too-big-to-succeed%E2%80%99-case-of-sunni-politics-in-bahrain>.

Al Hashimi, Said Sultan. «The Omani Spring: Towards the Break of a New Dawn.» Arab Reform Initiative (November 2011), <http://www.arab-reform.net/omani-spring-towards-break-new-dawn>.

Human Rights Watch. «Bahrain Promises Unkept, Rights Still Violated, Head of Independent Commission: Implementation «Inadequate».» HRW (22 November 2012), <http://www.hrw.org/news/2012/11/22/bahrain-promises-unkept-rights-still-violated>.

______. «Bahrain: Rights Activist Jailed for «Insulting» Tweets,» 11 July 2012, <http://ww.hrw.org/news/2012/07/11/bahrain-rights-activist-jailed-insulting-tweets>.

______. «Iran: Halt Execution of Arab Activists: Five Men Sentenced to Death Following Closed Trials.» HRW (11 July 2012), <http://www.hrw.org/news/2012/07/11/iran-prevent-execution-arab-activists>.

______. «Kuwait: 10 Years for Criticizing Neighboring Rulers: Emir Vetoes Legislation Authorizing Death for «Mocking Religion».» Press Release, 7 June 2012, <http://www.hrw.org/news/2012/06/07/kuwait-10-years-criticizing-neighboring-rulers>.

______. «Prisoners of the Past: Kuwaiti Bidun and the Burden of Statelessness.» Researched and written by Priyanka Motaparthy, 13 June 2011, <http://www.hrw.org/reports/2011/06/13/prisoners-past-0>.

______. «Oman: Assault on Freedom of Speech.» 13 June 2012, <http://www.hrw.org/news/2012/06/13/oman-assault-freedom-speech>.

______. «UAE: Trial Observer Finds Due Process Flaws in «UAE5» Case.» 3 November 2011, <http://www.hrw.org/news/2011/11/03/uae-trial-observer-finds-due-process-flaws-uae-5-case>.

International Crisis Group [ICG]. «Déjà Vu All Over Again: Iraq's Escalating Political Crisis.» *Middle East Report*, no. 126 (30 July 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-eastnorth-africa/iraq-iran-gulf/iraq/126-deja-vu-all-over-again-iraqs-escalating-political-crisis.aspx>,

______ . Iraq's Secular Opposition: The Rise and Decline of Al-Iraqiya.» *Middle East Report*: no. 127 (31 July 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/iraq-iran-gulf/iraq/127-iraqs-secular-opposition-the-rise-and -decline-of-al-iraqiya.aspx>.

______ . «Popular Protests in North Africa and the Middle East (III): The Bahrain Revolt,» *Middle East/North Africa Report*: no. 105 (6 April 2011), <http://www.crisisgroup.org/en/publication-type/media-releases/2011/mena/the-bahrain-revolt.aspx>.

______ . «Popular Protest in North Africa and the Middle East (VIII): Bahrain's Rocky Road to Reform,» *Middle East/North Africa Report*: no. 111 (28 July 2011), <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/iraq-iran-gulf/bahrain/111-popular-protest-in-north-africa-and-the-middle-east-viii-bahrains-rocky-road-to-reform.aspx>.

______ . «Syria's Mutating Conflict.» *Middle East Report*, no. 128 (1 August 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/egypt-syria-lebanon/syria/128-syrias-mutating-conflict.aspx>.

______ . «Tentative Jihad: Syria's Fundamentalist Opposition.» *Middle East Report*: no. 131 (12 October 2012), <http://www.crisisgroup.orgl enlregionsl middle-east-north-africalegypt-syria-Iebanon/syria/131-tentative-jihad-syrias-fundamentalist-opposition.aspx>.

______ . «Yemen: Enduring Conflicts, Threatened Transition.» *Middle East Report*: no. 125 (3 July 2012), <http://www.crisisgroup.org/en/publication-type/media-releases/2012/mena/yemen-enduring-conflicts-threatened -transition.aspx>.

«Iraq VP Tariq al-Hashemi Sentenced to Death.» BBC, 9 September 2012, <http://www.bbc.co.uk.news/world-middle-east-19537301>.

«Iraqi Blast Damages Shia Shrine.» BBC, 22 February 2006, <http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4738472.stm >.

Kareem, Mona. «Shiaphobia Hits Kuwait.» Jadaliyya, 17/5/2011, <http://www.jadaliyya.com/pages/index/1603/shiaphobia-hits-kuwait>.

Kinninmont, Jane. «Bahrain: Beyond the Impasse.» (Chatham House Programme Report): June 2012, <http://www.chathamhouse.org/publications/papers/view/183983>.

______ . «Qatar's Delicate Balancing Act.» BBC, 16 January 2013, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-21029018>.

______ . «To What Extent Is Twitter Changing Gulf Societies?.» Chatham House (February 2012), <http://www.chathamhouse.org/sites/default/files/public/Research/Middle%20East/0213kinninmont.pdf>.

«Kuwait Election: Thousands Join Anti-Government Protest.» BBC, 30 November 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-20558819>.

«Kuwait: Ex-MP Mussallam al-Barrak Freed on Bail.» BBC, 1 November 1012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle -east-20165318>.

«Kuwait Protest at Court Ruling Dissolving Parliament.» BBC, 27 June 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-18606540>.

«Kuwait MPs Decry Rally for «Terrorist» Mughniyah.» Al Arabiya News, 17 February 2008, <http://www.alarabiya.net/articles/2008/02/17/45771.html>.

«Kuwait MPs Expelled for Mourning Mughniyah.» Al Arabiya News, 20 February 2008, http://www.alarabiya.net/articles/2008/02/20/45901.html>.

«Kuwait Releases Royals Detained Over Tweets.» aljazeera.com, 10 November 2012, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2012/11/201211101441107059007.html>.

«Kuwaiti Gets 10 Years for Twitter Blasphemy: Lawyer.» Reuters, 4 June 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/06/04/us-kuwait-prophet-verdict-idUSBRE8530DK20120604>.

«Kuwaiti Protesters Rally to Scrap New Parliament.» Agence France-Presse, 8 December 2012, <http://english.ahram.org.eg/NewsContent/2/8/60067/World/Region/Kuwaiti-protesters-rally-for-scrapping-new-parliam.aspx>.

«Kuwait's Prime Minister Resigns after Protests.» BBC, 28 November 2011, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-15931526>.

Pew Research Center. «The Future of the Global Muslim Population: Projections for 2010-2030.» Pew Forum (14 January 2011), <http://www.pewforum.org/The-Future-of -the-Global-Muslim-Populatio-n.aspx>.

Logan, Joseph. «Oman Protests Suggest Jobs, Reform Pledges Fall Short.» Reuters, 4 July 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/07/04/us-oman-crackdown-idUSBRE8630K120120704>.

«Man Shot Dead as Police Clash with Shi'ites in Saudi Arabia.» Reuters, 28 December 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/12/28/us-saudi-shiire-shooting-idUSBRE8BR05J20121228>.

«Manama Document.» <http://www.bahrainjdm.org/2011/10/13/manama-document-english>.

Matthiesen, Toby. «Diwaniyyas, Intellectual Salons and the Limits of Civil Society in Saudi Arabia.» Middle East Institute (October 2009), <http://www.mei.edu/content/diwaniyyas-intellectual-salons-and-limits-civil-society>.

«MOI's Official Source: Number of Security Checks, Vehicles Coming under Gunfire Attacks by Assailants in Qatif.» Saudi Press Agency, 24/11/2011, <http://www.spa.gov.sa/English/print.php?id=946403>.

«Muslim Brotherhood Sows Subversion in Gulf-Dubai Police Chief.» Reuters, 3 April 2013, <http://uk.reuters.com/article/ 2013/04/03/uk-emirates-islamists-police-idUKBRE9320G820130403>.

«Oman Protests Spread, Road to Port Blocked.» Reuters, 28 February 2011, <http://www.reuters.com/article/2011/02/28/us-oman-protests-idUSTRE71QoU420110228>.

«Oman Ruler Pardons Jailed Dissidents.» aljazeera.com, 23 March 2013, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2013/03/201332363737987137.html>.

«Omani's Staged Protest to Condemn Killing of Oppressed Bahraini's.» 19 March 2011 <http://www.youtube.com/watch?v=3xHVeVlWfbU&feature=plcp>.

«Oman Uncovers «Spy Network» but UAE Denies Any Links.» BBC, 31 January 2011, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle -east-12320859>.

Physicians for Human Rights. «Do No Harm: A Call for Bahrain to End Systematic Attacks on Doctors and Patients.» April 2011, <https://s3.amazonaws.com/PHR_Reports/bahrain-22April_4-45pm.pdf>.

______. «Weaponizing Tear Gas, Bahrain's Unprecedented Use of Toxic Chemical Agents against Civilians.» (August 2012), <http://physiciansforhumanrights.org/library/reports/weaponizing-tear-gas.html>.

Power, Greg. «The Difficult Development of Parliamentary Politics in the Gulf Parliaments and the Process of Managed Reform in Kuwait, Bahrain and Oman.» London School of Economics, Kuwait Research Programme (October 2012), <http://www2.lse.ac.uk/government/research/resgroups/kuwait/research/projects/parliaments.aspx>.

«Prominent Saudi Activists Sentenced to Jail.» Riyadh Bureau (9 March 2013), <http://riyadhbureau.com/blog/2013/3/acpra-sentence>.

«Qaradawi Says Bahrain's Revolution Sectarian.» Al Arabiya News, 19 March 2011, <http://www.alarabiya.net/articles/2011/03/19/142205.html>.

«Rights Groups Urge Public Access to UAE Dissidents' Trial.» Reuters, 3 April 2013, <http://in.reuters.com/article/2013/04/03/emirates-trial-rights-idINL5NoCQ22G20130403>.

Robertson, Nic. «Saudi Support for Syrian Rebels Shaped by Tribal, Religious Ties.» CNN, 20 August 2012, <http://edition.cnn.com/2012/08/20/world/meast/syria-saudi-aid>.

Sadjadpour, Karim. «The Battle of Dubai: The United Arab Emirates and the U.S.-Iran Cold War.» Carnegie Endowment for International Peace, 27 July 2011, <http://carnegieendowment.org/2011/07/27/battle-of-dubai-united-arab-emirates-and-u.s.-iran -cold-war/8kiw>.

«Saudi-Based Syrian Cleric Urges Continued Protests Against Assad's Regime.» Al Arabiya News, 6 August 2011, <http://www.alarabiya.riet/articleslion/08/06/161116.html>.

«Saudi Says Detained «Spy Ring» Linked to Iran.» Aljazeera.com, 26 March 2013, <http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2013/03/201332618105079757 2.html>.

«Saudis Stage Rare Protest over Security Detentions without Trial.» Reuters, 10 September 2012, <http://english.ahram.org.eg/News/52465.aspx>.

«Shiite Dies of Wounds after Saudi Police Raid Family.» Agence France Presse, 29 September 2012, <http://www.google.com/hostednews/afp/article/ALeqM5i7kD6bs1FX_xEBCsO9cv5hJQQWrg?docId=CNG.f4d4fec426309741ec996fb87c31f219.14c1>.

«Shiites Rally Behind Bahrain Protesters.» Agence France-Presse, 17 March 2011, <http://www.abc.net.au/news/2011-03-17/shiites-rally-behind-bahrain-protesters/2653372>.

Stephens, Michael. «Ashura in Qatar.» Open Democracy (26 November 2012), <http://www.opendemocracy.net/michael-stephens/ashura-in-qatar>.

______. «Syria: Silent War in the Gulf.» Open Democracy (19 August 2012), <http://www.opendemocracy.net/michael-stephens/syria-silent-war-in-gulf>.

«Supreme Leader: Iran Will Not Back Down, Will Confront Threats at Right Time.» <http://english.khamenei.ir/index.php?option=-com_content&task=view&id=1581>.

«Thousands of Shia Muslims Protest Over Gulf Union Plans.» BBC, 18 May 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-18120787>.

«Two Killed as Saudi Security Forces Try to Arrest Shi'ite Man.» Reuters, 27 September 2012, <http://www.reuters.com/article/2012/09/27/us-saudi-shiite-deaths-idUSBRE88QoLM20120927>.

Ulrichsen, Kristian Coates. «Bahrain: Evolution or Revolution?.» Open Democracy (1 March 2011), <http://www.opendemocracy.net/kristian-coates-ulrichsen/bahrain-evolution-or-revolution>.

______. «Kuwait: Political Crisis at Critical Juncture.» BBC, 23 October 2012, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-20026581>.

______. «The UAE: Holding Back the Tide.» Open Democracy, 5 August 2012, <http://www.opendemocracy.net/kristian-coates-ulrichsen/use-holding-back-tide>.

«UPDATE 1-Fewer Than 1 in 5 Vote in Bahrain By-Elections.» Reuters, 25 September 2011, <http://www.reuters.com/article/2011/09/25/bahrain-vote-results-idUSL5E7KPI3G20110925>.

U. S. Energy Information Administration [EIA]. «Saudi Arabia Country Analysis Brief.» <http://www.eia.gov/countries/country-data.cfm?fips=SA&trk=m>.

Valeri, Marc. ««Qaboos Can Make Mistakes Like Anybody Else»: The Sultan of Oman De-Sacralized.» Jadaliyya (18 November 2012), <http://www.jadaliyya.com/pages/index/8430/%E2%80%9Cqaboos-can-make-mistakes-like-anybody-else_-the-s>.

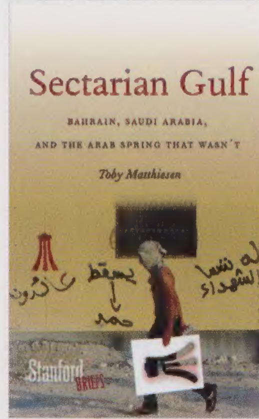
Wehrey, Frederic. «The March of Bahrain» Hardliners.» Carnegie Middle East Center (May 2012), <http://carnegie-mec.org/publications/?fa=48299>.

«The Whole Story of What Happened in Sayyidah Zainab Area, Syria.» RNI News Agency, 3 August 2012, <http://www.realnewslive.org/eng/2012/08/03/the-whole-story-of-what-happened-in-sayyidah-zainab-area-syria>.

هذا الكتاب

الخليج الطائفي

والربيع العربي الذي لم يحدث



حين اشتدت رياح التغيير والربيع العربي، واجتاحت عدداً من الدول العربية، إما بثوراتٍ جذرية أو بإصلاحاتٍ سياسية، كانت تنشد تلاڤي الثورات، لماذا كانت دول الخليج بمنأى عن كل تلك الرياح؟.. ولماذا لم يُسفر الحراك الشعبي الواسع ڤي بعض دول الخليج - كما ڤي البحرين والكويت - أو تلك المُطالبات والتحركات المحدودة - كما ڤي بقية دول الخليج - عن أي نتيجة تستحق الذكر ڤي ملف الإصلاح السياسي؟.. بل ما حصل هو عكس ذلك، حيث تضاءلت مساحة الحريات واشتد القمع ڤي عددٍ من دول الخليج.. ثم ما دور الاحتقان الطائفي الموجود لأسباب سياسية وتاريخية، والذي يُوظف أيضاً من قِبل بعض السُلطات ڤي زيادة انقسام المجتمع وڤي ضرب أي حراك إصلاحي؟

الباحث ڤي جامعة كامبريدج البريطانية توبي ماثيسن، الذي أعد أطروحته للدكتوراه عن الشيعة ڤي الخليج، كان حاضراً ڤي البحرين ودول خليجية أخرى حين بدأت الاحتجاجات فيها، ورصد بدايتها وتطور مسارها وما نتج منها، ودوّن مشاهداته البحثية ڤي هذا الكتاب.

الثمن: ٨ دولارات

أو ما يعادلها

ISBN 978-614-431-077-9



الشبكة العربية للأبحاث والنشر

بيروت - القاهرة - الدار البيضاء - الرياض

المكتب الرئيسي - بيروت

هاتف: ٠٠٩٦١١٧٣٩٨٧٧ - ٠٠٩٦١٧١٢٤٧٩٤٧

E-mail: info@arabiyanetwork.com